بالجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –
كليّة الأدب العربي والفنون
قسم الدّراسات اللّغوية

شعبة الدّراسات اللّغوية التخصّص: لسانيات النصّ وتحليل الخطاب

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه ل.م.د في اللّغة و الأدب العربي

موسومة بـ:

نصّية النصّ ومظاهرها في التّراث اللّغوي العربيّ

البرهان في علوم القرآن "للزّركشي" - أنموذجا -

إعداد الطالب:
غالي عبد القادر

إشراف الأستاذ الدكتور:
حسين بن عائشة

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم و اللقب	الرتبة	مؤسّسة الانتماء	الصفة
01	فريحي مليكة	أستاذة التّعليم العالي	جامعة مستغانم	رئيسا
02	بن عائشة حسين	أستاذ التّعليم العالي	جامعة مستغانم	مشرفا مقرّرا
03	دحماني نور الدين	أستاذ التّعليم العالي	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
04	سعيدي مُحَمَّد	أستاذ التّعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
05	مناد إبراهيم	أستاذ التّعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
06	عبيد ميلود منقور	أستاذ محاضر "أ"	جامعة عين تموشنت	عضوا مناقشا

السّنة الجامعيّة: 1442هـ/1443هـ – 2021 م/2022 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدّراسات اللّغوية

شعبة الدّراسات اللغويّة التخصّص: لسانيات النصّ وتحليل الخطاب

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه ل.م.د في اللّغة والأدب العربي

موسومة بـ:

نصّية النصّ و مظاهرها في التّراث اللّغوي العربيّ

البرهان في علوم القرآن "للزّركشي" - أنموذجا -

إعداد الطالب:
غالي عبد القادر

إشراف الأستاذ الدكتور:
حسين بن عائشة

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم و اللقب	الرتبة	مؤسّسة الانتماء	الصفة
01	فريحي مليكة	أستاذة التّعليم العالي	جامعة مستغانم	رئيسا
02	بن عائشة حسين	أستاذ التّعليم العالي	جامعة مستغانم	مشرفا مقرّرا
03	دحماني نور الدين	أستاذ التّعليم العالي	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
04	سعيدي مُحَمَّد	أستاذ التّعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
05	مناد إبراهيم	أستاذ التّعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
06	عبيد ميلود منقور	أستاذ محاضر "أ"	جامعة عين تموشنت	عضوا مناقشا

السّنة الجامعيّة: 1442هـ/1443هـ – 2021 م/2022 م

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى
اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ
إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(سورة التوبة، الآية 105)

صدق الله العظيم

شكر وتقدير

أحقّ كلام أن تلهج به الألسنة وأن لا يطوى منشوره على توالي الأزمنة كلام لا يفرغ إلا في قالب الصدق ولا ينسج حبره إلا على منوال الحقّ، هو الله تعالى وحمده، فالحمد لله الذي تتمّ بفضله الصالحات، له الشّكر كلّه والحمد في الأوّل الآخر.

ولما كان من لطيف حثّه عزّ و جلّ: "وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ"، وجب في هذا المقام أن نثني على من هم أحقّ بهذا الفضل: أمّي و أبي الغاليين وعائلتي الكريمة الذين لن توفي الكلمات حقّهم.

إلى أستاذي الفاضل: الدكتور بن عائشة حسين على جميل صنيعه في احتضان ورعاية هذا البحث بتوجيهاته المعرفيّة وإرشاداته المنهجيّة القيّمة لإخراج هذا البحث على صورته الحالية.

نتقدّم إليه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان، والشّكر موصول إلى أساتذتنا أعضاء لجنة المناقشة من داخل وخارج الجامعة على تجشّمهم عناء القراءة والتصويب، وإلى كلّ من ساهم في إخراج هذا البحث من بعيد أو قريب.

كما لايسعنا إلا أن نتقدّم شكرا وتقديرا إلى لجنة التكوين التي رافقتنا في مسارنا التكويني على مابذلوه من مجهودات وتوجيهات معرفية ومنهجيّة من أجل إيضاح لنا الطريق في بحثنا، جزاهم الله خيرا.

وأخيرا نسأل الله الأجر والثّواب إلى كلّ الأحبّة على مشاركتهم لنا هذا العمل المتواضع.

إلى والديّ الكريمين حفظهما الله رمزي التضحية والوفاء.

إلى أسرتي الغاليّة: زوجتي، أختي، أخي...الذين ساعدوني على إنجاز هذا البحث لخدمة الطلبة، أدام الله في عمرهم.

إلى من أرى الدّنيا بضحكاته ابني" محمّد عبد الله" حفظه الله.

إلى أبناء أخي: بن ذهيبة، أمينة، خديجة، أنبتهم الله نباتا حسنا.

إلى من انتقلت روحهما إلى خالقها، أخويّا رحمهما الله برحمته الواسعة.

إلى أستاذي الكريم "بن عائشة حسين" الأب الثّاني، صاحب الفضل في هذا الصّنيع.

إلى أساتذتي الأفاضل الذين تعلّمت منهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة واستفدت من مؤلّفاتهم سواء في هذا العمل أو غيره فحفظهم الله ورعاهم.

إلى كلّ هؤلاء أهدي هذا العمل.

إلى كلّ من يحملهم القلب ولم يذكرهم اللّسان.

هدية تقدير واحترام، وعربون محبّة وعرفان.

طالب الدكتوراه: غالي عبد القادر

مقـــدّمة

تنوّعت الدّراسات اللّغوية الحديثة اليوم بشتّى فروعها، إذ أخذت حظّها الوافر من الدّراسة منهجا وإجراءً، باعتبارها حقلا خصبا امتزجت فيه فروع لغويّة عديدة، فأصبحت تدرس وفق مناهج علميّة، حديثة ومعاصرة قائمة على التّحليل والتّفسير لخوض غمار البحث فيها، وفي الحديث عن الدّرس اللّغوي نخصّ بالذّكر لسانيات النّص التي تعتبر من أحدث فروع علم اللّغة الحديث؛ إذ كان قيامه وليد رغبة الباحثين اللّغويين تجاوز الدّراسة التّحليليّة الجزئية للجملة. أو ما يطلق عليه(نحو الجملة)، وأصبح مجـال اشتغاله المعرفيّ الجديد هو النصّ؛ حيث يسعى للكشف عن آليـات اتّساقه وانسجامـه، تلك الآليـات اللّغوية وغير اللّغوية تجعلنا نسمّي النصّ بالنصّية.

وبناء على ذلك، فإنّ لسانيات النصّ تنطلق من أنّ النصّ بنية متماسكة ذات نسق داخلي تربط بين عناصره علاقات شكليّة ونحويّة ودلاليّة؛ حيث يرى علماء اللّغة أنّ النصّ يمثّل الوحدة الطبيعيّة للتّواصل اللّغوي بين المتكلّمين، وهذا التّفاعل أو التّواصل لا يتمّ بجمل وعبارات معزولة، وإنّما يحصل عن طريق إنجازات كلاميّة أوسع ممثّلة في الخطاب أو النصّ؛ لأنّهما يمثّلان الوحدة الأساسيّة للتّبليغ و التّبادل،و بالتّالي فإنّ المهمّة الأساسيّة التي تسعى إلى تحقيقها لسانيات النصّ هي بيان كيفيات التّماسك والتّرابط النصّي وأشكاله بين الأجزاء المكونة للنصّ، إلى جانب وصف وتحليل الأبنيّة النصيّة والعلاقات التي تساهم في اتّساق النّصوص وانسجامها.

وقد تناهى إلى أذهاننا ونحن نعاين من خاضوا القول في مسألة التّرابط من التّراثيين العرب على اعتبار أنّ هذا التّخصيص سيمكّننا لا محالة من الالتفات إلى المظاهر الخطابيّة التي عالجوها بداية من القرآن الكريم، ثمّ القصائد فالرسائل والخطب وغيرها، مبرزين وعيهم بفكرة تماسك الخطاب وتآخذه، فضلا عن ارتباط أجزاء بعضه ببعض، والملاحظ أنّ المشتغلين بعلوم القرآن والمفسّرين والبلاغيين كان لهم النصيب الأوفر في مقاربة النصّ القرآني وذلك بتوظيف كثير من الآليات والأدوات النصيّة بغية استجلاء مظاهر انسجام النص القرآني وإعجازه.

انطلاقا من هذا التّقاطع، وتفاديا لإحداث الانفصام بين الدّرس اللّغوي العربي، والدّرس اللّغوي الغربي، جمعت الدّراسة بين التّراث والحداثة؛ ولأنّ البحث في التّراث عامّة، وفي كتاب

البرهان في علوم القرآن بخاصّة، أمر تنوّعت فيه الدّراسات على اختلاف التّخصصات، فقد تناوله بالدّراسة والتّحليل: النّحاة، واللّغويون، وعلماء الأصول والبلاغيون وغيرهم، كلّ من زاويته مستثمرين إيّاه في أبحاثهم المختلفة، ومن هنا كان لابدّ من تحديد طبيعة هذا الموضوع في صيغته النهائيّة على النّحو الآتي:" **نصيّة النصّ و مظاهرها في التّراث اللّغوي العربيّ – البرهان في علوم القرآن للزركشي– أنموذجا–** " إيمانا منّا بضرورة استثمار لسانيات النصّ في قراءة التّراث اللّغوي العربي بمناهج لسانيّة حديثة.

يطرح هذا الموضوع إشكاليّة أساسيّة تتمحور حول تحليل الخطاب القرآني يمكن حصرها في جملة من الأسئلة المنهجيّة و المعرفيّة على النحو الآتي:

– هل هناك رؤية نصيّة في التّراث اللّغوي العربي؟ وخاصّة في مدوّنة البرهان في علوم القرآن للزركشي؟

– كيف أصبحت الدّراسات القرآنيّة تعتمد على معطيات لسانيّة نصيّة حديثة؟

وتكمن أهميّة هذه الدراسة في أنّها تجاوزت الجملة إطارا نهائيا للتّحليل،وجعلت المتلقّي شريكا أساسيا لا ينبغي تجاهله في تلقّي النصّ، وفي الحكم على تماسكه، كما أنّ النصّ القرآني لا تُفَسَّرُ اللفظة منفردة منه أو الجملة، وإنّما يفسّرها ما حوله من ألفاظ وجمل وآيات، قد تمتدّ إلى النصّ القرآني كلّه، وهو ما يسمّى بالمناسبة وكلّها مرتبطة بأدوات التّرابط النصّي، ومن هنا وجب التّطرق لهذا الموضوع لتتبّع المظاهر النصيّة وأهمّ وسائل وآليات تماسك النصّ القرآني داخل المدوّنة التي اخترناها.

وتعود دوافعنا لاختيار هذا الموضوع إلى عدّة أسباب أهمّها:

– إغفال الدّرس اللّساني العربي لأمور كثيرة أفرزتها لسانيات النصّ عموما،كمفهوم البنية الكليّة والنصيّة والمناسبة والسياق...إلخ.

– قلّة الدّراسات اللسانيّة النصيّة حول الإمام الزركشي، إن لم نقل انعدامها على الرغم ممّا يملك قوّة لغويّة متماسكة تميّز بها كتابه في جميع العلوم، والرغبة في معرفة خصائص الخطاب القرآني من منظور الدّراسات اللسانيّة الحديثة.

– الإسهام في المجال التّطبيقي في علم لسانيات النصّ بالبحث والتّحليل؛ ممّا يخدم تراثنا العلمي واللّغوي لتحقيق التثاقف وتبادل المعارف أخذا وعطاءً مع ما توصّلت إليه الدّراسات اللّغوية الحديثة، وكذلك من أجل تحديد المجال اللّساني النصّي في التّراث العربي، وكان ذلك بعد توجيه واع من قبل الأستاذ المشرف وآرائه السّديدة في رسم معالم هذا الإشكال على نحو أدقّ.

– إخراج مكنونات التّراث اللّغوي العربي المتعلّق بنحو النّص؛ أي تبيان آراء وتبصّرات القدامى حول دراسة النصّ كوحدة كليّة؛ وذلك بالبحث في آليات تماسكه وتناسبه بنظرة لسانيّة حداثية سعيًا وراء كشف نصّيته.

هذه الأسباب وغيرها دفعتنا إلى معالجة هذا الموضوع وسط مجاله، سعيا منّا للإجابة على أسئلة تطوف في الذهن منذ بداية فعل الكتابة في هذه الدّراسة.

بناء على ذلك ارتأينا أن نحقّق جملة من الأهداف منها:

– التعرّف على لسانيات النصّ في التّراث اللّغوي العربي وربطها بالدّراسات النصيّة الحديثة .

– الرّبط بين لسانيات النصّ وتحليل الخطاب في نسق معرفي واحد وشامل لتسهيل عمليّة التّواصل بين العلمين.

– استلهام التراث العربي في دراسة قضايا لسانيات النصّ؛ أي قراءة التراث العربي في ضوء المنهج اللساني النصيّ.

– رصد أهمّ المظاهر النصيّة التي وردت في مدوّنة الزركشي.

اقتضت منّا طبيعة موضوع البحث الاعتماد على المنهج الوصفي التّحليلي الاستنباطي، فكان الوصف عند التّعامل مع الظواهر اللّغوية في لسانيات النصّ وتحليلها، واستنباط النّصوص

التي كانت مجالا لهذه الدّراسة، بالإضافة إلى إحصاء أهمّ وسائل الرّبط الشكليّة والدّلالية ورصدها من كتاب البرهان .

أسهم في العصر الحديث نفر غير قليل من الدّارسين بأعمالهم في المزج بين الدّراسات العربيّة والدّراسات الغربيّة من مثل: إسهامات "محمّد خطابي" في كتابه لسانيـات النصّ مدخل إلى انسجـام الخـطاب، الذي بحث في مجالات تحليل الخطاب في التّراث العربي سواء في البلاغة والنّحو والنقد والتّفسير وعلوم القرآن، مبرزا أهمّ الوسائل التي تحقّق الاتّساق والانسجام للنصّ، و"خلود العموش" في دراساتها النصيّة خاصّة في كتابها الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النصّ والسياق؛ حيث عالجت قضايا النصّ والخطاب والسياق، وجهود "صلاح فضل" في كتابه بلاغة الخطاب وعلم النصّ، و"أحمد المتوكّل" الذي درس تحليل الخطاب في ضوء نظريّة النّحو الوظيفي وغيرها من المطبوعات التي اقتحمت علم النصّ .

أمّـا فيما يخصّ الأعمال المخطوطة التي عالجت لسانيات النصّ وتحليل الخطاب نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- رسالة دكتوراه لـ" بلقندوز الهواري": التّداوليات النصيّة، مقاربة في فهم الخطاب وتأويله من جامعة وهران، 2009م.

- رسالة دكتوراه لـ"معراجي عمر": التّشاكل النصّي بين الاتّباع والابتداع دراسة في ألسنية النصّ، من جامعة مستغانم، سنة 2010م.

- رسالة دكتوراه لـ" بن عائشة حسين": لسانيات النصّ والتأويل- قصّة حي ابن يقضان لابن الطفيل أنموذجا ، من جامعة سيدي بلعباس، 2012م وغيرهم.

تعدّدت الدّراسات التي تناولت كتاب **"البرهان في علوم القرآن للزركشي"** بتعدّد الدّارسين والمتخصّصين، فدرسه كلّ باحث من زاوية مختلفة، وحسب علمي فإنّ هذا الموضوع لم يبحث من قبل بهذا العنوان، إلا أنّ بعض أفكاره مبثوثة في بعض المراجع؛ حيث إنّ الجديد في الموضوع هو

أنّه يربط بين ما هو تراثي وما هو حديث في مجال لسانيات النصّ وسنقف في هذه الدّراسة على أهمّ أدوات التّرابط النصّي ومظاهره في مدوّنة الزركشي.

وقد استوفينا عملنا هذا في أربعة فصول تسبقها مقدّمة ومدخل وتتلوها خاتمة على النحو الآتي:

المدخل: عنوناه بـ اللسانيات النصيّة بين النشأة وتعدّدية المصطلح، تهيئة وتنشيطا لفكر القارئ وأدرجنا فيه عرض ثلاثة مسائل ممهّدة للموضوع وهي: نشأة لسانيات النصّ وتطوّرها، تعدّدية المصطلح اللساني النصيّ، ثمّ دلالة مصطلح الخطاب، وقد أسهمت هذه العناصر في بناء الجانب النظري والمعرفي للمجال اللساني النصّي.

أمّا الفصـل الأوّل: فتناولنا فيه لسانيات النصّ في التّراث اللّغوي العربي وتوزّع على مبحثين، خصّص المبحث الأوّل لدراسة الالتحام والتّماسك في التّراث العربي عند كلّ من الجاحظ والجرجاني، أمّا المبحث الثّاني اهتّم بالبحث عن التّماسك النصّي عند كلّ من حازم القرطاجني والسّيوطي؛ حيث قمنا بالتقصيّ والبحث عن ما جاء في مصنّفات هؤلاء العلماء من علاقات وأدوات نصيّة التي يمكن أن نعتمد عليها في تحليل النّصوص.

وفيما يخصّ الفصـل الثّانـي: وقفنا عند إسهامات الزركشي في كتاب البرهان في علوم القرآن، وأدرجنا تحته مبحثين: اختصّ المبحث الأوّل للتّعريف بالإمام الزركشي ومكانته العلميّة بين العلماء، واهتمّ المبحث الثاني بمنهجه وجهوده اللّغوية في كتاب البرهان؛ حيث تطرّقنا فيه إلى دوافع تأليف الكتاب ومرجعية الزركشي وأسلوبه في تحليل الخطاب القرآني.

أمّا الفصـل الثالث: فيتحدّث عن تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النصّ وتوزّع كذلك على مبحثين، تضمّن المبحث الأول اللسانيات النصيّة من الجملة إلى النصّ، وعرضنا فيه ضرورة التّوفيق بين الجملة والنصّ وإشكالية التّصنيف، وبعدها شرحنا ثنائية النصّ والخطاب، للوصول إلى العلاقة التي تربط لسانيات النصّ بتحليل الخطاب، في حين اختصّ المبحث الثاني بذكر آليات

بناء لسانيات النصّ،وهنا وقفنا عند مفهوم النصيّة وأهمّ الوسائل اللّغوية (الشكليّة والدّلالية) التي تساهم في بناء النصوص .

وفيما يتعلّق بالفصـل الرابع: فقد كان الوجهة النظريّة التي عالجت الموضوع، والمكان الذي جال فيه معنى الجانب النظري، فجاء فصلا تطبيقيا بعنوان: مظاهر النصيّة عند الزركشي (الجانب الإجرائي). ووقفنا عند أهمّ أدوات تماسك النصّ القرآني: كالاتّساق والسّياق والمناسبة والإحالة والتّكرار والمقابلة، ورد العجز على الصدر...وغيرها، والتي كشفنا عنها في ثنايا هذا البحث من خلال مجموعة من النّصوص المفاتيح في مدوّنة البرهان في علوم القرآن.

أمّا الخاتمة: فقد تمّ فيها إيجاز أهمّ النتائج المستقاة من هذه الدّراسة ومحاولة إيجاد أجوبة لجملة من الإشكالات التي طرحناها في بداية هذا البحث.

وتحاول هذه الدّراسة فحص شروط النصيّة ومظاهرها للنصّ القرآني من خلال اختيار مدوّنة واحدة (كتاب البرهان).

ودعمنا بحثنا بملاحق حسبناها مفاتيح مهمّة من مفاتيح البحث على النّحو الآتي: ملحق الآيات القرآنيّة، وملحق الشّواهد الشعريّة، وملحق المصطلحات اللسانيّة النصيّة (عربي، إنجليزي)، وملحق الأشكال والجداول.

وقد اعتمدت هذه الدّراسة على عدد وافر من المصادر القديمة، والمراجع الحديثة العربيّة والأجنبيّة، في الميادين المتّصلة بها؛ حيث تنقّل الباحث بين كتب علمائنا القدامى من نحاة وبلاغيين ومفسّرين وغيرهم، إضافة إلى كتب علماء اللّغة المحدثين المطبوعة والمخطوطة والمجلات العلميّة.

وأخيرا تحاول هذه الدّراسة أن تضيء بعض معالم التّرابط النصّي في الخطاب القرآني، مع معطيات السّياق المختلفة مجتهدة أن تجمع بين نقطة البداية في التّماسك على مستوى الكلمات ثمّ الجمل، إلى الفقرات ثمّ الآيات وصولا إلى البناء الكلّي للنصّ، خلال اختيار مدوّنة واحدة (البرهان في علوم القرآن)، وإنّنا نأمل أن نكون قد أضفنا إلى الدراسات اللغويّة النصيّة شيئا يسيرا.

ومع اعترافنا بأنّ جهدنا قد قصر على رغبتنا المخلصة في اقتحام صرح التّراث العربي بما فيه من سعة الموضوع، فإنّ هذه الدّراسة المقدّمة بين أيديكم ما هي إلا محاولة متواضعة سعينا فيها إلى لفت الانتباه إلى المفاهيم التي طرحتها لسانيات النصّ الغربيّة الحديثة ومحاولة إيجاد الأصول لها في التّراث اللّغوي العربي، تأكيدا لقيمة ذلك التّراث .

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نتوجّه بالشّكر الجزيل لفضيلة الأستاذ الدكتور "بن عائشة حسين" على تفضّله بالإشراف على هذه الرّسالة وكريم خصاله، فما كان هذا العمل إلا واحدا من ثمار غرسه فله منّا كلّ التّقدير والامتنان، كما نسأل الله التّوفيق والسّداد في عملنا هذا،فإن وفّقنا فمن الله وإن أخفقنا فمن أنفسنا والله وليّ التّوفيق.

غالي عبد القادر/مستغانم 2022م

" إنّ اللّغة في جوهرها اصطلاح...ولكنّنا مازلنا نبحث المصطلحات الجديدة أو التي بسبيلها إلى التّداول و الشّيوع".

محمّد عناني، المصطلحات الأدبيّة الحديثة، ص 21.

مدخـــــل

اللسانيات النصيّة بين النّشأة وتعدّدية المصطلح

تمهيد:

تعدّ لسانيات النصّ (Text linguistics) من أحدث الاتّجاهات اللسانيّة التي تتعامل مع النصّ في كلّيته، كمنهج لساني يسمّيه بعض اللّغويين "نحو النصّ"، ويسمّيه البعض الآخر "اللسانيات النصّية"[1]، ينتقل هذا المنهج بدراسة النصوص وكيفيات استعمالها، وذلك من منطلق أنّ النصّ ليس مجرّد تتابع مجموعة من الجمل، وإنّما هو وحدة لغويّة نوعيّة، ميزتها الأساسيّة الاتساق والتّرابط.

إنّ اللسانيات النصيّة جعلت من الدّراسات السابقة للجملة، منطلقا لها في البحث وقامت بتوسيع آفاقها، فبفضل الدّراسات والجهود النصيّة، فسّرت ظواهر لغويّة هامّة منها: التّماسك والانسجام الدّلالي، وبنيات الحذف ودلالته وغيرها من الظواهر التركيبيّة، التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا مقنعا إلا في إطار النصّ كوحدة جامعة كليّة.

ويمكن لنا في هذا السّياق أن نلتقي مع اللساني صبحي إبراهيم الفقّي الذي شغلته المعالجة النصّية، ويذكر لنا مهام لسانيات النصّ، حيث يرى بأنّها تتجلّى في "إحصاء الأدوات والروابط التي تسهم في التحليل، ويتحقّق هذا الأخير بإبراز دور تلك الروابط في تحقيق التّماسك النصّي مع الاهتمام بالسّياق والتّواصل"[2]. وهي أدوات متكاملة تعمل جميعا لتحقيق ذلك الترابط والتماسك النصّي.

ولذا فإنّ المهمّة الأساسيّة التي تسعى إلى تحقيقها لسانيات النصّ هي بيان كيفيات الترابط النصّي وأشكاله بين الأجزاء المكوّنة للنصّ، إلى جانب وصف الأبنيّة النصّية وعلاقتها بالأجناس الأدبيّة، واستكشاف العلاقات التي تساهم في اتّساق النّصوص وانسجامها، وهي "تعنى بدراسة

1. محمّد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ، 2008م، ص59.

2. صبحي إبراهيم الفقّي: علم اللّغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دار قباء القاهرة، ط1، 2000م، ص 56.

النصّ وإبراز مميزاته وحدّه وتماسكه واتّساقه، والبحث عن محتواه الإبلاغي التّواصلي..."[1].هذا يعني أن لسانيات النصّ قد تمكّنت من تحديد العلاقات التي تربط بين الجمل وفقرات النصوص على مستويات مختلفة، منها الدّلالي والنّحوي والمعجمي؛ لأنّ هدفها هو تحديد الوسائل والآليات التي مكّنت من ربط الجمل وشكّلت منها وحدة دلاليّة متلاحمة الأجزاء.

وبالتّالي فإنّ عمل عالم لسانيات النصّ يعتمد أساسا على النصّ باعتبار أنّه الوحدة الرّئيسة التي يتوجّه إليها بالتحليل، "سواء قصر أو طال، اتّخذ شكلا واحدا أو عدّة أشكال، انحدر من مجال معرفي واحد أو عدّة مجالات، ألّفه شخص عادي أو غير عادي ذو موهبة خاصّة، وإلى غير ذلك من أشكال التّمييز، وذلك لأنّ مهمّة لسانيات النصّ تتمثّل في وصف العلاقات الداخليّة والخارجيّة للأبنية النصيّة بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر المتعدّدة لأشكال التّواصل واستخدام اللّغة، كما يتمّ تحليلها في العلوم المختلفة"[2]، وهذا ما يقودنا إلى القول بأنّ لسانيات النصّ علم شامل، وعالم لسانيات النص لا يمكنه أن يقتصر في دراسته التحليليّة على جنس واحد من النصوص، ولهذا كانت سمته أنّه علم متداخل الاختصاصات.

ومن هنا يمكن القول أنّ أغلب الباحثين يُجْمِعُون بالقول، على أنّ لسانيات النص نظريّة أو اتّجاه لغوي غربي، حديث يستقي بداياته من اللسانيات الوصفيّة والنّحو الوظيفي التوليدي، يعنى بوصف البنية الكلّية للنصّ، وتحليلها وبيان العلاقة القائمة بين أجزائها، متجاوزين بذلك حدود الجملة الواحدة، مع تركيز الاهتمام على توضيح أوجه التّرابط والتّتابع اللغويّة النصيّة التي تحقّق تماسك النصّ وتناسقه.

1. أحمد مداس بن عمار، تحليل الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النصّية، تحولات الخطاب النقدي المعاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، د ط، 2006، ص 495.

2. سعيد حسن بحيري، علم لغة النصّ، المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص110.

1.النشأة والتّطور:

تستدعي منّا طبيعة هذا البحث الوقوف قليلا عند الإرهاصات الأولى لظهور لسانيات النصّ، فهي فرع من فروع لسانيات النصّ؛ يعنى بدراسة مميزات النصّ والبحث في كيفية اتّساقه وانسجامه، وقد نشأ هذا العلم من منطلق دراسة النصّ دراسة لسانيّة تقوم على وصفه وتحليله تحليلا لغويّا يعتمد أساسا على تجاوز "الجملة" في التحليل البلاغي والانتقال إلى فضاء أرحب وأوسع هو الفضاء النصّي، وعلى حدّ قول الباحثة "خولة طالب إبراهيم" فإنّ هذا التحوّل الألسني الذي حدث في السنوات الأخيرة قد أخرج اللسانيات نهائيا من مأزق الدّراسات البنيويّة التركيبيّة التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية: الدّلالي والبنيوي والتداولي.

إنّ البداية الحقيقيّة لعلم لسانيات النصّ، كانت في نهاية العقد السادس من القرن العشرين. حينما نشر "زيليج هاريس" (Zilij Harris) بحثا عنوانه "تحليل الخطاب" (Discours Analysis)سنة 1952م، وكان هاريس مهتمّا بتوزيع العناصر اللغويّة في النّصوص المطولة، والرّوابط بين النصّ وسياقه الاجتماعي...[1]. ولذلك يعدّ عمل هاريس بمثابة بداية لعلم لسانيات النصّ.

ويؤكّد هذه الفكرة مالكوم كولتارد * "Malcom Coulthard" تحت عنوان (المحاولات المبكرة لتحليل الخطاب) يقول: "إنّه في الفترة الممتدة إلى أواخر الستينات كانت هناك محاولتان منفردتان لدراسة، وتراكيب ما فوق الجملة. إحداهما قام بها هاريس (1952م) والأخرى قام بها ميتشل " Mitchell " (1957م)، وعلى الرغم من عنوان مقالة هاريس الواعد(تحليل

1.Michael MC Carthy : Discours Analysis for language Teachers, Cambridge Univercity press, Great Britain, 1993. P 5.

*. مالكوم كولتارد: من مواليد 1941، باحث لساني إنجليزي اهتمّ باللسانيات التطبيقية وتحليل الخطاب. https://www.researchgate.net

الخطاب)، إلا أنّها كانت مخيبة للآمال، لأنّ العمل وفقا لتقاليد البولومفيدية، أنتج طرقا شكليّة لتحليل الحديث أو الكتابة [1].

غير أنّ البعض من الباحثين اللسانيين يشير إلى أنّ الأمريكية "إ.نيي" (I.Nye) قد تكون أوّل من أنجزت عملا يمثّل إرهاصا حقيقيّا لعلم اللّغة النصّي في أطروحتها للدكتوراه عام (1912م)[2]؛ حيث ترى أنّ اللّغة لا يمكن أن تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة بل تكون على شكل نصّ متماسك بدءا من القول ذي الكلمة الواحدة و انتهاء بالمجلدات العشرة، وبالتالي فهي تناولت مسألة الربط بين الجمل و علاقتها الداخليّة على أسس و معايير نصيّة.

ومن أبرز المؤسّسين الحقيقيين لعلم لسانيات النصّ الهولندي "تون أ.فانديك" (T.A.VanDijk) و قد ضمّن هذا الأخير أفكاره و تصوراته لأسس و مبادئ هذا العلم، وسعى في جلّ دراساته إلى إقامة تصوّر متكامل حول "نحو النصّ" منذ (1972م)؛ حيث ظهر كتابه يحمل عنوان "بعض مظاهر أنحاء النصّ" (quelques aspects de la grammaire du texte)، مع الإشارة إلى أن "فان دايك" لم يفرّق في هذا الكتاب بين النصّ و الخطاب وظلّ مستمرا حتى عام (1977م) في مؤلّف آخر بعنوان" النصّ والسّياق"(Text and context) وحتى كتاباته الأخيرة؛ حيث بدأ ينطلق من تحليل سيكو لساني للخطاب والنصّ رابطا بين الدّلالة والتّداولية"[3]، وبهذا استطاع أن يأخذ بعين الاعتبار كلّ الأبعاد التي لها صلة بالخطاب، بما في ذلك الأبعاد البنيويّة والسّياقية والثقافية، بمعنى إرساء قواعد متينة في تحليل الخطاب وفق المنظور النصّي، متجاوزا بذلك حدود الجملة.

يقول "فان دايك" في هذا الصّدد: "لقد توقّفت القواعد واللسانيات التقليديّة غالبا عند حدود وصف الجمل... وأمّا في علم النصّ، فإنّنا نقوم بخطوة إلى الأمام، ونستعمل وصف الجمل

1.Malcolm couthard : An introduction to discourse analysis, longman, London New York, 1985 p3.

2. سعيد حسن بحيري: علم لغة النصّ (المفاهيم والاتجاهات)، المرجع السابق، ص 18.

3. سعيد يقطين : انفتاح النصّ الروائي(النصّ والسّياق)، الدار البيضاء، بيروت، ط 2، 2001م، ص 14.

بوصفه أداة لوصف النّصوص، وما دمنا سنتتبّع هنا المكونات المعتادة للقواعد، وسنستعمل النصوص المستخدمة بغية وصف الجمل، فإنّنا نستطيع أن نتكلّم عن قواعد النصّ"[1].

وممّا يلاحظ فإنّ لسانيات النصّ قد جعلت من الدّراسات السّابقة للجملة منطلقا لها في البحث، وقامت بتوسيع آفاقها، فبفضل الدّراسات والجهود النصيّة فُسّرت ظواهر لغويّة هامّة منها: التّماسك النحوي للنصّ، والانسجام الدّلالي، وأبنية التّطابق والتقابل والتراكيب المحوريّة وبنيات الحذف ودلالته وغيرها من الظواهر التركيبيّة التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا مقنعا إلا في إطار النصّ كوحدة جامعة كليّة، وهذا ما أشار إليه "فان ديك" في كتبه (النص والسياق) و(علم النص مدخل متداخل الاختصاصات). فقد وسّع النظرة اللسانيّة النصيّة بأن يلفت الأنظار نحو الجانب الدّلالي و التّداولي على غرار الدّراسات السابقة التي اقتصرت عل تحليل المستوى السطحي فقط.

ثمّ توالت الأعمال والأبحاث بعد "فان دايك"، وظهر لغويون بارزون ألّفوا في علم النصّ أمثال: دريسلر "Dresseler" وهارفيج "Harveg" وجليسون "Gleason" وبرينكر "Brinker" وروبرت دي بوجراند "Robert De Beaugrand" وغيرهم[2].

وقد أصبح هذا العلم (لسانيات النص) حقيقة راسخة على يد الأمريكي "روبرت دي بوجراند" في الثمانينات من القرن العشرين، حيث ألّف كتابا مهمّا يحمل عنوان "النص والخطاب والإجراء" (Text, Discourse and process) وبخاصّة بعد أن وضع سبعة معايير، والتي يجب أن تتوفّر في النصّ ليكون نصّا مترابطا ومنسجما.

ويعلّل تمام حسان ضرورة تجاوز دراسة الجملة من لسانيات النصّ حيث يقوم في مقدمة كتاب: "النص والخطاب والإجراء" الذي قام بترجمته "والاتّصال لا يتمّ بواسطة وصف الوحدات

1. فان دايك: النصّ بنى ووظائف، مدخل أوّلي إلى علم النصّ، تر: منذر عياشي ضمن كتاب (العلاماتية وعلم النصّ)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2004م، ص 147.

2. ينظر: عفيفي، أحمد، نحو النصّ: اتجاه جديد في الدرس النحوي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 2001م، ص 32و33.

الصغرى صوتيّة وصرفيّة، ولا بعرض الوحدات النحويّة، وإنّما يتمّ باستعمال اللّغة في موقف أدائي حقيقي؛ أي بإنشاء نصّ ما، وقد يطول هذا النصّ ويقصر" [1].

لقد حظي "دي بوجراند" بنصيب وافر في مجال الدراسات اللسانيّة النصيّة، حيث أصبح من أشهر أقطاب علم النص، الذي حدّد بدقّة معايير النصّية؛ وذلك من أجل جعل النصّية أساسا متميّزا في تحليل النصوص، وأهميتها في عملية الإبلاغ والتّواصل بجميع عناصره، وما يتّصل به من وبين النصّية، والتداول والتي هي محور اهتمام الدّراسات المعاصرة من لسانيات النصّ والتّداولية وغيرها.

كان حديثنا هذا عن نشأة علم لسانيات النصّ في الغرب، أمّا انتقاله إلى اللّغة العربيّة فقد كان عن طريق الترجمة،وذلك ما أقرّه "سعيد حسن بحيري" عندما تعرّف على كتاب علم النصّ (مدخل متداخل الاختصاصات) تأليف: فان دايك في سنة (1885م)؛ حين بدأ يتحوّل إلى مجال علم اللغة النصّي أو علم لغة النصّ[2]. أمّا أوّل بداية مهمّة إلى هذا العلم، كانت في ثنايا بحث سعد مصلوح الذي عنوانه: "من نحو الجملة إلى نحو النص"، الذي صدر عام(1989م) في الكويت[3]. بالإضافة إلى جهود طائفة من العلماء أمثال سعيد يقطين الذي ضمّ بحثه بعض أدوات علم اللغة النصّي في كتابه: انفتاح النصّ الروائي (النص والسياق)، و محمّد خطابي، تمام حسّان ومُحَمَّد مفتاح... والتراث العربي لم يخل من البحث حول مزايا النصّ وأهميته، ولنا وقفة مع الإمام الزركشي في هذا المجال.

وبالتالي فلسانيات النصّ علم حديث النشأة يعدّ بمثابة حلقة للتطوّر الموضوعي والمنهجي في دراسة النصّ، وصيغة جديدة للتعامل مع النصوص المقروءة والمكتوبة؛ أي هو علم يحاول رصد

1. ينظر: روبرت دي بوجراند، النصّ والخطاب والإجراء، تر: حسّان تمّام، عالم الكتب، القاهرة، دط ،1988م، ص 04.
2. تون.أ.فان دايك: علم النصّ، مدخل متداخل الاختصاصات، تر وتع: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001م، ص 07.
3. ينظر: سعد مصلوح، من نحو الجملة إلى نحو النصّ، تحرير وديعة طه، النجم وعبده بدوي، جامعة الكويت، كلية الأدب، دط، 1990م، ص 406.

العلائق المختلفة التي تضمّ الجمل بعضها ببعض من خلال روابط زمنيّة ومكانيّة وتركيبيّة، وتعالج ما يتّصل بالمضمون خاصّة من أجل أن يتّصف النصّ بالنصيّة.

وتأسيسا على ما سبق، فإنّ معظم علماء اللّغة يتّفقون على أنّ لسانيات النصّ نظرية أو اتجاه لغويّ حديث يُعنى بوصف البنية الكلية للنصّ و تحليلها وبيان العلاقات التي تربط بين الجمل وفقرات النصوص على مستويات مختلفة منها، المعجمي والنّحوي والدّلالي، متجاوزين بذلك حدود الجملة الواحدة كما هو مألوف في النّحو العادي، مع التركيز على تحديد الوسائل التي مكّنت من ربط الجمل وشكّلت منها وحدة دلاليّة متلاحمة الأجزاء.

2.تعدّدية المصطلح اللّساني النصّي:

الجدير بالذكر أن الاختلاف في المصطلحات ليس بدعا في الدّراسات اللغويّة، بل في العديد من العلوم خاصّة في بداية نشأتها، وهذا أمر طبيعي على عدم الاستقرار بالمصطلحات وطبيعة العلوم وأهدافها.

ومصطلح لسانيات النصّ كذلك لم يسلم من هذه الفوضى في تعدّد الترجمات، ليس في الوسط النقدي العربي فقط، و إنّما أيضا عند النّقاد الغربيين، فقد أطلق عليه في بادئ الأمر في "اللغتين الألمانية و الفرنسية" مصطلح (Text grammar) ؛أي نحو النصّ، ليتحوّل في اللغة الفرنسيّة إلى مصطلح (Science du texte) و يُطلق عليه في الإنجليزية (discourse analysis) بمعنى تحليل الخطاب. ممّا يجعل ترجمته إلى "علم النصّ" في العربيّة أمرا مقبولا" [1].في حين تكون الترجمة الثانية لهذا المصطلح هي "تحليل النصوص"،ثم تطور المصطلح ليصبح "linguistique textuelle "وهو المتّفق عليه عند أغلب النّقاد واللغويين الغرب .

بينما نجد معظم الدّارسين أنّ ترجمتهم لا تختلف عن لسانيات النصّ، أمثال مُحَمَّد خطابي، تمام حسان وبشير إبرير، كما استعمل سعيد حسن بحيري، إلهام أبو غزالة وخليل مُحَمَّد، مصطلح علم لغة النصّ، أمّا صلاح فضل، وجميل عبد المجيد ومُحَمَّد الأخضر الصبيحي، اختاروا مصطلح علم

1. صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1425هـ، 2004م، ص 294.

النصّ في ثنايا كتبهم، وهو أشمل من نحو النصّ ولسانيات النصّ، لأنّه لا يقتصر على نوع واحد من التّحليل بل يتجاوزه إلى أشكال أخرى من النصوص(إشهار، المقال الصحفي والعلمي والفيلم السنيمائي، إعلانات، وكلّ منتوج ثقافي معاصر يتشكّل في هيئة نصّ). في حين استعمل إبراهيم خليل" نظرية النصّ" بينما استعمل أحمد عفيفي مصطلح "نحو النصّ"، أمّا فالح بن شبيب وصبحي إبراهيم الفقّي فقد استخدما" مصطلح علم اللّغة النصّي".

في حين نجد "الأزهر الزناد" لا يفرّق بين مصطلح "لسانيات النص" و"نحو النصوص" إذا أُخذ ذلك بمعنى النحو الواسع الذي يشمل في معناه كلّ القوانين لم تحكم نظاما ما[1]، هذا يعني أنّ هناك علاقة تربط نحو النصّ بعلم اللّغة النصّي ارتباط جزء بكلّ. حتى يكاد أن يصبح نحو النصّ أهمّ مقولة في علم اللّغة النصّي عند معظم الباحثين.

بينما نجد بعض الباحثين يفرّقون بين الاصطلاحين تحليل الخطاب وعلم النصّ، من خلال تنوّع المادّة اللغويّة التي تقع في دائرة اهتمامها، فتحليل الخطاب يرتبط أكثر باللّغة المنطوقة كالمداخلات المتأصّلة في الشفاهية، وتحليل النصّ أو علم النصّ يرتبط باللغة المكتوبة، كما يذهب إلى ذلك "ديفيد كريستال* " "David Crystal" وإن كان يرى بعد ذلك أنّ التحليل سواء أكان نصّا أم خطابا، فهو يشمل اللّغة المكتوبة والمنطوقة، مع تحديد الوظيفة التّواصلية[2].

ومن هذا المنطلق انتقل مصطلح لسانيات النص (linguistics of the text) إلى العربيّة وأصبح متداخلا مع المصطلحات الأخرى التي تفاعلت معه إلى نحو النص، علم النصّ أجرومية النصّ، علم لغة النصّ، علم اللغة النصّي، التّداولية النصيّة، علم النصيّة، علم دلالة النصّ والتّحليل اللّغوي النصّي ولسانيات النصّ تعدّ الترجمة الأنسب مصطلحا و مفهوما بالنظر إلى المصطلحات

1. الأزهر الزنّاد : نسيج النصّ، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1993م، ص 18.

*. ديفيد كريستال: لغوي وأكاديمي وكاتب بريطاني حائز على رتبة الإمبراطورية البريطانية ولد عام 1941م، ساهم في نشر الكثير من المؤلفات اللغوية https://ar.wikipedia.org.

2.David Crystal: the Cambridge Encyclopedia of language, Cambridge University (Press, New –York, (1977), P.116.

الأخرى و بإجماع معظم الباحثين اللسانيين كونه مصطلحا جامعا يعكس الأطر المعرفية والآلية الإجرائية للعلم ويهتم بالبحث في قضايا النصّ داخل اللسانيات [1] . وهو المصطلح الذي اعتمده الباحث "مُحَمَّد خطابي" في كتابه "لسانيات النص-مدخل إلى انسجام الخطاب- سنة 1991". وما اعتمده اللساني "جميل عبد المجيد" في كتابه "البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصيّة" .

وفي هذا الصّدد نقول أنّ جلّ الدّارسين يتّفقون على بعض المصطلحات والمفاهيم في الكتب المترجمة، مثل: النصّ ومعايير النصّ، النصيّة، علم النصّ، ويختلفون في الأخرى إلى حدّ التّضارب واعتمادها في التطبيق، ما يدفعنا إلى القول أنّ ملامح لسانيات النصّ الغربيّة من حيث المصطلحات والمفاهيم والقضايا الخاصّة بها قد انعكست على نظيراتها العربيّة عن طريق الترجمة والسير على خطى الغربيين في أبعاده النظريّة وممارساتها الإجرائية والمصطلحاتيّة.

حتى وإن تعدّدت هذه المقابلات العربية لمصطلح "لسانيات النصّ" فإنّ مدلوله واحد يتلخّص في كونه علم يبحث في سمات النّصوص وأنواعها؛ أي يدرس النصوص المكتوبة والمنطوقة على السواء، وهذه الدراسة تؤكّد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النصّ، وترتبط فيما بينها، إلى جانب وصف وتحليل الأبنية النصيّة، واستكشاف العلاقات التي تساهم في تحقيق تماسك النصّ وانسجامه.

لقد أثبت علماء لسانيات النصّ أنّ الوحدة الأساسيّة للغة هي النصّ باعتباره وحدة دلاليّة وبنية متماسكة ذات نسق داخلي تربط بين عباراته وعناصره علاقات منطقية ونحويّة ودلاليّة؛ أي لا بدّ من الانطلاق من النصّ لفهم اللّغة وظواهرها.

إنّ النصّ يمثّل الوحدة الطبيعيّة للتفاعل اللّغوي بين المتكلمين، فالتّواصل أو التفاعل بين المتكلمين لا يتمّ بجمل وعبارات معزولة، وإنّما يحصل عن طريق إنجازات كلاميّة ممثّلة في الخطاب أو

1. ينظر: نعيمة سعدية، لسانيات النصّ والخطاب الشعري، دراسة في شعر محمّد الماغوط، در الوسام العربي بيروت،ط1، 2015م، ص 99 و 100.

النصّ اللذان يمثّلان الوحدة الأساسيّة للتبليغ والتبادل، وعلى هذا الأساس جاء علم النصّ بنظرة شموليّة تتناول الظاهرة النصيّة من جميع أبعادها، اللغويّة والنفسيّة والاجتماعيّة وغيرها[1].

وعلى هذا الأساس فإنّ النصّ قطع مسارا تاريخيا ومعرفيا واسعا، ممّا جعله يتداخل مع مفاهيم وحقول معرفيّة عديدة، تقاربه في الأداء وتنفصل عنه في الشكل والصيغة، فقد يتداخل مفهوم النصّ، مع مفهوم الخطاب، ويتقارب النصّ مع الكتابة أو العمل الأدبي، ولكنّه يختلف معهم من حيث الخصوصيّة الشكليّة التي تميّزه عن غيره[2]، ولعلّ من أهمّ المفاهيم التي يتقارب معها النصّ هو مفهوم الخطاب، وهذا الطرح سيضعنا أمام تداخل حاصل بين هذين المصطلحين (الخطابي والنصي)، وهو ما برز عند اللسانيين في كثير من الدّراسات، وسنذكر فيما يلي هذه العلاقة التي تجمع بين النصّ والخطاب. وفي خضم حديثنا عن الخطاب لا بأس أن نعرج على تحديد الإطار المفاهيمي لهذا المصطلح في القرآن والتّراث وفي ظلّ الاتجاهات اللسانيّة الحديثة.

3.دلالة مصطلح الخطاب :

أ – لغة:

كلمة الخطاب في اللّغة العربيّة أحد مصدري الفعل خاطب يخاطب خطابا ومخاطبة وجاء في "لسان العرب لابن منظور": الخِطاب : خَطَبَ ، والخَطْبُ : الشأن والأمر، صَغرَ أو عَظُمَ ، وقيل هو سبب الأمر ، يقال ما خطبك ؟ أي ما أمرك ؟ والخطبُ: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة ، والشأن والحال.والخِطْبُ: الذي يخطب المرأة ، وقيل المرأة المخطوبة.والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة ، وخطابا وهما يتخاطبان[3].

1. ينظر: محمّد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، المرجع السابق، ص10.

2. ينظر: حامد مردان السامر، تلقّي النصّ في الخطاب النقدي العربي المعاصر، دار الفكر للنشر والتوزيع القاهرة، ط1،1436 هـ، 2015 م ، ص 18.

3.. ابن منظور: لسان العرب، تح: أمين محمّد عبد الوهاب ومُحَمَّد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، مج 03، ط2، 1997م، مادّة " خ ط ب "، ص 360 .

فدلالة الخطاب في كلام ابن منظور لا تخرج عن معنيين: الحدث المجرّد من الزمن، وهو حدث الخطاب والدّلالة على المسمّى؛ أي ما يخاطب به و المعنى التواصلي يظلّ حاضرا في الأمرين معا، فمصطلح الخطاب هنا يتداخل و يشترك في المعنى مع لفظ الكلام.

ويقول "الفيروز آبادي" في القاموس المحيط " الخطب الشأن، والأمر صَغُرَ أو عَظُمَ،ج: خطوب. وخطب المرأة خطباً وخطبة وخطيبي، بكسرهما ، واختطبها، وهي خطبه وخطبته وخطيباه وخطيبته ، ويضمّ الثاني ، ج : أخطاب ... وفصل الخطاب : الحكم بالبيّنة ، أو اليمين أو الفقه في القضاء ، أو النطق بأمّا بعد " [1]. وفصل الخطاب أي فصل الخصام بتمييز الحقّ عن الباطل، فالخطاب الكلام المخاطب به.

أمّا في معجم اللّغة العربيّة فلا يشير إلى تطوّر هذه الكلمة في العربية المعاصرة وإنّما يكتفي بتفسير الخطاب بالكلام دون تقييد نوع الكلام، والخطاب بمعنى الرّسالة [2]. والخطاب من الألفاظ المتداولة في أصول الفقه ويراد به: "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام" [3]. وتحليل الخطاب: تحليل حديث أو مجموعة نصوص مرتبطة، كما أشار الشافعي في قوله [4]:

إِذَا اِحْتَدَمَ الجِدالُ فَكُنْ رَزِيناً وَ أَجْمَلُ في المَنَاقَشَةِ الخِطابَا

يظهر لنا من المعنى اللّغوي للخطاب اقتصار مفهومه على اللّغة المنطوقة في حالة المحاورة والجدال و المحادثة، بالإضافة إلى اللّغة المكتوبة في حالة المراسلة والتّواصل.

1. محمّد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص 478 .

2 . هانز فير: معجم اللّغة العربية المعاصرة، وضع ج. ملتون كوان، مكتبة لبنان، بيروت، ط3، 1980م، ص246.

3. علوي بن أحمد السقاف: الفوائد المكيّة فيما يحتاجه طلبة الشّافعية من المسائل والضوابط والقواعد الكليّة، مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، دس، ص 62.

4. أبو الفضل النيسابوري: مجمع الحكم و الأمثال، تح: محمّد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، دط، ص 228.

أمّا في المعاجم الأجنبيّة فإنّ الخطاب "مصطلح ألسني حديث يعني بالفرنسيّة (discours) وفي الانجليزيّة (discourse)، وتعني حديث، محاضرة، خطاب، خطاب، حادث، حاضر، ألقى محاضرة، وتحدّث إلى..." [1].

يمكن أن نقول عن التعريف اللّغوي للخطاب له دلالات ومفاهيم مختلفة حسب التّوجهات المنهجيّة التي تناولت هذا المصطلح وفي دراساتها و تطبيقاتها له حسب لغة معيّنة تختلف طبيعتها عن لغة أخرى و هذا ما يفسّر تعدّد معاني المصطلحات حسب البيئة الأصليّة للّغة المدروسة وهذا لا يعني بطبيعة الحال أنّ مفهوم الخطاب غائب لدى الدارسين بل إنمّا مدار الأمر أنّ كلّ باحث أو دارس يوظّفه حسب توجّهه المنهجي.

ب – اصطلاحا:

إنّ اللّغة أساس التعامل الإنساني، وهي وسيلة للتعبير عن أوضاع وحالات وأفكار محدّدة، والمصطلح هو ألف باء العلم لكلّ علم وأيّ علم كان، ومن هنا تأتي أهمّية تحديد مفهوم الخطاب عملا بمقولة "فولتير" (Voltaire)الشهيرة " قبل أن تتحدّث معي حدّد المصطلحات "[2].

وممّا تجدر به الإشارة هنا أنّ مصطلح الخطاب شأنه شأن المصطلحات التي تكوّنت حولها ضبابية الرؤية التعريفيّة، بمعنى أنّه كان ولا يزال محور جدل الباحثين في إيجاد صيغة تعريفية مانعة له. فهو (الخطاب) ليس بجديد في حقل الدّراسات اللّغوية، ولكنّه كيان متجدّد في كلّ زمن يتلوّن وينسجم وخصوصية استخداماته في كلّ حقل من حقول الدّراسات اللّغوية الحديثة[3]. وكاصطلاح لسانيّ يمتدّ كيانه من القرآن الكريم و النّصوص القديمة مرورا بالشعر العربي إلى غاية النصوص

1. إلياس أنطون إلياس: قاموس إلياس العصري، دار الجيل، بيروت، دط، 1972م، ص 191.

2. عبد القادر شرشال: تحليل الخطاب، دار الأديب سانيا، وهران، د ط ، 2006م، ص 04.

3. ينظر: ابن اسماعين إسماعيل، الخطاب القرآني وتجلياته، منشورات مخبر اللسانيات و اللّغة العربيّة، جامعة باجي مختار عنابة، مجلّة سنوية محكّمة، العدد 18، جانفي 2020م، ص 121.

والخطابات الحديثة بغض النظر عن أنواعها، كونه نسيج من الألفاظ يحدّد نظامه اللّساني وفق مستويات و خواص لغويّة معينة صوتيّة، نحويّة، صرفيّة، ودلاليّة.

يأخذ مصطلح الخطاب في الاستعمال الاصطلاحي معان كثيرة ومتعدّدة سواء في الفكر العربي أو الفكر الغربي إذ يحدّد بأنّه اللّغة التي يسيطر عليها المتكلّم في حالة استعمال، ليكون بذلك مرادفا للكلام (parole) وهو أيضا وحدة تساوي أو تفوق الجملة، مكوّن من متتالية تشكّل رسالة ذات بداية و نهاية و تشغل اللّغة فيه وسيلة تواصل[1].

فقد أدرك بنفنست وجود هذا التّداخل في المفاهيم لبعض المصطلحات اللّسانيّة الأخرى خلال حديثه عن الملفوظ (Enonce)؛ حيث ميّز بين نظامين للتلفّظ هما الخطاب والحكاية، ويميل إلى المنطوق أكثر من المكتوب لتحقيقه النصّية على اعتبار الكلام ينشئ الخطاب.

أمّا في مجال اللسانيات التداوليّة فالخطاب مرادف للكلام؛ أي الإنجاز الفعلي للّغة بمعنى أنّ: "اللّغة في طور العمل أو اللسان الذي تنجزه ذات معينة كما أنّه يتكوّن من متتالية تشكّل مراسلة لها بداية ونهاية" [2].

ومن هنا قامت التّداولية على تصحيح بعض المفاهيم التي كانت تشكّل في دلالتها نوعا من التّداخل والالتباس في كثير من الأحيان في الحقل اللّساني، وتنظر إلى الخطاب بأنّه كلام في أفقه التّواصلي الإنجازي الفعلي في مختلف المقامات التّخاطبية، والسّعي لفهم بنية الخطاب اللّغوي.

ويظهر لنا من التعريف أنّ الخطاب مرادف للكلام و تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوبا أو ملفوظا، وهو رأي دي سوسير ليكون الخطاب عنده هو الملفوظ من وجهة اشتغاله في التّواصل وما يتطلّبه السّياق الخطابي من مخاطِب ومخاطَب ورسالة ووضع ومقام وقناة تواصلية.

1.Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistiques, librairie larousse, imprimerie Berger-levrault, nancy, France, edition 1982, p 157, 486.

2. سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1997م، ص 21.

ولرصد دلالة مفهوم الخطاب نرجع إلى معجم اللّسانيات عند جون ديبوا* (joun.dubois) نجده يحدّد معنى الخطاب في ثلاث تعاريف تكشف عن حقيقة هذا المصطلح من حيث المفهوم [1]:

- الخطاب يعني الكلام (La parole).
- الخطاب مرادف للملفوظ (L'énoncé).
- الخطاب مرادف للّغة (Langue)، وهو يعني ملفوظ أكبر من الجملة؛ أي متواليّة من الجمل ينتجها مرسل واحد يتلقّاها المخاطب، وهذا ما يوضّحه المخطط الآتي:

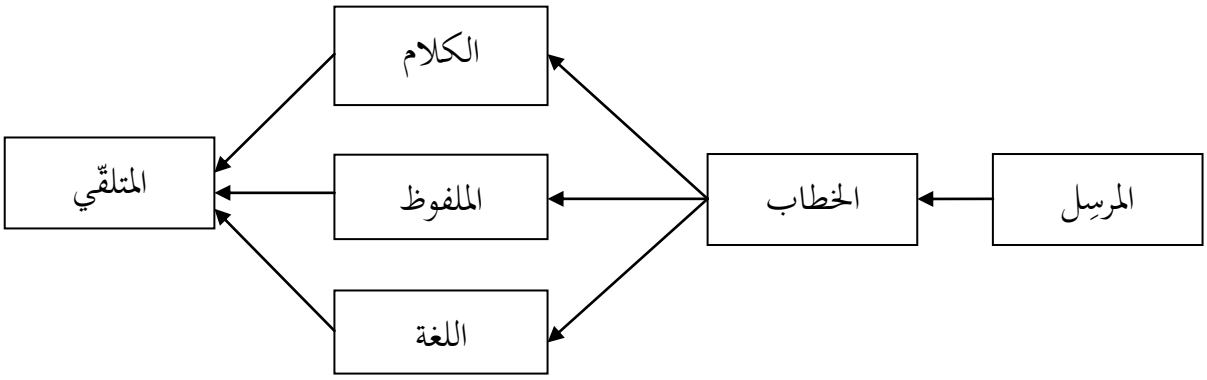

الشّكل رقم (01) : الخطاب عند جون ديبوا

يبدو من الشكل الاهتمام الواضح لديبوا للخطاب حينما جعله مرادفا للكلام واللّغة والملفوظ ونجد نفس الرأي الذي ذكره هاريس** في تحديده لمفهوم الخطاب من منظور لسانيّ بأنّه

*. جون ديبوا: كاتب فرنسي ولد بتولوز عام 1950، حصل على جائزة فيمينا الأدبية سنة 2004م، صحافي و روائي، ألف معجم لساني فرنسي https://ar.wikepedia.org

1.Jean dubois : dictionnaire de linguistiques et des sciences des langages, imprimerie « latipografica S.P.A » Italie dépôt, septembre 1999, p 152/135.

**. زليج هاريس: عالم لغوي ولد في الثالث والعشرين من شهرأكتوبر 1909م وتوفي عام 1992م، وهو أمريكي خبير في بناء الجملة، أشتهر بعمله في علم اللغة البنيوي وتحليل الكلام والتوصل للصيغة التحويلية في اللغة .

"ملفوظ طويل أو هو عبارة عن متتاليّة من الجمل تتكوّن من مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجيّة التوزيعيّة، وبشكل يجعلنا نظلّ في مجال لسانيّ محضٍ"[1]. فهنا حاول هاريس التسويّة بين المنطوق والمكتوب وتقديم الخطاب كمتواليّة من الملفوظات ذات علاقات معيّنة، تشكلّها جملة واحدة أو عدّة جمل.

بينما لو عرجنا على اللسانيات التلفظيّة لوجدنا أن إميل بنفنيست** (Emile Benveniste) تناول المفهوم الدّقيق للخطاب عندما عرّفه بأنّه "هو كلّ تلفّظ يفترض متحدّثا ومستمعا، تكون للطرف الأوّل نيّة التّأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال" [2].

يظهر من التعريف أنّ الخطاب في نظر بنفنيست يتمّ على مستويين متباينين:

1- مستوى الذات المخاطِبة (المتحدّثة/ المتكلّمة) يمثّلها الضّمير (أنا)، ويظهر في هذا المستوى الملفوظ كمنجز و إجراء فردي من طرف الذات المتكلّمة.

2- مستوى الذات المخاطَبة (المستمع/المتلقّي) يمثّلها الضمير المخاطب (أنت) كشريك في العمليّة التّواصلية وما يحدث بينهما من التّأثير والتّأثر. وهذا ما يوضّحه ويلخّصه المخطط الآتي:

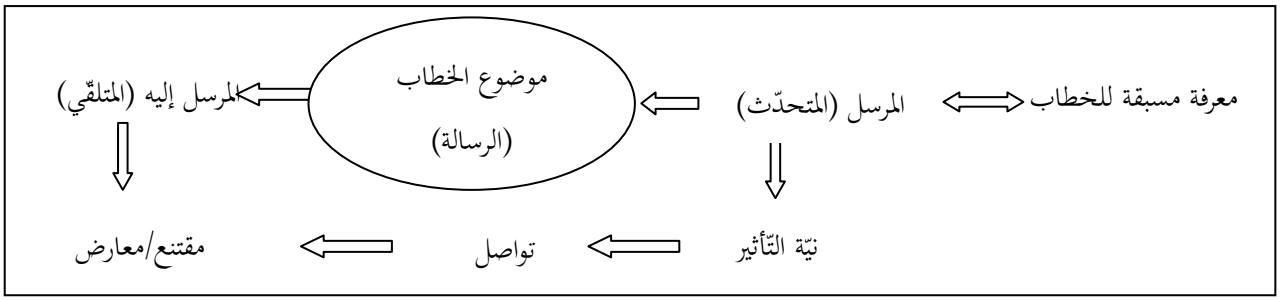

الشّكل رقم (02) : عناصر الخطاب

1. ينظر: سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي، النصّ والسّياق، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2001م، ص17. https://ezarabi.com

**. إميل بنفينيست: فرنسي الأصل، ولد يوم 27 ماي 1902م، وتوفي 03 أكتوبر 1976م، باحث لساني وسيميائي، عرف بأعماله المنصبة على اللغات الهندوأوروبية https://ar.wekipedia.org

2. E. Benvenist: problèmes de linguistique générale, paris : Gallimard, 1966, P239.

فالخطاب عند بنفنيست لا يقف به عند حدّ الملفوظات، فالتلفّظ هو الفعل الحيوي في إنتاج نصّ ما، ومقابل للملفوظ باعتباره الموضوع اللّغوي المنجز والمستقل عن الذات التي أنجزته ويرى فيه أنّ الجملة تخضع لمجموعة من الحدود؛ إذ هي أصغر وحدة في الخطاب، ومع الجملة يترك مجال اللسانيات كنظام للعلامات على اعتبار أنّ الجملة تستحقّ علامات وليس علامة واحدة وتدخل إلى مجال آخر حيث يصبح اللّسان أداة للتّواصل يُعبّر عنه بواسطة الخطاب، كما حدّده بنفنيست أنّه "ملفوظ منظور إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التّواصل..."[1].

فقد أدرك بنفنست وجود هذا التّداخل في المفاهيم لبعض المصطلحات اللّسانيّة الأخرى خلال حديثه عن الملفوظ (Enonce)؛ حيث ميّز بين نظامين للتلفّظ هما الخطاب والحكاية ويميل إلى المنطوق أكثر من المكتوب لتحقيقه النصّية على اعتبار الكلام ينشئ الخطاب.

أمّا في مجال اللسانيات التداوليّة فالخطاب مرادف للكلام؛ أي الإنجاز الفعلي للّغة بمعنى أنّ: "اللّغة في طور العمل أو اللسان الذي تنجزه ذات معينة كما أنّه يتكوّن من متتالية تشكّل مراسلة لها بداية ونهاية" [2] .

ومن هنا قامت التّداولية على تصحيح بعض المفاهيم التي كانت تشكّل في دلالتها نوعا من التّداخل و الالتباس في كثير من الأحيان في الحقل اللّساني، وتنظر إلى الخطاب بأنّه كلام في أفقه التّواصلي الإنجازي الفعلي في مختلف المقامات التّخاطبية، والسّعي لفهم بنية الخطاب اللّغوي.

وممّا سبق يتّضح لنا أنّ الخطاب مفهوم أوسع وأشمل من الجملة ، يتحدّد معناه المفهومي بناء على التلفّظ أو العلاقة بين طرفين : مخاطِب ومخاطَب " فالخطاب في هذا الفهم ذو طابع كلّي

1.إميل بنفنيست: سسيولوجية اللّغة، تر: القاسم سيزا ضمن كتاب مدخل إلى السيميوطيقا، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، 1999م، ص 129 .

2. سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1997م، ص 21.

وشمولي، لا يتوقّف على البعد اللّساني وحده ، ولا على البعد التّداولي المعني بالتّواصل في موقف محدّد ، ولكنّه يمازج بين هذه الأبعاد نظرا وتطبيقا " [1] .

ومن هذا المنطلق، فإنّ الخطاب يأخذ مفهومه بالنسبة إلى الوحدات اللسانية الأخرى كالآتي:

- بالنسبة إلى الجملة: يعتبر الخطاب وحدة فوق جملية.
- بالنسبة إلى الملفوظ: يشكّل الخطاب وحدة تواصليّة مجموعة بظروف إنتاج معيّنة وتشير إلى جنس معيّن من أجناس الخطاب، بينما النظر إلى النصّ من جهة بنائه.
- اللّغوي يجعلنا نتكلّم عن ملفوظ هو نتاج عملية التلفّظ، بينما يكون تحليل ظروف إنتاج هذا النص حديثا عن الخطاب.
- بالنسبة إلى النصّ: يعتبر النصّ خطابا إذا نظرنا إليه مجموعا مع سياق إنتاجه [2].

ومن هنا يمكن أن نستنتج من هذه المفاهيم السّابقة أنّ الخطاب هو استعمال للّغة وقد تكون هذه اللّغة مشافهة(كلام، ملفوظ)، أو مكتوبة (نصّ)، يشمل عناصر العمليّة التّواصلية الآتية: (المرسل، المرسل إليه/المتلقّي، الرّسالة، السّياق) غالبا ما يصدر عن المتخاطبين من أجل الإقناع والتّأثير، وبالتالي فدور الخطاب هو الإفهام، وبدون وجود شريكين أو أكثر لهما الرغبة في التّواصل فلا وجود للخطاب.

وخلاصة الأمر فإنّ مصطلح الخطاب تعدّدت دلالاته بتعدّد اتجاهات ومجالات تحليله وتناوله، و هذا ما يفسّر تداخل التعاريف في كثير من الأحيان أو تتقاطع وأحيانا أخرى يكمّل بعضها الآخر، و يمكننا القول بأنّه عمليّة من عمليات الاتّصال و إنتاج المعنى الذي يكسبه أبعادا وعناصر عديدة للتّواصل تضمن له الانسجام، تتمثّل في المخاطبين وسياق الخطاب ومقاصده.

1. محمّد عبد الباسط عيد: النصّ والخطاب قراءة في علوم القرآن، تقديم صلاح رزق، الناشر مكتبة الآداب علي حسن، القاهرة، ط1، 2009م، ص 17 .

2. محمود طلحة، تداوليّة الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، عمّان، الأردن، ط1، 2011م، ص 18 .

4.الخطاب القرآني :

ورد مصطلح الخطاب في القرآن الكريم اثني عشر مرّة موزّعة على اثني عشر سورة، ويصعب إحصاء مدى تواتر هذا المصطلح في كتب الحديث والسيرة حيث ذكر الخطاب في القرآن بصيغة "المصدر" في ثلاث آيات و هي في قول الله عزّ وجلّ:﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ, وَءَاتَيْنَٰهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾ (سورة ص، الآية 19)، وكذا قوله تعالى:﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي اِلخِطَابِ ﴾ (سورة "ص"، الآية 22). وقوله عزّ وجلّ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابا﴾ (سورة النبأ، الآية 37)؛ أي لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص في العذاب أو زيادة في الثواب، بمعنى لا يقدر أحد أن يخاطب الله في دفع بلاء، أو رفع عذاب في ذلك اليوم رهبة وجلالا [1]، فداود عليه السلام كان ملكه قويّا وثبّته الله سبحانه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود، وأتاه النبوة و الفهم السليم للكلام البيّن الذي يخاطب به.

وصفة "فصل الخطاب" عدّها الإمام فخر الدين الرازي من الصفات التي منحها الله تعالى لنبيه داود عليه السلام معتبرا إيّاها علامات تحقّق قدرة الإدراك والشعور التي يمتاز بها الإنسان على باقي أجسام العالم الأخرى من جمادات ونباتات وجملة الحيوانات، كما جاء في قوله تعالى ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ, وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ اَلْخِطَابِ﴾ (سورة ص، الآية 19)، هنا بيّن الله عزّ وجلّ كمال حال جوهر النفس النطقية لداود، وأردفه ببيان كمال حاله في النّطق واللّفظ والعبارة؛ لأنّ فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كلّ ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال بحيث لا يختلط شيء بشيء، وبحيث ينفصل كلّ مقام عن مقام[2].

وحديثنا عن الخطاب القرآني بإجماع الفقهاء والعلماء هو خطاب إلهي، وكلام الله تعالى المعجز في فصاحته وبلاغته، لم يستطع أحد تسميته إلّا كما سمّاه الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم بـ

1. الزمخشري جار الله محمود بن عمر: الكشّاف، دار الفكر، بيروت، لبنان، مج 4، دط، دس، ص 210 .
2. فخر الدين الرّازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ج26،ط1، 1421هـ، 2000م، ص164.

(الكتاب) متفرّد عن غيره من الخطابات في كلّ مستوياته الصوتيّة والتركيبية والإيقاعيّة والمعجميّة والتداولية [1]. ولاشكّ أنّ هذه الفرادة قد جاءت مرتهنة بصياغة لم يرق إليها أي نصّ آخر ؛إذ تحدّى أرباب الفصاحة في العربيّة فأقرّوه بتفوّقه وسموّه .

إنّ أهمّ ما يميّز الخطاب القرآني مرجعيته، فالله سبحانه وتعالى هو المرسل، والقرآن كلام الله أُنزل على الرسول ﷺ وهو أفضل الخطابات على الإطلاق من حيث الإبداع والإعجاز في اللّفظ والمعنى والتركيب وما تضمّنه من إعجاز لغوي و علمي وتشريعي خطابه متفرّد بمعنى ليس كمثله شيء وليس لأحد أن يأتي و لا بآية من مثله. خطاب تحدّى به المرسل المتلقّي (الإنس و الجنّ) بأن يأتوا بمثله أو بأقصر سورة منه، أو حتى آية واحدة على شاكلة نظم آياته وسوره [2]. كما جاء في قوله عز و جل: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(سورة الإسراء، الآية 88)، ومازال التحدّي قائما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فالخطاب القرآني رسالة إبلاغية ربانيّة موجّه للنّاس كافّة هاديّا ومنيرا، وهذه الرسالة خالدة أبديّة ليست بعدها رسالة، وأنّ صلاحيتها باقية إلى يوم الدّين، جاءت لتستوعب الزمان والمكان والإنسان، وفي هذا الصّدد يقول الشيخ الغزالي: "فالخطاب القرآن عالميّ ورسالته خاتمة، وله بعد في الزمان الماضي والحاضر و المستقبل، وله بعد في المكان بحيث يشتمل كلّه" [3].

وقد اتّضحت هذه الوضعية أحسن في الكثير من الآيات القرآنية على لسان سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك على سبيل المثال قوله عزّ و جلّ:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ (سورة "الأعراف" الآية،

1. بن يحي طاهر ناعوس: تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النصّ، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، دار القدس، وهران، 2014، ص 33.

2. ابن اسماعين إسماعيل: الخطاب القرآني و تجلّياته، منشورات مخبر اللسانيات و اللغة العربية، جامعة عنابة، مجلة سنوية محكمة، العدد 18، جانفي 2020م، ص 129.

3.محمّد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط7، يوليو 2005م، ص 216.

158)، ففي هذه الآية دلالة دامغة على عالمية الرسالة المحمديّة؛ حيث أنّها لم تختص بقوم أو أرض معيّنة، بل هي للناس كافّة في مشارق الأرض ومغاربها، بما تضمنته من قوانين تناسب تطوّر البشريّة وتتماشى مع كمال أصولها العقيدية [1]، ولعلّ مجيء الخطاب القرآني بصيغة الشمول والعموم لجميع الناس هو دليل على صدق عالميّة هذه الرسالة.

وعلى هذا يتّضح لنا أنّ الخطاب القرآني له دور فاعل و مهمّ في احتواء كلّ ما من شأنه أن يتيح للرسالة الخالدة مخاطبة الإنسان على وجه العموم بقصد توجيهه ونصحه والتّأثير في مناحي حياته كافّة و هذا دليل كاف على أهميّة الخطاب القرآني و قدرته على إقناع العقل الفطري السليم للإنسان بعد فهم آياته و تدبّر معانيه.

أمّا من حيث بنيته اللّغوية فهو خطاب تنتظمه وحدة بنيويّة خاصّة؛ أي أنّه نظام لغويّ يمتاز بالاتساق (التّرابط الشكلي) والانسجام (التّرابط المعنوي)، فلا يعادله أي خطاب آخر في نظم دواله ودقّة مدلولاته وتأليف وتناسق عباراته ، ومن هنا كان اختيار الكلمات ثمّ تركيب بعضها إلى جنب بعض، وتعليق بعضها ببعض تعليقا نسمّيه النظم أو التّأليف قد روعي فيه أن يكون على نحو يحقّق تلك الصلاحيّة[2] .

إذن فلخطاب القرآني كنصّ يخضع لنظام لساني وشكل لغويّ تحدّده اللّغة العربيّة في تراكيبها وأنساقها ودلالاتها، وهذا ما يحمل المتلقّي على التعامل مع بنية الخطاب وفق ما يتطلّبه سياق الممارسة نفسها، وإذا كانت اللّسانيات في العصر الحديث تستعمل مصطلح الخطاب للدلالة على مقطع مكتوب أو شفوي بغض النظر عن طوله ليس إلّا أن يشكّل كلّا متماسكا.

ويتميّز الخطاب القرآني عن بقية النصوص "بفرادة تماسكه وكيفية هذا التماسك، فهو نصّ يقدّم نفسه بوصفه نصوصا متداخلة في إطار السورة الواحدة كما يقدّم نفسه بوصفه نصوصا متداخلة في إطار السورة الواحدة، كما يقدم نفسه بوصفه نصوصا متداخلة في إطار السور

1.ينظر: فكري محمّد الجودي، جمالية الخطاب في النصّ القرآني، دار النشر القاهرة، ط1، 1435هـ، 2014م، ص94.
2. ينظر: المرجع نفسه، ص 95.

المتعدّدة" [1]، وهذا ما نجده عند الإمام الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن؛ حيث استطاع أن يرصد علاقات التّماسك النصّي بين السور والكشف عن إعجازية النصّ القرآني المقدّس، وسنوضّح ذلك في الجانب التطبيقي من هذه الدّراسة.

لقد احتوى الخطاب القرآني عل قيم كبرى أرسلها الله عزّ وجلّ إلى البشر في قوالب لغويّة بشريّة، ذات محمولات دلاليّة متعدّدة، استطاعت كخطاب أن تبث قيمتها من خلال تشكيلات لغويّة منسوخة بشكل بليغ، تواشج بعضها مع بعض، بما احتوت دواله من خصائص التّلاؤم والانسجام والدقّة في أداء دلالته ومقاصده. "خطاب يميل إلى مرجعية ثلاثية فهناك مرجعية الدّال، ويكون النصّ على مثال مرسله. وهناك مرجعية المدلول، ويكون النصّ فيها مثال متلقّيه، وهناك أخيرا مرجعية النصّ نفسه على نفسه ويكون النصّ فيها دالا ومدلولا خالقا لزمنه الخاص ودائرا مع زمن المتلقّين في كلّ العصور، وسمة القراءة في كلّ ذلك أنّ كلّ واحدة من هذه المرجعيات تستقل بذاتها وتطلب الأخرى في الوقت ذاته"[2].

وهذا ما يؤكدّ أنّ الخطاب القرآني لا ينطق إلا بلفظ؛ حيث لا يجوز لقارئه أن يقرأه إلا بلفظ داله، وإن اختلفوا في لغات المدلول، ولا يستطيع أحد أن ينقله إلى أيّ لسان آخر، كما ترجم الإنجيل والتوراة إلى العربيّة وغيرها [3]. فهو نصّ فعّال ومتجدّد تصلح قراءته في كلّ زمان ومكان هذه القراءة التي تحدّد بتحديد الذات القارئة والمفسّرة لمعانيه، ومراميه والتي لا تزال تكشف عن دلائل إعجازه وسرّ بلاغته وسلامة نظمه وسموّ فصاحته؛ حيث شكّلت كلماته وآياته كلّا متداخلا متماسكا محكم البنية، توافقت دواله مع مدلولاته لفظيا ومعنويا، ممّا جعل هذا الخطاب أرقى مستويات التعبير اللّغوي الفنّي العربي على وجه الإطلاق.

1. منذر عياشي: اللسانيات والدّلالة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، دس، ص 120.
2. منذر عياشي: مقالات في الأسلوبيّة، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ط1، 1990م، ص 241.
3. ينظر: بن يحي طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 34.

ولنا أن نشير هنا أيضا إلى طبيعة الخطاب القرآني من حيث التّواصل اللساني؛ أي أنّه -الخطاب القرآني- يحتوي بالإضافة إلى سلطته الإبلاغيّة عنصرا آخر وهو المتلقّي (المرسل إليه) باعتباره ضروريا في النصّ القرآني كي يكمل عملية التواصل ويبقي التلقّي عمليّة مستمرة فـ "كان المخاطب المتلقّي في الوحي موجودا منذ أوّل النزول، بل كان حاضرا حضورا بيّنا في أوّل لفظ: (اقرأ)"[1]، فحضور المتلقّي في الخطاب القرآني أمر حتميّ و ضروريّ لعمليّة التّواصل فلا تقوم إلا به.

ولنوضّح الفكرة نعطي مثالا على ذلك في قوله تعالى:﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (سورة هود، الآية 01)، فالله سبحانه وتعالى هو المرسل (المخاطِب) والقرآن الكريم رسالة مرسلة من الله سبحانه وتعالى، والمرسل إليه محمّد صلّى الله عليه وسلم، وجهت إليه رسالة القرآن الكريم التي تحمل كلّ صفاته؛ حيث نظمت آياته نظما محكما لا يلحقه تناقض ولا خلل؛أي بينت فيه أمور الحلال والحرام وما يحتاج إليه العباد في أمور المعاش والمعاد ولذا جاءت آياته محكمة أحسن الإحكام ومفصّلة أحسن التفصيل[2].

وقد جاء المخاطَب في كثير من المواضع في الخطاب القرآني يختلف فيها المشار إليه (الأشخاص) من موضع لآخر، فورد بين طرفي الخطاب المرسل (الذات الإلهية) و التي تتمتّع بخصوصيّة مطلقة كونها الذات العليا المتجاوزة لكلّ معطيات الخطاب من زمان ومكان كما يظهر في القرآن في بعده التّواصلي عن طريق ما يسمّى بالوحي، والمرسل إليه يكون أحد الخلق كالأنبياء أو الرسل أو المخلوقات...[3] كما جاء في قوله تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (سورة البقرة الآية 34) .

1. محمّد كريم الكوار: كلام الله، الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنيّة، دار الساقي، بيروت، ط1، 2002م، ص37.
2. محمّد علي الصابوني: صفوة التفاسير، تفسير القرآن الكريم جامع بين المأثور و المعقول مستمد من أوثق كتب التفسير، المكتبة التوفيقية، دار الصابوني، مكّة المكرّمة، المجلد الثاني، ط12، 2015م، ص 05.
3. ينظر: ابن إسماعين إسماعيل، الخطاب القرآني و تجلياته، المرجع السابق، ص 137.

تضمّن الخطاب في الآية معنى الأمر؛ أي أنّ الله سبحانه وتعالى خاطب سيدنا آدم عليه السلام وأمره بأن يسكن في جنة الخلد مع زوجته حوّاء، ونوضّح لهذه الدورة التّواصلية حسب التمثيل الآتي:

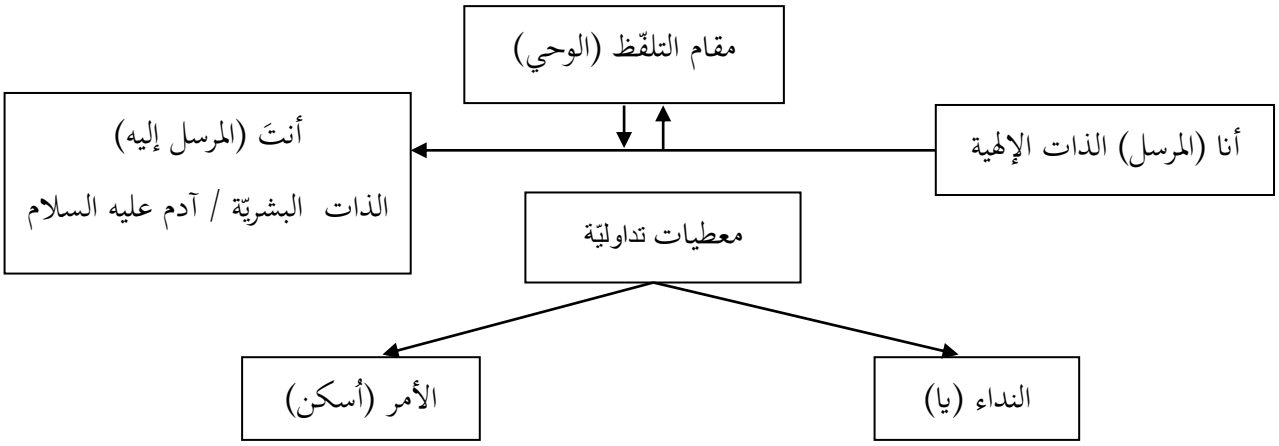

الشّكل رقم (03) : عناصر التّواصل في الخطاب القرآني

وعلى هذا وتأسيسا على ما سبق ذكره، فإنّ الخطاب القرآني سلطة روحيّة ربانيّة توفّرت فيه جميع المقوّمات لتحقيق هدف سام، وهو الإيمان بالله عزّ وجلّ وأنّه رسالة تبليغية تواصليّة تهدف إلى الإقناع العقلي والتّأثير بين المرسِل والمرسَل إليه، ويتكوّن من اللّغة في تراكيبها وأنساقها كنصّ يخضع لنظام لساني وشكل لغويّ تحدّده اللّغة العربيّة تصلح قراءاته في كلّ زمان ومكان والتي لا تزال تكشف عن دلائل إعجازه وسرّ بلاغته وسلامة نظمه وسحر بيانه. وما احتوت عليه من خصائص التّلاؤم والانسجام والدّقة في أداء دلالاته ومقاصده في ألفاظه وآياته.

5.الخطاب عند العرب القدامى والمحدثين:

أفضى مصطلح الخطاب في التّراث العربي إلى معان كثيرة ومتعدّدة، نتيجة لتعدّد مجالاته واختصاصاته، ففي ظلّ النظريّة النحويّة العربيّة فقد ارتبط بمصطلح (اللّغة) ومصطلح الكلام كما هو الشأن عند سيبويه(ت 180هـ)؛ حيث تظهر دلالة الخطاب من خلال دلالة مصطلح الكلام؛ أي أنّ الخطاب عنده يتأسّس على ركني الجملة العربية وهما: المسند والمسند إليه كعنصرين

متلازمين لا غنى لأحدهما عن الآخر ولا يجد المتكلّم منه بد، فلا تتحقّق الفائدة من الكلام إلا بتلازمهما، فلا يمكن للكلام أو الخبر تحقيق الفائدة كخطاب هدفه التبليغ إلا إذا تأسّس ذلك على المبتدأ (المسند إليه) و لا تتحقّق الفائدة إلا إذا وجد المبني عليه (المسند) [1].

بهذا نستطيع القول بأنّ سيبويه (ت180هـ) بوضعه لهذه القواعد النحويّة والتي استقاها واستنبطها من الخطاب القرآني ومن كلام العرب، كان بصدد وضع قواعد وقوانين يبنى عليها الخطاب بشكل عامّ من خلال نظام لغوي تتميّز به اللّغة العربيّة؛ حيث تحدّث عن مفهوم الكلام بطريقة تقترب من مفهوم الخطاب الذي جاء به المعاصرون والذي يستوجب مراعاة حال المستمعين واختيار اللفظ المناسب وكلّ ما له علاقة بعناصر العملية التواصليّة الخطابية من متكلّم ومتلقّي و رسالة و سياق و غيرها.

أمّا الخطاب عند ابن جني (ت 392هـ) فقد ارتبط مفهومه بمفهوم اللّغة؛ حيث يقول بأنّها: " أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"[2] . فإذا قمنا بتحليل هذا التعريف نجده يتكوّن من أربعة عناصر أساسيّة ترتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم الخطاب في الدّرس اللساني الحديث، لاسيما وظيفة الخطاب الأساسيّة المرتبطة بالعمليّة التواصليّة وهي:

- طبيعة اللّغة من حيث مادّتها وهي الأصوات ونسق من الإشارات والرموز.
- طبيعة اللّغة من كونها اجتماعية ومرتبطة بكيان اجتماعي وبنية لغويّة.
- أنّ أفكار الإنسان تصاغ دوما في قالب لغويّ حتى في حال تفكيره الباطني، ومن خلال اللّغة تحصل الفكرة فقط على وجودها الواقعي، فهي تجسّد علاقة نفسيّة بين الفكر واللغة.
- وظيفة اللّغة التعبيريّة عن الأغراض والمقاصد [3].

1. سيبويه: الكتاب، تحقيق و شرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج1، ط1،1983م، ص 23.
2. ابن جنّي: الخصائص، تح: مُحَمَّد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2، ط1957م، ص33.
3. ينظر: ابن إسماعين إسماعيل، الخطاب القرآني و تجلّياته، المرجع السابق، ص127.

يمكن القول أنّ مفهوم اللّغة عند ابن جني كان يتضمّن مفهوم الخطاب باعتبار اللّغة تتجسّد في الخطاب الذي يجسّد بدوره العمليّة التواصليّة للتعبير عن أفكار معلومة وأغراض مقصودة. وبمعنى آخر فإنّ مصطلح الخطاب يحمل دلالة لسانيّة تؤدّي وظيفة خطابيّة إخباريّة وتعبيريّة ورسالة لغويّة، حيث تصبح اللّغة بمثابة وسيلة في بعدها التّواصلي.

وقد اعتمد عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) إلى التّوجه نفسه لإيجاد تعريف جامع للخطاب، فانطلق على أساس اللّغة وهو النحو المنسجم مع الغاية من إنتاج الخطاب و القائم على أساس الدّلالة والسّياق ونظرية النظم؛ حيث أنّ معاني النحو ترتبط بالمكونات الخطابيّة أو ما يعرف باسم الأداء الكلامي لتؤلف خطابا مفهوما لدى المتلقّي، لذلك يؤكّد أنّ "نظم الكلام يقتفي فيه آثار المعاني و ترتيبها حسب ترتيب المعاني في النفس"[1]. فسياق الخطاب حسب الجرجاني لا يتأتى إلا من خلال معرفة علامات الإعراب في التراكيب والعلم بقوانين وقواعد النحو، والهدف من وراء هذه العوامل هو أن يكون خطاب الباثّ مفهوما لدى المتلقّي.

وفي هذا السياق يقول الجرجاني: "...لأنّه إذا كان النظم سويّا والتأليف مستقيما ،كان وصول المعنى إلى قلبك تلو وصول اللفظ إلى سمعك، وإذا كان على خلاف ما ينبغي وصل اللفظ إلى السمع وبقيت في المعنى تطلبه وتتعب فيه..."؛ والمقصود هنا هو أنّ بنية الخطاب هي التي تساعد على فهم محتوى الخطاب من خلال النظم والتراكيب المحكمة للألفاظ، التي تكون خادمة للمعاني، فحسن التأليف وتوخي المعاني النحويّة وأحكام النحو هو ما يساعد على نجاح العمليّة الخطابيّة والتّواصلية حيث تبقى دائمة ومستمرّة.

أمّا عند علماء الأصول فمفهوم الخطاب تعدّدت جوانبه واختلفت مرجعيته؛ حيث عرّف بأنّه "الخطاب المتعلّق بفعل المكلّف من حيث أنّه مكلف"[2] ، كما ارتبط مفهوم الخطاب عند

1. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م، ص70.

2. محمّد عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمّات التعريف، تح: محمّد رضوان الداية، دار الفكر دمشق، ط1، 1410هـ، ص 291.

الشافعي (ت294 هـ) بمفهوم النصّ، لاشتراكهما في الدّلالة وهو النصّ الذي يستنبط منه الحكم سواء كان من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي الشريف، وفي هذا الصّدد يقول عنه: "خطاب يعلم ما أريد به من الحكم سواء كان مستقلا بنفسه أو العلم المراد به غيره نافيا الاجتهاد* "[1]، ففهم الخطاب عند الأصوليين مقترن بفهم اللّغة العربيّة وما يتعلّق بأحكام الكتاب و السنّة.

وقد تطوّر البحث في عناصر الخطاب عند أبي حامد الغزالي (ت 505هـ) و ذلك "بأن يخلق الله تعالى في السامع علما ضروريا بثلاثة أمور: بالمتكلّم، و بأن ما سمعه من كلامه، و بمراده من كلامه، فهذه ثلاثة أمور لابدّ و أن تكون معلومة" [2]. فهو يكشف هنا عن أهميّة المخاطب (المتلقّي) في إتمام عملية إنتاج المعنى داخل الخطاب.

وحاول الآمدي (ت631هـ) أن يجد تعريفا جامعا و دقيقا للخطاب بأنّه: "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه" [3]. كما خصّ الكلام الموسوم بالبيان والتبيان وتجنّب الإبهام والغموض واللبس، بمعنى الخطاب فخلق تلازما بين المصطلحين "كلام" و"خطاب" [4]. والناظر للآمدي يجده قد استبعد كلّ الألفاظ التي لا يتوفّر فيها الشرط الدّلالي كالألفاظ المهملة والكلام الغامض الذي لا يفهم معناه من الخطاب، ومزج بين الكلام والخطاب باعتبارهما يدلّان على مقصود واحد.

---

*. الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية عند الأصوليين علم مستقل بنفسه، و لا يتأتى إلا لمن بلغ في اللّغة العربيّة درجة عالية و فهمها حقّ الفهم.

1. مُحَمَّد ابن إدريس الشافعي: الرسالة، تح: مُحَمَّد شاكر، المكتبة العلمية، القاهرة، ط1، 1358هـ، 1940م، ص51.

2. أبو حامد الغزالي: المستصفى في علم الأصول، تح: مُحَمَّد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، ج1، ط1، 1413هـ، 1993م، ص 184.

3. سيف الدين الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تح: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2، ط2، 1406هـ، 1986م، ص 136.

4. سيف الدين الآمدي: المبين في شرح ألفاظ الحكماء و المتكلّمين، تح: عبد الأمير الأعسم، بغداد، 1985م، ص385.

وقد اعتمد بدر الدين الزركشي (ت 794هـ) إلى نفس توجّه الآمدي عندما عرّف الخطاب بقوله: "إنّه الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيئ للفهم وعرّفه قوم بأنّه ما يقصد به الإفهام أعمّ من أن يكون من قصد متهيئا أم لا" [1].

وممّا سبق ذكره فإنّ فهم الخطاب عند علماء الأصول مداره التّواصل، وأنّ الوسيلة التي تعمل على تحقيقه هي فهم اللغة العربيّة بجميع مستوياتها الصوتيّة والنحويّة والصرفيّة والدلاليّة وما يتعلّق بالأحكام الشرعيّة في الكتاب والسنّة؛ أي أنّ كلّ خطاب هو حدث لغوي قبل كلّ شيء، ومن أجل ذلك حظي مصطلح الخطاب في هذه المرحلة بنظرة أوسع وأعمق حيث حمل أبعادا جديدة في الدّلالة جعلته أكثر قربا من مفهوم الخطاب في العصر الحديث.

أمّا عن مفهوم الخطاب عند المحدثين فقد ورد في كثير من مؤلفاتهم، إلا أنّ القارئ في كتاباتهم لا يجد فيها ذلك الوضوح الدّلالي الذي حظي به مفهوم الخطاب عند العرب القدامى إذ لا يلمس الباحث اتّفاقا لدى المحدثين في تعريفهم إيّاه أو رؤيتهم له على الرغم من كثرة ما كتبوا فيه؛ حيث ذكر أحد الفلاسفة العرب المهتمين باللّغة أنّه "لن نبالغ كثيرا إذا قلنا إنّ لفظ (الخطاب) هو أكثر الألفاظ تداولا في الخطاب العربي المعاصر..." [2].

تعدّدت تعريفات المحدثين للخطاب وتشتّت آراؤهم فيه، وتفاوتت نظرتهم له لدرجة قد تجعل تحديده من الأمور المستعصية [3]، على كثير من الباحثين. والمتأمّل في تلك الرؤى والتعريفات التي سطّروها المحدثين للخطاب يجد فيها شيئا من الغموض و الاضطراب الذي يصل إلى حدّ التناقض

1. الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: أحمد بن علي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1436هـ، 2015م ج1، ص168.

2.جمعان عبد الكريم: إشكالات النصّ دراسة لسانيّة نصيّة، الدار البيضاء بيروت، ط1، 2009م، ص34.

3. عبد القادر شرشال: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النصّ، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2006م، ص21.

والإبهام أحيانا [1]. وهذا الخلط والالتباس بين مفهومي النصّ والخطاب كان حاصلا في الثقافة الغربية قبل انتقالهما إلى اللّغة العربيّة وذلك عن طريق الترجمة.

حظي مصطلح " الخطاب في الدّراسات العربيّة بدلالات جديدة تشير إلى آفاق واعدة من النظر العقلي والرؤى المنهجيّة، كما تشير إلى أدوات معرفيّة تعين على فهم الواقع في ممارساته الخطابيّة المختلفة ... وأنّ أيّة نظرية عن الخطاب بعامّة تتضمّن نظريّة عن المجتمع بالضرورة " [2] والخطاب مرادف للكلام أي الإنجاز الفعلي للّغة بمعنى " اللّغة في طور العمل أو اللسان الذي تنجزه ذات معيّنة،كما أنّه يتكوّن من متتالية تشكّل مرسلة لها بداية ونهاية "[3].

يمكن القول أنّه إذا كان الخطاب هو ما تؤدّيه اللّغة عن أفكار الكاتب ومعتقداته، فإنّه لابدّ من القول : إنّ الخطاب يقوم بين طرفين أحدهما مخاطِب وثانيهما مخاطَب، والخطاب عموما عبارة عن وحدات تتّسم بـ:

- التّنسيق : ممّا يحتوي تفسيرا للعلائق بين الكلمات المعجمية .
- التّنضيد: ما يضمن العلاقة بين أجزاء الخطاب مثل : أدوات العطف و غيرها من الرّوابط.
- الانسجام: و هو ما يكون من علاقة بين عالم النصّ وعالم اللّغة [4].

ونجمل هذا في المخطط الآتي :

1. ينظر: مصطفى عبد كاظم الحسناوي، رؤى المحدثين في مفهوم (الخطاب)، مجلّة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانيّة، جامعة بابل، العدد 38، نيسان، 2018م، ص 1159.
2. جابر عصفور: آفاق العصر، دار الهدى للثقافة والنشر، سورية، دمشق، ط1، 1997م، ص 17 .
3. سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي، المرجع السابق، ص 21 .
4. رزان محمود إبراهيم : خطاب النهضة و التقدّم في الرواية العربيّة المعاصرة، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمّان، الأردن، ط1 ،ص17 و 18.

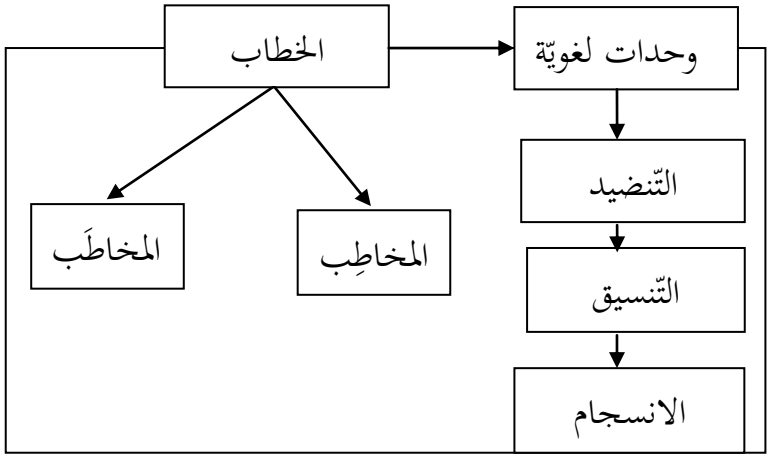

الشّكل رقم (04): عناصر الخطاب و وحداته اللّغويّة

وعلى الرغم من تعدّد الموضوعات التي يطرحها مفهوم الخطاب من قبل الدّارسين العرب والتي فرضت تعدّدا في التعاريف، إلا أنّ ذلك لم يمنعه من أجل أن يحتلّ موقعا محوريا في جميع الأبحاث والدّراسات التي تندرج في مجال تحليل النصوص، وسنكتفي بتوضيح معنى هذا المصطلح عند بعض المحدثين العرب .

ويعرّف سعد مصلوح الخطاب فيقول: " الخطاب هو رسالة موجّهة من المنشئ إلى المتلقّي تستخدم فيها نفس الشفرة اللغويّة المشتركة بينهما، و يقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والدلاليّة التي تكون نظام اللّغة ..."[1].فسعد مصلوح يعتبر أنّ الخطاب يكون كفيلا بحصول التّواصل و حدوث الفهم بين المرسِل و المتلقّي باستخدام الشفرة اللغويّة بينهما ، ومعرفتهما للعلاقات الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والدلاليّة .

أمّا الدكتور محمّد مفتاح يعرّف الخطاب بأنّه :"مدوّنة حدث كلامي ذي وظائف متعدّدة"[2].

- مدوّنة كلاميّة: يعني أنّه مؤلّف من كلام وليس صورة فوتوغرافية أو رسما أو عمارة أو زيّا...وإن كان الدّارس يتعيّن برسم الكتابة وفضائها وهندستها في التحليل .

1. سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغويّة إحصائيّة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1985م، ص23 .
2. محمّد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري استراتيجيّة التّناص، دار التنوير، بيروت،لبنان، ط1، 1985م، ص 120.

– حدث: إنّ كل خطاب هو حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي .

– تواصلي: يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجاربه إلى المتلقّي.

– تفاعلي: على أنّ الوظيفة التواصليّة في اللّغة ليست هي كلّ شيء، فهناك وظائف أخرى للخطاب اللغوي، أهمّها الوظيفة التفاعليّة التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليه.

– مغلق: ونقصد انغلاق سمته الكتابيّة الأيقونيّة التي لها بدية ونهاية .

– تداولي: إنّ الحدث اللّغوي ليس منبثقا من عدم، وإنّما هو متولّد من أحداث تاريخيّة ونفسانيّة واجتماعية ولغويّة ... وتتناسل منه أحداث لغويّة أخرى لاحقة به [1]. ويمكن أن نجمل هذا التعريف في المخطط الآتي:

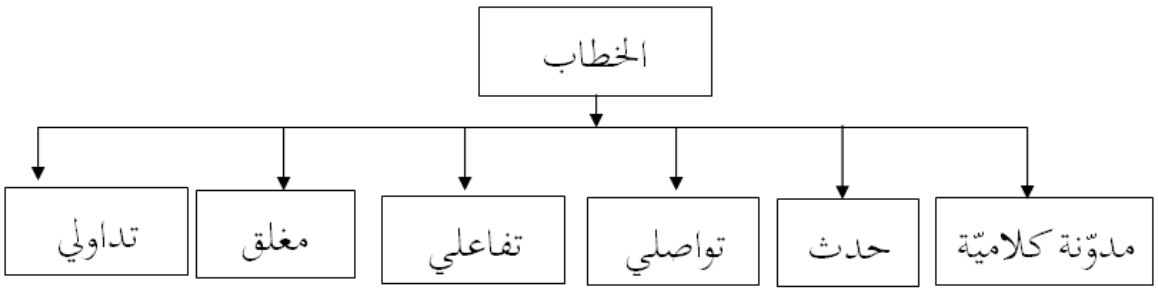

الشّكل رقم (05): مفهوم الخطاب عند محمّد مفتاح

وعلى هذا الشكل يمكن أن نقول أنّ مُحَمَّد مفتاح رفض التقيّد بمنهج مدرسة واحدة بتحليل الخطاب واتّجه إلى الأخذ بتعدّد المناهج وخلق تآلف مشترك بينها في صيغة توفيقيّة ليؤسّس منها منهجا خاصّا يتّسم بالعمق والشموليّة .

وقد وسّع عبد السلام المسدي نطاق الخطاب على أنّه الكلام أو المقال، وعدّه كيانا أفرزته علاقات معيّنة بموجبها التأمت أجزاؤه، وقد تولّد عن ذلك تيّار يعرّف الملفوظ الأدبي بكونه جهازا

1. ينظر: نور الدين السّد ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، دراسة في النقد العربي الحديث تحليل الخطاب الشعري والسردي، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر ، ج 2، 2010م، ص82.

خاصّا من القول بأنّ الأثر الأدبي بنية ألسنية تتحاور مع السياق المضموني تحاورا خاصّا[1]؛ أي أنّ الخطاب يأخذ انسجامه وفق النظام الذي يضبطه كيانه و ارتباط أجزائه.

إنّ ما يمكن استخلاصه من مختلف التعاريف التي سبق عرضها و حاول فيها الباحثون العرب تعريف الخطاب على أنّه قد تطوّر بقدر ما في التّراث العربي، ليصبح موضوعا مستقلا حمل أبعادا جديدة في الدّلالة جعلته أكثر قربا من مفهوم الخطاب في العصر الحديث، ممّا جعل العرب في ظلّه كما يقول الدكتور منذر عيّاشي : " أن يطوّروا نظرية في النصّ خدمة لأداء المعنى ودراسته وهذا يعني أنّهم قد تجاوزوا المفهوم اللّفظي للكلام والمفهوم الجملي ، ليستقرّ عندهم أنّ المتكلّم في تعبيره عن حاجاته لا يتكلّم بألفاظ ولا بجمل ولكن من خلال نصّ "[2].

يمكن القول أنّ الخطاب في التّراث العربي شكّل حضورا بارزا بحيث اتّسعت دائرة البحث الدّلالي فيه، وذلك بالانتقال من مفردة أو جملة إلى البحث في خطاب يتمّ فيه تحميل المفردات والجمل بدلالات يقتضيها موضوع الخطاب؛ من حيث أنّه يمثّل الأرضيّة والخلفيّة المعرفيّة والظروف الإنتاجيّة وما يتضمّنه من مقاصد وملفوظات لغويّة شفويّة، ليكون خطابا محقّقا إثبات عناصره التّواصلية: المرسل، الرسالة، المرسل إليه.

1. عبد السلام المسدي : الأسلوبيّة والأسلوب، الدار العربيّة للكتاب، ليبيا، 1997 م، ص 110.
2. منذر عياشي : اللّسانيات والدّلالة الكلمة، مركز النماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، 1996م، ص07.

" الاتّصال بالتّراث من ناحية، والاتّصال بالمنهج الحديث في تطوّره السّريع من ناحية أخرى، واجب علمي وواجب قومي لا ينبغي أن يكون في ذلك خلاف "

عبده الرّاجحي: النّحو العربي والدّرس الحديث، ص 07.

الفصل الأوّل

لسانيات النصّ في التّراث اللّغوي العربي

المبحث الأوّل: الالتحام والتّماسك وترادفهما في التّراث العربي

المبحث الثّاني: التّماسك النصّي عند كلّ من القرطاجنّي والسّيوطي

المبحث الأوّل:

الالتحام والتّماسك وترادفهما في التّراث العربي

تمهيد:

إنّ دراستنا للتّراث اللّغوي العربي في ضوء مناهج التّحليل المعاصرة، تجعلنا نقف على استعراض تلك الجهود التي حمل أصحابها همّ رصد استباقات البلاغيين والنقّاد القدماء، وعلماء القرآن والتفسير، وتأهيل المفاهيم المعاصرة في حقول النقد والبلاغة وتحليل الخطاب وغيرها، انطلاقا من استنطاق التّراث حولها؛ ويتجلّى ذلك واضحا من خلال مصنفاتهم ومدوّناتهم التي تزخر بها المكتبات العربيّة والعالمية[1]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على عمق الفهم عندهم وبعد النظر واتّساع أفقهم المعرفي، محليّا وعالميّا، وبحثنا عن علاقة لسانيات النص بالمدونات العربيّة القديمة والحديثة يؤكدّ ذلك.

ومن هذا المنطق سنبيّن اهتمام علماء العرب بالنصّ انطلاقا من الدّراسات القديمة وصولا إلى الدّراسات العربيّة الحديثة؛ أي محاولة الرّبط بين القديم والحديث لإنتاج منهج جديد قويم، يقوم بدراسة إنتاج الفكر الإنساني عامّة واللغوي خاصّة، حتى نستطيع الوصول إلى تحليل نصّ معاصر امتدت جذوره من الماضي إلى الحاضر[2]، ولذلك سنبيّن رصد ما كتب في هذا المجال، في وقفة علميّة مع الموروث العربي، واللسانيات النصيّة من العلوم التي أظهرها العلماء العرب المحدثون باعتبارها جذورا ممتدة في التّراث؛ففي لا تتّضح إلا بالحفر في البنية العربيّة القديمة بفروعها المختلفة قصد الوقوف على الأطر والنتاجات المشتركة بين علوم العربيّة ولسانيات النصّ التي تقوم على دراسة اللّغة كأداة لممارسة التّواصل وكون لسانيات النصّ العلم الذي يسعى لمقاربة النّصوص في المنجز الخطابي بأشكاله المختلفة[3]، باحثا عن آليات اتساق النصّ وانسجامه؛ أي تلك الآليات الشّكلية والمعنويّة التي تجعلنا نسمّي النصّ بالنصيّة (Textuality)، وتكتسي أهميتها في كونها تحلّل النصّ/ الخطاب، مركّزة على جوانبه الجماليّة و التركيبيّة والصوتيّة والبلاغيّة.

1. ينظر: أحمد عزّت يونس، العلاقات النصيّة في لغة القرآن الكريم، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، ط1، 2014م، ص35.
2. مصطفى صلاح قطب: علم اللّغة النصّي النظرية و التّطبيق، عالم الكتب القاهرة، ط1، 2014م، ص95.
3. نعيمة سعدية: لسانيات النصّ والخطاب الشعري، المرجع السابق، ص 120.

ويمكن لنا في هذا المقام أن نستشهد بقول "إبراهيم الفقّي" مدافعا عن هذا الموقف بالرجوع إلى دراسة التّراث العربي يقول: "إنّ إغفال أربعة عشر قرنا من العمل الجادّ في كثير من الدّراسات العربيّة، فهذا- لاشك- أمر يعدّ في غاية الخطورة، ومن ثمّ فإنّنا نؤمن أنّ البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام-مقام الدّراسات النصيّة- يعني إهدار أربعة عشر قرنا من النتاج اللساني المتميّز الذي هو إنجاز قوم من أعلم النّاس بفقه العربيّة و أسرار تركيبها وذخائر تراثها.." [1].

وفي كلامه هذا ما يدلّ على الربط بين ما قدّمه الدّارسون في الماضي وما هو موجود بين أيدينا؛حيث كان واجبا علينا الدّراسة والبحث عن الجذور لبعض المفاهيم والمصطلحات التي اشتركت فيها لسانيات النصّ مع الموروث العربي،إذ أنّنا نجد دراسات كثيرة في العصر الحديث والمعاصر قامت على أفكار ونتاج ما تركه تراثنا العربي القديم؛ أي قراءة الموروث العربي في ضوء ما جاءت به مناهج التّحليل اللّساني المعاصر، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: البنيويّة والسيميائيّة و التداوليّة و الأسلوبيّة وغيرها؛ حيث تسعى هذه المناهج إلى مقاربة النصّ من داخله بوصفه بنية لغويّة جماليّة مكتملة، مجرّدة من سياقاتها التكوينيّة، فهي تنظر إليه على أنّه تحفة فنيّة مكتملة الأجزاء ينظمها نسيج من البنى و العلاقات المتينة.

إنّ التّراث العربي القديم يحوي الكثير من النظريات البلاغيّة والأسلوبيّة والجماليّة، التي تساعدنا في تحليل النصّ وإثبات نصيّته، وهي نظريات مهمّة في هذا المجال، ولاشك أنّ استثمارها مفيد للدّرس اللساني العربي الحديث.

ومعلوم أنّ التّراث اللّغوي العربي قد اهتمّ بلسانيات النصّ؛ وذلك ما يتبيّن لنا من خلال قراءة التراث لكشف مكنوناته الجوهريةّ التي تصلح لمعالجة الكثير من قضايا لسانيات النصّ كالممارسة النصيّة، وآليات الاتّساق، والانسجام، والسّياق وغيرها، ويمكن لنا أن نقف عند هذه الممارسات النصيّة من جوانب متعدّدة، منها ما هو في التّراث البلاغي، ومنها ما هو في

1. صبحي إبراهيم الفقّي: علم اللّغة النصّي بين النظرية والتطبيق، المرجع السابق، ص82.

التّراث النقدي، ومنها ما هو في تراث علوم القرآن والتفسير[1]، وحتى لو كانت هذه الممارسات النصيّة بشكل مشتّت ومغمور في ثنايا كتبهم؛ لكن سبيل البحث والتنقيب عنها ميسّر لمن أراد تفحص النّصوص في دواخلها.

والمتأمّل لنصوص هؤلاء العلماء يلتمس فيها بوادر لمفاهيم لسانيات النصّ، كما نجده اليوم عندهاليداي(Haliday) في حديثه عن اتّساق النصّ، وتون فان ديك (Tone Van Diyk) في استحضاره للسّياق (contexte)، وروبرت ديبوجراند(Robert De Beaugrand)[2]... وسوف نبدأ الحديث عن إسهامات هؤلاء العرب القدامى في مجال لسانيات النصّ،أمثال الجاحظ(ت255 هـ) الذي يرجع له الفضل في حديثه عن البيان وتناسق الكلام، وتلاحم الأجزاء، وعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) صاحب كتاب دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة من خلال نظرية النّظم، وحازم القرطاجنّي (ت 684هـ)، الذي وقف في منهاجه عند أفكار مهمّة لشرح تناسق واتّساق النصّ الشعري، والسّيوطي الذي أثبت وحدة النصّ القرآني وتماسكه والزرّكشي في كتابه"البرهان في علوم القرآن" الذي تطرّق فيه إلى فضاءات سياقيّة واسعة ومتنوّعة أحاطت بالنصّ القرآني في مجال لسانيات النصّ، وسنقف عند الإمام الزركشي في مدوّنته للكشف عن مظاهر النصيّة في الجانب الإجرائي من هذه الدّراسة:

1.البيان والتحام الأجزاء عند الجاحظ *:

أ – البيان:

لقد انصبّ اهتمام الجاحظ في البحث عن القواعد التي تنتج الجودة أو الحسن في الكلام ليكون هذا الكلام بيانا وليس مجرّد وصف للألفاظ، كما أولى الخطاب أهميّة كبيرة ضمن

1. أحمد عزت يونس: العلاقات النصيّة في لغة القرآن الكريم، دار الآفاق العربية القاهرة، ط1، 2014م، ص38.

2. ينظر: مصطفى صلاح قطب، علم اللّغة النصّي، المرجع السابق، ص 95 و 96.

*. أبو عثمان بن بحر الجاحظ البصري، ولد (163هـ- 780م) توفي (255هـ- 869م) من منظري المعتزلة، ألّف أكثر من خمسين و ثلاث مئة كتاب (350) أشهرها: البيان والتبين، الحيوان، المحاسن والأضداد، ينظر: مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الإعلام بوفيات الأعلام، تح: مصطفى عوض، مؤسّسة الكتاب الثقافية، مج01، ط1، 1993م، ص177.

مؤلفه"البيان والتبين"، وأدّى به ذلك إلى الحديث عن آلة التبليغ والتي يتم عبرها التواصل، والتي يتم عبرها التواصل، والتي هي في نظرة "آلة البيان"، وهذا كله يدلّ على أنّ النّاس في حاجة دائمة إلى الإبانة عن ما يختلج النفس والتّواصل مع بعضهم، ومن أجل أن يكتسي الإنسان آلة البلاغة وفنون الخطاب قدّم الجاحظ في كتابه "البيان والتبين"، أهمّ الوسائل التي يعتمدها المتكلّم أثناء إنتاجه للخطاب مراعيا بذلك المتلقّي وكلّ ما له شأن أن يكون له أثر في إنتاج الخطاب.

وإذا تتبّعنا معاني مادّة(بين) في لسان العرب، نجدها تحمل دلالات متعدّدة منها" الوضوح والإبانة والظّهور والفصاحة والقدرة على التبليغ... وغيرها؛ حيث يذكر ابن منظور: استبان الشيء: ظهر وأبنته؛ أوضحته والتّبيين أيضا الوضوح والتبيان: التلقاء، والبيان الفصاحة واللّسن كلام بيّن فصيح، البيان الإفصاح مع الذكاء، والبيان:إظهار المقصود بأبلغ لفظ وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللّسن وأصله الكشّف والظّهور "[1]. هذا يعني أنّ البيان هو إظهار المعنى للسّامع بواسطة أرقى الألفاظ فصاحة، وذلك من أجل بلوغ المقصد.

وعند البحث في مؤلّفات الجاحظ "البيان والتّبين" و"الحيوان"، نجدها قد شكّلت فترة مخاض لاهتمامات عربيّة، من أجل ما سمي بصناعة الكلام، أو "فنّ التّأليف" والذي يمكن اعتباره باكورة القضايا اللسانيّة النصيّة في هذا الموروث، أين تعرّض الجاحظ إلى قضايا لسانيّة تعلّقت بالكلام (النصّ) تعلّقا شديدا، مثل قضية اللفظ والمعنى، والإيجاز، والسّبك أي (الاتّساق)، إذ يقول:" هذا مع جودة الطبع وجودة السّبك والحذف بالصنعة[2]"، حيث أشار إلى تأليف الألفاظ والمعاني وسبكها لتكون صورتها تامّة وكاملة؛ بمعنى جعل لكلّ صناعة ألفاظها التي ستنظّم بشكل خاصّ مقاما معيّنا، وحالا خاصّة، تعرف بفضل الكلام والمتكلّم به.

ويتحدّث "الجاحظ" أيضا في موضع آخر عن مفهوم البيان أكثر فيقول: "والبيان اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضّمير، حتى يفضي السّامع إلى حقيقته

1. ابن منظور: لسان العرب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط01، مج 13، مادّة(ب، ي، ن)، 2003م.
2. الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام محمّد هارون، ج2، ط3، 1969م، ص 27.

ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان؛ لأنّ مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسّامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[1].

وعند النظر إلى هذا المفهوم نجده يقترب إلى حدّ ما مع مفهوم النصّ من المنظور البنيوي؛ ذلك أنّ الأفكار تكون في بادئ الأمر مخزّنة في نصّ الكاتب، والبيان/ النصّ هو الوسيلة الوحيدة التي بها يتمّ إظهار هذه الأفكار والمعاني المخزّنة، ومن ثمّ فهو أداة للتّواصل بين الكاتب والقارئ.

كما نجد "محمّد العمري" يعلّق على مفهوم البيان عند الجاحظ بعد إيراده لمجموعة من الأقوال التي يعرض فيها الجاحظ تعريفات للبيان من خلال مؤلّفه"البيان والتبين"، فيقول:" أنّ مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي؛ أي أنّه العمليّة الموصلة إلى الفهم والإفهام في حالة اشتغالها... فالشيء المركزي الثّابت في كتاب البيان والتبين، هو الفهم والإفهام بالوسائل المختلفة: الوسائل اللغويّة والإشاريّة الخاصّة"[2].هذا يدلّ على أنّ البيان عند الجاحظ هو النصّ بالمفهوم المعاصر ويكون لغويّا أو غير لغويّ (لغة الإشارات*) وغاية كلّ منهما هو الإدراك والاستيعاب من جهة المتلقّي.

وعلى أيّة حال، كان ذلك مفهوم النصّ عند الجاحظ من وجهة نظر البنيويين والسيميائيين وغيرهم، كما اعتمد على فكرة البيان والتبيّن من أجل الكشف عن تلاحم الأجزاء، وكلّها قضايا أصبحت من صلب اهتمام لسانيات النصّ.

ب – التحام الأجزاء:

لقد أشار الجاحظ إلى قضيّة اتّساق الكلام بالشعر الجيد المسبوك؛ وذلك من ناحية انسجام الحروف،حيث بيّن النطق والحروف التي يكون فيها التّنافر، والتي تخلّ بانسجام الكلام وتناسقه

1. الجاحظ: البيان والتبين، تح: عبد السلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت، ج1، 1983م، ص 76.

2. محمّد العمري: البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، دار النشر المغرب، 1999م، ص191.

*. لقد بيّن علماء السيمياء أنّ الإشارة في حدّ ذاتها "نصّ" والجاحظ نفسه أشار إلى هذه النقطة، فبيّن أنّ طرق التّواصل هي خمسة أصناف: تواصل بالإشارة والعقد والخط والحال/ النصبة بالإضافة إلى اللفظ.

وفي هذا يقول: "وأجود الشّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء*، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[1]، فالجاحظ هنا ركّز على عدّة مستويات وخاصّة المستوى الصّوتي الذي اعتبره من المؤثّرات الأساسيّة التي تؤثّر في تماسك النصّ، فالكلام عنده يبدأ من تآلف الحروف واتّساقها، على أن تكون سهلة المخارج، متناسقة السّبك، حتى تبدو الكلمة الواحدة كالحرف الواحد والجملة كالكلمة الواحدة، أمّا إذا كان الكلام متنافرا متباينا عَسُرَ حفظه وثقل على اللسان النطق به.

ويؤكّد الجاحظ في موضع آخر عن أهميّة التّماسك والتّرابط بين أجزاء الكلام قائلا:" إذا كان الشعر مستكرها وكانت ألفاظ البيت من الشّعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العالات** وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جانب أختها مرضيا موافقا، كان ذلك على اللّسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة[2]، فالأمر هنا متعلّق بالألفاظ من حيث تجاورها بجانب بعضها البعض من أجل أن يكون سبكها صحيحا وسليما متلاحما.

ويظهر الجاحظ اعتناء كبيرا لأهميّة التّماسك النصّي؛ حيث قال: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، إنّما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السّبك"[3]. ومن هنا تتّضح وجهة النظر على أنّ الجاحظ لم يجحف في حقّ المعاني والألفاظ من حيث الجودة وحسن السبك، وهذا يمثّل إعلاء لشأن التّأليف والتّماسك، لأنّه معيار قبول النصّ أو رفضه. فهو هنا يستحضر أدوات وعناصر

*. بيّن الجاحظ حقيقة مفهوم تلاحم الأجزاء "وبناء عليه يمكننا الانتقال إلى إجراء آخر لإبراز معنى ومبتغى قوله" تلاحم الأجزاء"، مبدئيا يمكن حصر الأجزاء فيما يلي:الأبيات المشكّلة للقصيدة، الأجزاء المشكّلة للبيت(الصدر والعجز)، (الأجزاء المشكّلة للشطر(الألفاظ)، الأجزاء المشكّلة للفظ(الحروف والأصوات)، وقد انصبّ اهتمام الجاحظ على العنصرين الأخيرين، ينظر: محمّد خطابي، لسانيات النصّ، المرجع السّابق، ص143.

1. الجاحظ، البيان والتبين، المصدر السابق،ص55

**. أولاد العالات: الأولاد من أب واحد وأمّهات شتى.

2. الجاحظ، المصدر نفسه، ج1، ص66 و67.

3. الجاحظ:الحيوان، المصدر السّابق، ج3، ص 131.

عدّة كتلاحم أجزاء النصّ، وتناسق الحروف وتجاوز الألفاظ وتواردها في نسق معين وهذا ما يدخل ضمن المستوى الصوتي، وهذه العناصر إذا توافرت في النصّ تحقّق التّماسك النصّي.

2.التّماسك النصّي من منظور عبد القاهر الجرجاني*:

يعدّ عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في التّراث اللّغوي العربي، بما خلّفه من مؤلّفات شخصيّة فذّة ساهمت في الدّراسات اللّغوية بأبحاث قيّمة، تحوّلت مع مرور الزمن إلى ميدان ثريّ للدرس والتّحليل؛ وخير دليل على ذلك ما ورد في كتابة "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة" الذي أثبت فيه إعجاز القرآن بالدلائل، على اعتبار أنّ القرآن الكريم تحدّى فصحاء وجهابذة العرب بنظمه وأسلوبه المعجز والقويّ، وقعّد لنظرية النظم بالبحث في الفصل والوصل والتّقديم والتأخير والاستفهام والحذف، وفرّق بين اللفظ والمعنى، وكلّ هذه العناصر لها ارتباط وثيق بمصطلح التّماسك النصّي، حيث من خلالها نتمكّن من فهم النصّ من داخليّا؛ أي البحث في ما يجعل منه نظاما منسجما، وسوف نقف على أهمّ هذه العناصر التي لها علاقة بمصطلح التّماسك النصّي عند الجرجاني.

أ – النّظم عند عبد القاهر الجرجاني:

إنّ أبرز ما جاء به فكر الجرجاني و أغنى به الفكر النقدي العربي من غيره من العلماء، هو ذلكم النّظم والتّأليف والانسجام القائم في واقع الإعجاز القرآني في اللّفظ والمعنى، حيث استطاع أن يؤسّس لنا رؤية علميّة فيما يتعلّق بمفهوم النص من خلال مؤلّفيه: "دلائل الإعجاز في علم المعاني ومعاني النحو" وفق ما تقتضيه طبيعة تشكيلة النصّ داخليا وخارجيا، ممّا ذكر أحد الباحثين

*. الإمام عبد القاهر الجرجاني هو أبوبكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمّد الجرجاني، ولد بجرجان، تتلمذ على يد شيخه: أبو الحسن بن عبد الوارث، كما أخذ النحو عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة، قضى عمره في البحث والدرس والاطلاع والتأليف،حتى صار الإمام النحو المتكلّم عن مذهب الأشاعرة، واضع أسس البلاغة والمشيّد لأركانها وقد عاش الجرجاني في القرن الخامس هجري(ت 471هـ)، وله مؤلّفات كثيرة منها: المقتصد في شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، دلائل الإعجاز في علم المعاني، العوامل المائة، أسرار البلاغة، ينظر: عبد العاطي غريب علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجميل بيروت، ط1، 1993م، ص 28، وينظر: سلوى النجار، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار، نحو رؤية جديدة في قضايا اللغة لدى الجرجاني، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2010م، ص11.

هذه الحقيقة قائلا:" أرى أدنى قيمة في الفصل بين مبادئ النظرية العامّة لمعاني النحو(النظم) وهي التّقديم والتّأخير، والحذف والذكر والقصر والفصل والوصل وغيرها، التي برزت بوضوح من خلال تحليلات تطبيقيّة مختلفة، وبين الأفكار والتّصورات النظريّة التي تقدّمت عليها في عرض دلائل الإعجاز وحقيقتها..."[1].

بناء على ذلك، فإنّ عبد القاهر الجرجاني انفرد بنظرية النظم، والتي قاربت مفاهيمها المفاهيم المعاصرة في مختلف الاتجاهات اللّغوية، واقتصر على ضرورة التّماسك النصّي بوصفه شرطا من شروط صحة النّظم، فكان ينظر إلى النصّ نظرة شمولية مستحضرا عناصر التّرابط النصّي في ذهنه "وأمّا نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنّه تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حساب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النّظم الذي معناه ضمّ الشيء إلى الشيء كيفما جاء واتّفق وكذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتّأليف والصياغة والبناء و الوشي و التحبير، وما أشبه ذلك، ممّا يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض..."[2].

فالجرجاني يذكر لنا عناصر يتمّ فيها تحقيق التّماسك النصّي تبدأ بالنسج وتنتهي بالتحبير وهي ألفاظ تحيل إلى ارتباط أجزاء الكلام بعضها من بعض ويكون في ارتباطها هذا أسباب لغويّة ومنطقية، تدلّ على اتساع الكلام وانسجامه ليكون بذلك وحدة كليّة متماسكة.

فالنصّ نسيج لغويّ محكم البناء بين المعاني النفسيّة والتراكيب اللّغوية المتغيّرة عنه في كلّ متماسك. وهي نظرة تتقاطع مع ما جاء به العالم الهولندي "فان دايك" في نظريته: "النّسيج المشابك للنصّ"؛ حيث اعترض على القواعد الكلاسيكية في تحليل النّصوص، ودعا إلى الوقوف في تحليلها على آليات: الإضافة والحذف والذكر والاستبدال، ليخرج من دراسة نحو الجملة ليصل إلى نحو النصّ، ثمّ أكّد "فان دايك" ذلك في كتابه "النصّ والسّياق" خاصّة الفصل الثالث عندما

1. محمّد سعيد حسن بحيري: دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، دس، ص 157و158.

2. الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5،2014 م، ص56.

تعرّض لأدوات التّرابط ولوازمه لتحقيق نسيج نصّي[1]. ومن خلال هذه المقولة يتبيّن لنا أن مصطلح "نسيج" هو دلالة على تماسك النصّ وانسجامه.

ويمكن أن نجمل هذه الثنائيات التي جاء بها الجرجاني في المخطط الآتي:

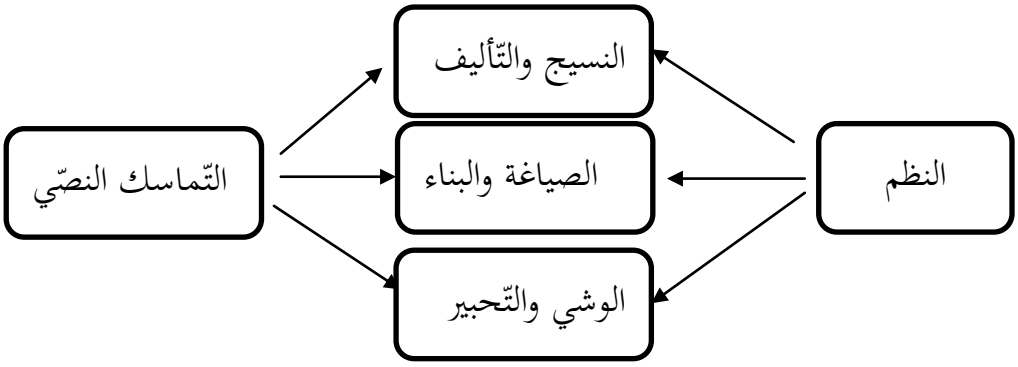

الشّكل رقم (06): عناصر التّماسك النصّي عند الجرجاني

وانطلاقا ممّا سبق ذكره، يمكن تبيان أهمّ الملاحظات التي ألفيناها من أقوال ونصوص عبد القاهر الجرجاني:

– لا يمكن أن ترتّب الكلمات والألفاظ بطريقة عشوائيّة؛ بل يجب أن ترتّب بطريقة منطقية تربط معنى كلّ لفظة بمعنى اللفظة التي تليها؛ أي ترتب المعاني في أعماق النفس ثمّ تترجم هذه المعاني إلى ألفاظ تطفو على مستوى السطح، وهذا يشبه كثيرا فكرة تشومسكي التي تؤكّد بأنّ المعاني تكون الذهن أوّلا، وهذا ما يسمّى عنده بالبنية العميقة (profound structure) ثمّ تخرج ليعبّر عنها عن طريق ألفاظ، وهي ما تسمّى بالبنية السطحيّة (Surface structure)[2].

– حاول الجرجاني تقريب مفهوم النظم الذي يقترب كثيرا من مفهوم الانسجام (coherence)[3] عند الغربيين؛ وذلك عندما شبّه النظم بالنسيج والتّأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير، وهو

1. ينظر: فان دايك: النصّ والسياق، تر: عبد القادر قنيفي، المغرب، دط، 2000م، ص71. وإبراهيم خليل: اللسانيات ونحو النصّ، عمّان، دار المسيرة، ط1، 2007م، ص195.
2. ينظر: نعيمة سعدية، لسانيات النصّ و الخطاب الشعري، المرجع السابق، ص126.
3. دي بوجراند: النصّ و الخطاب و الإجراء، تر: تمّام حسّان، القاهرة، عالم الكتب، د ط، 1988م، ص103.

هنا يحث عن ضرورة توخي التّناسق والانسجام بين الكلام، فيحقّق بذلك التّماسك النصّي بين أجزائه.

– إنّ نظرية النظم نموذج مكتمل لنظرية لغويّة عربيّة، شكّلت مثالا حيّا لتفاعل الأنساق وتعدّد المعارف، وقد أكدّ صاحبها بأنّ النظم يعدّ العماد الأساس في الإعجاز القرآني وهو ما يعادل الانسجام في اللسانيات النصيّة الحديثة. وهذا ما يوضّحه المخطط الآتي:

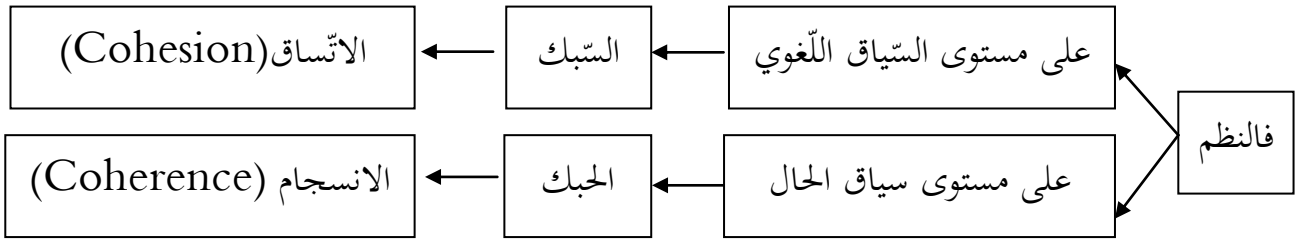

الشّكل رقم (07): النّظم عند الجرجاني

ب – مصطلح النصّ لدى عبد القاهر الجرجاني:

لقد تميّز عبد القاهر الجرجاني عن غيره من العلماء الذين اشتغلوا كثيرا على لسانيات النصّ بنظرية النظم التي أبرز فيها قيمة النصيّة؛ حيث جمع بين علوم كثيرة كالنحو والمعاني والدلالة والمنطق والتّفسير، وعلم الأسلوب وغيرها، ووحّد بين كلّ هذه العلوم كي يحصل على هدف واحد هو خدمة النصّ القرآني وبيان الإعجاز فيه، ولاشك في أنّ النصّ القرآني ينفرد بحيويّة دائمة، تنجذب لها النفوس وتأنس بها القلوب سواء بإيحاءاته ومعانيه، أو بألفاظه ومبانيه[1]، إنّه نصيّة إلهيّة معجزة في اللفظ، وسامية في المعنى، ومتعالية في النّظم وشامخة في الانسجام وشديدة في التّماسك.

1. لطفي فكري محمّد الجودي: جماليّة الخطاب في النصّ القرآني، قراءة تحليليّة في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، المرجع السّابق، ص216.

فعبد القاهر الجرجاني كان ينظر إلى فكرة الانسجام النصّي (coherence Textual) وهو ما أشار إليه في قوله "واعلم أنّ مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذّهب أو الفضّة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة..."[1].

وهو هنا يحثّ على أهمية توخي التّرابط والانسجام بين أجزاء الكلام؛ بمعنى النصّ كونه نظام محبك و مسبك بين وحدات الكلم التي تبدو متناثرة، ومتفرّقة عن بعضها البعض، غير أنّك إذا أذبت دلالة اللّفظ المعجمي في وصفه السياقي وهضمت التّصور العالم لمعطيات المعاني في النّفس استطعت أن تخلق سبيكة معرفيّة لا ينتقص منها جزء ولا يفكّك منها جزء آخر إلا وهي الدّليل العام على ذلك الانصهار الكلّي بين سبائك المفردات وألوانها وأشكالها، ولا يحصل لك هذا الشكل أو الصهر بين صنوف هذه الألفاظ ومداليلها إلا إذا أنت أدركت أنّ النحو هو سلاحك الأفضل في توخي معانيه[2]؛ أي ليكون النصّ منتظما ليس إلا إذا كانت معاني اللفظ وتشكيل وحداته الدلاليّة لا تخرج عن الاتّساق و الانتظام في إطار العلاقات النحويّة.

ومن منطلق أنّ النصّ عبارة عن علاقات قائمة بين الجمل ومعانيها فإنّ الجرجاني يشير إلى هذا على أساس "أنّ التمازج والتّناسب والتّلاحم والتّناسج بين المعاني والألفاظ هو الوسيلة التي يتمّ بها النظم، أو إن شئنا قلنا: يحدث الخطاب وينتج النصّ"[3]. فهو لا يزال يؤكّد على فكرة التئام الجمل وضمّها لبعضها البعض من أجل تناسق المعاني والألفاظ ليكتمل إنتاج النصّ شكلا ومضمونا، اتساقا و انسجاما.

وتجدر الإشارة في هذا المقام أنّ عبد القاهر الجرجاني في معرض حديثه عن معنى النظم، فإنّه اتّجه إلى تحديد الظواهر النحويّة التي تحدّد للنصّ نصّيته، يقول: "اعلم أنّ النظم ليس إلا أن تضع

1. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص263.
2. ينظر: معراجي عمر: التّشاكل النصّي بين الإتباع والابتداع، دراسة في ألسنية النصّ، أطروحة دكتوراه في اللسانيات، جامعة مستغانم،2009 م/2010 م، إشراف الدكتور العربي قلايلية، ص64.
3. عبد القاهر الجرجاني: المصدر نفسه، ص96.

كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" وتعمل قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لكي لا تخلّ بشيء منها"[1].

وعليه ينطلق الجرجاني في تقديم الطريق الصحيح لإنتاج النصّ، على أن يضع المتكلّم في حسبانه معاني النحو، وحتى وهو يتحدّث عن مسألة الإعجاز كان يدرك أنّ النصّ كي يحقّق تأثيره لا بدّ من مراعاة علم النحو وأثره البارز في خدمة النصوص وفهمها فهما علميّا دقيقا.

ولا يقف الجرجاني في حديثه عن التّماسك النصّي عند التّماسك الشكلي فقط؛ بل دعا كذلك إلى التّماسك الدّلالي وهو ما يصرّح به قائلا: "واعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما، لا يعترضه الشكّ، أنّ لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك وننظر إلى التّعليق فيها والبناء وجعل الواحد منها بسبب من صاحبتها ما معناه و ما محموله..."[2].

فالجرجاني يشير في هذا النصّ إلى تضافر الأجزاء مع الكلّ وإلى قيمة تداخل الأعضاء المكونة للنصّ؛ إذ لا يمكن أن نقول عن مجموعة من الكلمات مرصوفة دون روابط أنّها تشكّل لنا نصّا، وإنّما الأمر أن تكون مترابطة ومتتالية، واللفظة الأولى تحيل إلى الثانية التي تليها، وكأنّها حلقات عقد متماسكة.

وإذا أمعنا النّظر في أقوال عبد القاهر الجرجاني نجده لم ينظر إلى الكلام على أنّه مجرّد تعابير متناثرة، وإنّما هو نسيج متناسق ومتماسك الأجزاء؛ تساعده على ذلك مجموعة من الأدوات كالنّحو وترتيب المعاني والألفاظ، وهذا ما يجعل الجمل مؤتلفة ومرتّبة، ترتبط السابقة منها باللاحقة.

1. الجرجاني: دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص81.
2. المصدر نفسه، ص55.

ج – الفصل و الوصل من منظور عبد القاهر الجرجاني:

بالإضافة إلى نظرية النظم ودورها في اتّساق وانسجام النصّ/ الخطاب، نجد الجرجاني يولي أهميّة كبيرة لمبحث الوصل والفصل* كإحدى التجلّيات السطحيّة العميقة لانسجام واتساق النصّ أو الخطاب فهو يقول في أهميّة الفصل والوصل " اعلم أنّه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه:إنّه خفيّ غامض، ودقيق صعب، إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدقّ وأصعب"[1]. فقد تميّز الجرجاني في تناوله لهذا المبحث، وكأنّ مدار الكلام كلّه يبنى على هذه الظاهرة؛ ولأجل ذلك اكتسى هذه الصعوبة في إدراك مواقعه ومكامن حدوثه، من منطلق عطف بعض الجمل على بعض، أو ترك هذا العطف. وسوف نحاول أن نقف من خلال كلامه على جملة من الطرائق التي أرساها في هذا المبحث.

ينطلق عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن عطف المفرد على المفرد، لاشتراكهما في الحكم الإعرابي، فالمعطوف على المرفوع مرفوع مثله نحو: "استمع الطالب محمّد وعليّ إلى المحاضرة في المدرج"، والمعطوف على المنصوب منصوب مثله نحو:" كافأت محمّدا وزيدا"، والمعطوف على المجرور مجرور مثله مثل: "مررت بفتاة وامرأة ".

كما ينظر الجرجاني إلى عطف جملة على جملة أخرى معتمدا على فكرة المحلّ الإعرابي في الجملة أو عدم وجوده، ويحدث هذا العطف على ضربين:

أ–أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب: وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد على المفرد. فإذا قلت: "مررت برجل خلقه حسن وخَلْقه قبيح" كنت أشرت الجملة الثانية في حكم الأولى، وذلك الحكم كونها في موضع جرّ بأنها صفة للنكرة[2]، وهذا الحكم الإعرابي انتقل إلى الجملة الثّانية بواسطة "الواو".

*. الوصل "هو عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف بين الجملتين والمجيء منها بعد الأخرى".ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص222.

1. الجرجاني: المصدر نفسه، ص231.

2. المصدر نفسه، ص153.

ب–أن لا يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب: وذلك أن تعطف على الجملة التي لا محلّ لها من الإعراب جملة أخرى، نحو: "محمّد قائم وعليّ قاعد"، و"المتواضع محبوب والمتكبّر مذموم"، وفي هذه الحالة يؤكّد الجرجاني قائلا "لاسبيل لنا أن ندّعي أن "الواو" أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه"[1].

وعلى ما سبق ذكره فإنّ عطف جملة على جملة لا يتمّ إلا بشروط هي:

–أن يكون حكمها حكم المفرد.

–أن يكون للأولى محلّ من الإعراب.

–أن تنتقل الواو إلى الجملة الثانية حكم الجملة الأولى.

ومن هنا، تحسن الإشارة إلى أنّ الجرجاني ينطلق من عطف المفرد على المفرد فصلا ووصلا لتفسير عطف الجملة على الجملة معتمدا على الحكم الإعرابي بواسطة رابط يربط بين هذه الجمل.

وفي الفصل بين الجمل، يرى الجرجاني أنّ ثمّة علاقة بين الجمل المشكّلة للنصّ، لا تعتمد على رابط لفظي ظاهر مثل حرف العطف؛ بل هناك علاقات أخرى خفيّة معنويّة قائمة بينها تعتمد عليها وسنعطي أمثلة على ذلك للتوضيح:

–الجملة المؤكّدة التي قبلها نحو: قوله تعالى﴿الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة، الآيتان 1 و 2)، فقوله "لاَرَيْبَ فِيهِ" بيان وتوكيد وتحقيق لقوله "ذَلِكَ الكِتَابُ" وزيادة تثبيت له.

–الأسماء الموصوفة أو المؤكّدة لا تحتاج إلى رابط يربطها بموصوفها أو مؤكّدها[2]. مثال ذلك: "جاءني عليّ الصدوق" و"جاءني الجمهور كلّهم"، فإنّ "الصدوق" و "كلّهم" ليسا إلا عليّ والقوم، "فالصدوق" صفة "لعليّ" و"كلّهم" تأكيد "للجمهور"، لذا لم يحتاجا إلى رابط يربط بينهما؛ أي بين الصفة والموصوف.

1. الجرجاني، دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص153.
2. المصدر نفسه، ص173.

وما نلخص إليه هو أنّ تأكيد جملة لأخرى يعدّ تماسكا في النصّ، على الرغم من أنّه لم يعتمد على أداة (حرف عطف) أو رابط شكي، ولكن التّماسك الذي حدث هنا هو أساس الربط المعنوي داخل النصّ، فضلا على استخدام أداة معيّنة من أدوات العطف تعطي معنى يضفي جديدا على التّماسك الدّلالي للنصّ.

وحين نتحدّث عن الرابط المعنوي تحضرنا جملة من العلل التي اقترحها عبد القاهر الجرجاني للحكم على فصل أو وصل الجمل والتي يتمّ بها انسجام النصّ وتماسكه منها:

1- معنى الجمع: وضع الجرجاني هذا المبحث لتفسير العطف الذي يحصل بين جملتين لا محلّ للمعطوف عليها من الإعراب، حيث يقول: "زيد قائم وعمر قاعد"، على اعتبار أن قعود عمر وبسبب قيام زيد أو هما كالنظيرين والشريكين، وبحيث إذا عرف السّامع حال الأوّل عناه أن يعرف حال الثاني"[1]. ويحصل هذا لأنّهما مقترنان في ذهن المتلقّي (السّامع).

2-النظير والشبيه والنقيض: هو مبدأ يرتبط بالمبحث الأوّل "معنى الجمع"، لا يختلف عنه كثيرا، وهو مجوز العطف معنويا، لامتناعه معياريا، ذلك "ينبغي أن يكون الخبر عن الثاني ممّا يجري مجرى الشّبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأوّل"[2].ونوضّح ذلك بالأمثلة الآتية:

- زيد طويل القامة وعمر قصير.
- كريم قاصّ ومحمّد كاتب.
- خالد شاعر، وفلسطين دولة محتلّة.

فالجملة الأولى عطفت على الأخرى لأنّهما تحملان نقيضين طول القامة وقصرها، أمّا الجملة الثانية فكون "كريم قاصّ"، ونفترض" أنّ محمّدا كاتب"فهما يشتركان في حقل الإبداع، أمّا الجملة الثالثة فهي شاذّة وغامضة، ذلك أنّ الخبرين يختلفان من حيث الدّلالة؛ لأنّ حقل الشعر لا علاقة له بحقل فلسطين والاحتلال.

1. الجرجاني، دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص223.
2. المصدر نفسه، ص225.

3 – التّضام النفسي والتّضام العقلي:

حاول الجرجاني في هذا المبدأ الجمع بين المتكلّم والمتلقّي؛ بحيث يتمّ تبرير العطف ليس من الجانب المعنوي وإنّما يكون من الجانب التّداولي،مثل: "محمّد قائم وكريم جالس"، فمحمّد وكريم لا يفترقان في ذهن المتلقّي؛ بحيث لا يخفى على المتلقّي أن يعرف حال الثاني من مجرّد سماعه لحال الثاني بحيث تقترن أحوالهما في الذهن، وتصبح حال كلّ منهما "مضمومة في النفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شكّ"[1].

وهذا يعني أنّ محمّدا وكريما أخوان أو شريكان لاقترانهما في ذهن المتلقّي، وبالتالي فالتّضام النفسي هنا هو نسبي (خاص).

أمّا بالنسبة للتّضام العقلي فهو مرتبط بالمعاني حسب الجرجاني، وسنوضّح ذلك من الأمثلة الآتية: – العلم نور والجهل ظلام.

- العدل محبوب والظلم مذموم.
- الاجتهاد حسن والكسل قبيح.

فالمبرر الدّلالي للعطف هو كون الخبر عن الثاني مضادا للخبر عن الأوّل[2]؛ أي كونهما متضامنان عقليا، فالعلم نور ضدّ الجهل ظلام والعدل محبوب ضدّ الظلم مذموم،وهكذا يفهم من هذا الذي تقدّم أنّ العطف في نظر الجرجاني ليس فقط معيار تركيبي نحوي في الجمل؛ بل هناك أساس دلالي يعتمد على المعنى، فتناسق الدّلالة وتلاقي المعاني على الوجه الذي اقتضاه العقل، هو الذي يهمّنا في تحليل النصّ رغم أهمية الجانب التركيبي.

ولأجل ذلك فإنّ نظرة عبد القاهر الجرجاني كانت نظرة نصيّة كاملة تعالج كلّ ما يساهم في بناء نسيج النصّ بإحكام، ممّا جعلها تتقاطع مع نظرة "فان دايك" إلى النّسيج المتشابك للنصّ من المنظور النّحوي، فقد وقف الجرجاني على الطرق والوسائل التي يتمّ بها انسجام النصّ وتماسكه

1. الجرجاني: المصدر السابق، ص225.
2. محمّد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006م، ص104.

انطلاقا من "نظرية النظم"، والتي فيها يتشكّل التّماسك الشّكلي والتّماسك الدّلالي، وصولا إلى التّماسك الكلّي؛ لذلك نجده قد تعرّض لبعض أدوات العطف كالواو والفاء وثمّ...الخ، التي تسهم جميعها في الترابط الشّكلي الظاهر، بالإضافة إلى الجانب الدّلالي أو ما يسمّى "معنى المعنى" حسب عبد القاهر الجرجاني.

وعلى كلّ حال فأقصى ما يمكن أن نعترف به فضلا لعبد القاهر الجرجاني هو نظرية النظم التي تعدّ من أهمّ النظريات في الجهد اللّغوي العربي عند القدماء؛ حيث برزت قيمتها النصيّة في أنّها جمعت بين علوم كثيرة كالنّحو والبلاغة والتّفسير؛ وذلك خدمة للنصّ القرآن والبحث في سر إعجازه، وبيان روعة نظمه، وترابطه، كما حثّ على ضرورة التّماسك النصّي بوصه شرطا من شروط صحة النّظم، ودعا إلى النظرة الشمولية التي تساعد القارئ من الوقوف على جماليات النصّ الأدبي.

المبحث الثاني:

التّماسك النصّي عند كلّ من حازم القرطاجنّي وجلال الدّين السّيوطي.

تمهيد:

يعدّ التّماسك النصّي من أهمّ الظواهر اللّغوية التي اهتمّت بها الدّراسات النصيّة، فقد عدّه النصّيون العمود الفقري لنظريتهم؛ وذلك لما له من أهمية بالغة في التّحليل النصّي؛ إذ يتعلّق بمعيارين أساسيين من معايير النصيّة، أحدهما يختصّ بالجوانب الشكليّة في النصّ والآخر يختصّ بالجوانب الدّلالية؛ وكلاهما مكمّل للآخر وهما الاتّساق والانسجام.

الجدول رقم (01): مصطلح "التّماسك" وما يقابله في مصطلحات اللسانيات النصيّة[1]:

المصطلح	ما يقابله في اللسانيات النصيّة
التّماسك عند محمّد خطابي	يترجمه إلى الاتّساق و الانسجام
التّماسك عند سعد مصلوح	يترجمه إلى الحبك
التّماسك عند تمّام حسّان	يترجمه إلى السّبك و الالتحام
التّماسك عند عمر عطاري	يترجمه إلى التّضام
التّماسك عند عبد القادر قنيني	يترجمه إلى الالتئام
التّماسك عند أحمد عفيفي	يترجمه إلى ثلاث مصطلحات: السّبك والربط التّضام.
التّماسك عند إلهام أبو غزالة	يترجمه إلى التّقارن
التّماسك عند مُحَمَّد مفتاح	يترجمه إلى الالتحام

حتى وإن اختلفت ترجمته إلى العربيّة فإنّ مدلوله واحد، مبني على تحقيق الترابط بين عناصر النص على المستوى الشكلي الظاهري له، و على المستوى الدلالي العميق، فلا يتحقّق أحدهما دون الآخر و كلاهما يساهم في بناء الدلالة العامة للنص في ذهن المتلقي.

1 .ينظر: جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النصّ، المرجع السابق، ص 221.

1.التّماسك النصّي من منظور حازم القرطاجنّي:

اللافت للانتباه أن الدراسات التي قام بها النقاد القدامى كانت تهدف لأن تبرز تماسك النص الشعري أو النثري، فكان في منظورهم "أن زيادة الحرف أو نقصانه من القصيدة يخل بالمعنى ويفقده ماؤه وعذوبيته"[1].

هذا يعني أنهم كانوا حرصين أشد الحرص على تطبيق مفهوم التماسك النصي بشتى الوسائل والآليات اللغوية نحوية كانت أم دلالية.

وحازم القرطاجني (ت684)* واحد من هؤلاء النقّاد الذين أغنوا التّراث العربي بشرح طريقة تماسك النصّ، ورصد العلاقات التي من شأنها سبك النصّ وحبكه، فإذا كان عبد القاهر الجرجاني قد أغنى الدرس العربي بنظرية النظم، فإنّ حازم القرطاجني أغناه بفكرة التّماسك النصّي، فنظرته للنتاج الأدبي كانت أكثر شمولية، وهذا ما ذهب إليه الكثير من الباحثين اللّغويين المعاصرين، فمثلا نجد محمّد خطابي يميّز بين ما قدّمه النّقاد الذين سبقوا حازم على أن نظرتهم للنصّ كانت جزئية أمّا "البحث في الوسائل والعلاقات والكيفية (كيفية التّماسك) فلم تظهر إلا في إنتاج حازم النقدي- في حدود علمنا- وربّما وقفت وراء هذا الاهتمام إفادة حازم من أعمال فلاسفة أمثال الكندي والفارابي و ابن سينا"[2**].

---

1. ينظر: محمود الربداوي، دراسات في النقد العربي القديم، دار العربيّة للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2008م، ص171.

*. حازم القرطاجني: هو حازم ابن القاضي بن حسن بن خلف، شيخ البلاغة والأدب، يكنىّ أبو الحسن الأنصاري المغربي ولد بقرطاجنة (608 هـ-1211م)، تعلّم اللّغة العربيّة وقواعدها من شيوخ بلده، و الإلمام بطائفة من قضايا الفقه والعلوم الحديثة، أعجب بعلو منزلة أستاذه ابن رشد، كما تأثّر بمؤلفات الفلاسفة أمثال ابن سينا والفارابي، من مؤلفاته المشهورة: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أقام بتونس حتى توفي يوم 24رمضان (684هـ)، ينظر: المقري نفع الطيب، تح: إحسان عبّاس دار صادر، بيروت، ط، 1988م، ج02، ص584.

2. محمّد خطابي: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، المرجع السابق، ص149.

**- من يقف عند أراء حازم النقدية والبلاغة من خلال مؤلّفه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، يجد مدى تأثّر حازم من النظريات والمعطيات التي ضمّها كتاب أرسطو في الشعر وكتب الفلاسفة العرب شرّاح أرسطو كابن سينا والفارابي وابن الرشد...الخ.

وعلى هذا الأساس، فإنّ حازم القرطاجني قد فصل القول في البناء الدّاخلي للقصيدة وحاول من خلال ذلك أن يربط بين أجزاء القصيدة كاملة، وبهذا يكون قد أعطى للدّراسات النقديّة العربيّة القديمة صفة الشمولية للنصّ الشعري، وطرح نظرية مهمّة لفهم النصّ دلالة وشكلا ألا وهي "التّماسك النصّي". وسنسعى إلى شرح هذه الفكرة بالتفصيل.

تماسك الفصل عند حازم القرطاجنّي:

قيل التّطرق إلى الكيفية التي يتمّ بها التماسك حسب القرطاجني، نحدّد مفهوم "الفصل"عنده، حيث يشمل بيتين إلى أربعة أبيات تدور حول معنى واحد؛ أي تتضافر لأجل إيصال معنى معيّن. والنصّ الفصل بلغة الجرجاني، وحدة تتشكّل عن طريق آليات الانسجام والاتّساق،كالروابط التركيبيّة (الضمائر، الرّوابط، أسماء الإشارة، أسماء الموصول، الرّوابط بأنواعها) والمعنويّة (كتناسب اللّفظ للمعنى، وحدات الفصول وترابطها، المقابلة، المحاكاة، تناسب الإيقاع لغرض الشّاعر، المعاني وعلاقتها بالمباني...)"[1].

ويتّضح لنا هذا من خلال إحدى القصائد التي أنشدها "المتنبي" تؤكّد فكرة التّماسك النصّي والتي مطلعها[2]:

أُغالِبُ فيكَ الشَوقَ وَالشَوقُ أَغلَبُ وَأَعجَبُ مِن ذا الهَجْرِ وَالوَصْلُ أَعجَبُ
وَيَومٍ كَلَيْلِ العاشِقينَ كَمَنتَهُ أُرَاقِبُ فيهِ الشَمسَ أَيّانَ تَغرُبُ
وَعَيني إِلى أُذُنِي أَغَرَّ كَأَنَّهُ مِنَ اللَّيلِ بَاقٍ بَينَ عَينَيهِ كَوكَبُ
وَمَا الخَيْلُ إِلّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ وَإِنْ كَثُرَتْ في عَيْنِ مَنْ لا يُجَرِّبُ

فقد أشار هنا القرطاجني إلى فكرة تماسك الفصل وشروط هذا التّماسك، فتكلّم عن الروابط والعلاقات المعنويّة بين الأبيات المشكّلة للفصل الواحد وذلك "بأن يردف البيت الأوّل من الفصل بما يكون لائقا به من باقي معاني الفصل قبل أن يكون مقابلا له على جهة من جهات التّقابل أو

1. ينظر: محمّد خطابي، المرجع السابق، ص150.
2. المتنبي: ديوان المتنبي، بشرح عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ج1، 1980م، ص303و304.

بعضه مقتضى له، مثل أن يكون مسبّبا عنه أو تفسيرا له أو محاكي بعض ما فيه ببعض ما في الآخر، أو غير ذلك من الوجوه التي تقتضي ذكر شيء بعد شيء آخر"[1]. فهو يؤكّد على أهمية هذه العلاقات المعنويّة كالمقابلة والاقتضاء، السببيّة والتّفسير والمحاكاة والتي تسهم بقدر كبير في ترابط الفصل وتماسكه. وهذه الأبيات التي استشهد بها حازم هي من قصيدة رائعة جدا جمع فيها الشاعر الهجر بالعشق والغربة، وأشاد – حازم– بشعريّة المتنبي معتبرا إيّاه النموذج الذي يجب أن يحدو الشعراء حدوه.

ثمّ يعلّق القرطاجنّي على أبيات المتنبي بقوله: "ثمّ اطرد كلامه في هذا الفصل في وصف الفرس وانتقل فيه من معان جزئيّة إلى معان كليّة يمكن معها أن يعتقد في الكلام أنّه فصل واحد، وأن يعتقد أنّه فصلان ويكون رأس الفصل الثّاني قوله: وما الخيل إلا كالصّديق قليلة..."[2].فحازم يشير هنا إلى العلاقات الدّلالية وهي تساعد بدورها على تماسك الفصول، وتتمثّل في علاقة الجزء بالكلّ وعلاقة الخاصّ بالعام، مستهدفا في ذلك تحقيق درجة معيّنة من التّواصل.

كما عبّر حازم القرطاجني عن تماسك الفصول بعبارة "عدم تخاذل النّسيج" ومعنى ذلك أن يكون نسيج الفصل متماسكا غير مهلهل، فتكون جمله كأنّها خيوط متداخلة فينشأ من تداخلها قطعة تشبه قطعة النّسيج في تماسكها وانسجامها[3]، وحتى مفهوم النصّ عند الغربيين مأخوذ من النّسيج.

وعلى كلّ حال فإنّ النصّ عند حازم لا تتحقّق نصّيته وتماسكه إلا بشروط أساسيّة منها:

- أن تكون مواد الفصل مناسبة للغرض الذي يسعى الشاعر للتّعبير عنه.
- أن تكون متباينة النسيج.

---

1. حازم القرطاجني: منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م ص290.
2. المصدر نفسه، ص299.
3. ينظر: محمّد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، الدار العربيّة للعلوم للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008م، ص140.

- أن تكون حسنة الاطّراد.
- مناسبة الألفاظ للمعاني.

وأخيرا يمكن القول أنّ ما طرحه حازم القرطاجني، وهو يشرح طريقة تماسك النصّ الشعري والفصل، وعلاقة الكلّ بالجزء، وطريقة الشعريّة، ومختلف الصلات التي تربط بين أجزاء النصّ فتحقّق له تماسكه والتحامه، ممّا يدلّ على غنى التّراث النقدي العربي، و إمكانيّة استثمار أفكار لسانيات التّراث لإغناء لسانيات النصّ الجديدة، وقد اعتبره الباحثون أنّه أوّل ناقد عربيّ قدّم تصوّرا كاملا للنصّ الشعري القديم؛ ويتجلّى ذلك من خلال دراسته لقصيدة المتنبي، والتي درسها دراسة شاملة من بدايتها إلى نهايتها محلّلا العلاقة بين أجزائها على المستوى النّحوي والدّلالي.وهذا واضح في مؤلّفه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" الذي يساهم في إثراء المشهد النقدي العربي.

2.التّماسك النصّي عند السّيوطي:

إذا أمعنّا النّظر في مدوّنات علماء التّفسير نجد لديهم من المصطلحات ما يدلّ على وعي بمعنى ترابط النصّ القرآني؛ ويظهر ذلك من خلال العلاقات النصّية التي استخدموها في تفسيراتهم والسّيوطي(ت911هـ) واحد من هؤلاء المفسّرين الذين تحدّثوا عن علاقات التّناسب أو عن هذه العلاقات النصيّة التي يبني على أساسها القول بالتّرابط بين سورة وأخرى.

إنّ ما يميّز السّيوطي في مجال التّماسك النصّي هو إفراده كتابا خاصّا برصد التّناسب بين السور، بعنوان "تناسق الدّرر في تناسب السّور"؛ حيث استقصى فيه أوجه التّماسك بين سور القرآن كلّها.

ولكن ما ينبغي أن نشير إليه، أنّ شخصيّة السيوطي تبدو واضحة ثابتة مناقشة ومحاورة تثبت ما تراه سليما و ترفض ما تراه غير ذلك، فبدأ حديثه عن الإعجاز، بذكر طائفة من العلماء الذين بحثوا في الإعجاز القرآني مثل: الخطّابي، الرمّاني، الزملكاني، الإمام الزركشي، ابن سراقة والقاضي أبي بكر الباقلاني، فقد أشاد بهم كثيرا، وردّد عبارة ابن العربي في وصفه كتاب "إعجاز

القرآن" حيث قال: "ولم يصف مثله قطّ"[1]. ومن ذلك يتّضح أثر الباقلاني في السّيوطي، كما أنّ أغلب أرائه إنّما هي جمع لآراء من سبقه من العلماء في كلّ مسألة تناولها.

التّماسك بين السور:

لقد طرح السّيوطي قضيّة التّماسك بين السّور في باب مستقل من مؤلّفه "الإتقان في علوم القرآن" سمّاه "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالب"؛ حيث تطرّق إلى آلية التّماسك الشّديد بين السور والآيات التي طبعت هذا الباب، فالنصّ القرآني الذي نزل على مدّة متطاولة، ونزل في الزمان والمكان المختلفين ليس إلا مؤشّرا على منزل هذا النصّ[2]. وهكذا يغدو التّماسك وجها جديدا في إعجاز القرآن، وسمة أساسيّة من سمات النصّ القرآني، ذلك النصّ الذي تميّز بتماسك شديد بين آياته وسوره، تلك الآيات و السور التي نزلت على مدار ثلاث وعشرين سنة.

ويمكن أن نجمل أهمّ علاقات التّماسك بين السّور التي طرحها السّيوطي في العلاقات الآتية:علاقة تفصيل المجمل، وعلاقة التّلازم والاتحاد، وعلاقة تشابه الأطراف، و علاقة المقابلة وعلاقة المقارنة، وعلاقة الملابسة، وعلاقة التّحقيق، وعلاقة بيان العلّة، وعلاقة الإتمام والعطف، وعلاقة الإطار الزمني[3].

وسنتطرّق إلى أولى هذه العلاقات: "علاقة تفصيل المجمل "باعتبارها القاعدة التي استقرّ بها القرآن الكريم، فمن وجهة نظر السّيوطي: أنّ كلّ سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له وإطناب لإيجاز[4]. وبالتّالي تصبح هذه العلاقة النصيّة أهمّ العلاقات التي وفّرت للنصّ القرآني في لغته المحكمة خاصية التّماسك والتّرابط فمثلا "سورة آل عمران" قد اشتملت على شرح لإجمال ما في

1. السّيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتقان في علوم القرآن، خرج أحاديثه، أحمد بن أحمد، مكتبة الصفاء، ط1، 2006م ج3، ص213.

2. عمران رشيد: آليات التّماسك ا النصّي الزّركشي والسّيوطي أنموذجان، مجلّة الدّراسات اللّغوية والأدبيّة، العدد1، السنة الثّانية، يونيو 2011م، ص28.

3. ينظر: السيوطي، تناسق الدّرر في تناسب السور، دراسة وتح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية،ط1، 1406هـ، 1986م، ص142و 170.

4. المصدر نفسه، ص65.

البقرة قبلها، ومثال ذلك أنّ سورة البقرة افتتحت بوصف الكتاب لقوله تعالى:﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾(سورة البقرة، الآية02)، وقال عزّ و جلّ:﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾(سورة آل عمران الآية 03)، وذلك بسط وإطناب، لنفي الريب والشكّ عنه[1].

1- **وفي تفصيل لإجمال آخر السورة:** يتجلّى ذلك مثلا في العلاقة بين سورتي المؤمنون والحجّ، يقول السّيوطي: وجه اتّصالها بسورة الحجّ أنّه لما ختمها بقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(سورة الحج، الآية 77)، و كان ذلك مجملا، فصّله في فاتحة هذه السّورة فذكر خصال الخير التي من فعلها فقد أفلح، لقوله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ(2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ(3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾(سورة المؤمنون، الآيات 1و4)[2]، فهذه العلاقة تعدّ من العلاقات الأساسيّة والمفتاحيّة في تفسير التّماسك بين السّور القرآنية، وهي علاقة مهيمنة على كلّ العلاقات التي وردت في كتاب السّيوطي؛ حيث استطاع هذا الأخير في هذه العلاقة أن يثبت إثباتا دقيقا مقولة: إنّ القرآن كالكلمة الواحدة؛ إذ الآية والسورة المفصّلة، تفسّر وتبيّن وتؤكدّ الآية أو السورة المجملة قبلها، من أول كلمة القرآن حتى آخر كلمة فيه.

2- **علاقة تماسك إيقاعي:** كالتّوازن في اللفظ في آخر سورة المسد وسورة الإخلاص، ومن هذه العلاقة أيضا أنّ كلّ سورة بدأت بحرف منها فإنّ أكثر كلماتها وحروفها مماثل له، فَحُقّ لكلّ سورة منها أن لا يناسبها غير الوارد فيها، فلو وضع (ق) موضع (ن) لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله تعالى، وسورة (ق) بدأت به لما تكرّر فيها من الكلمات بلفظ (القاف) من ذكر القرآن والخلق، وتكرير القول ومراجعته مرارا والقرب من ابن آدم، وتلقّي الملكين وقول العتيد الرقيب والسّائق في جهنّم والقرب من ابن آدم وذكر المتّقين والقلب والتنقيب في البلاد و تشقّق الأرض وحقوق الوعيد وغير ذلك [3] .

1. السيوطي: الإتقان، المصدر السابق، ص70و 73 .
2. المصدر نفسه، ص120.
3. المصدر نفسه، ص113.

3- **علاقة العطف**: كالتّشابه بين سورة الضحى وسورة الشرح، يقول السّيوطي: "هي شديدة الاتّصال بسورة الضحى، لتناسبهما في جمل، ولهذا ذهب بعض السّلف إلى أنّهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما، قال الإمام: والذي دعاهم إلى ذلك هو أنّ قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (سورة الشرح، الآية1)، كالعطف على الآية الكريمة في قوله تعالى:﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾(سورة الضّحى، الآية 6)" [1].

4- **علاقة التّعليل**: ورد في سورة التغابن قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(سورة التغابن الآية 14)، فالتّعليل واضح في الآية؛ حيث أنّ عداوة الأزواج تؤدّي إلى الطلاق وعداوة الأولاد قد تفضي إلى القسوة وترك الإنفاق عليهم، عقب ذلك بسورة فيها ذكر أحكام الطلاق والإنفاق على الأولاد و المطلّقات بسببهم [2].

5- **علاقة التّحقيق**: يرى السّيوطي أنّ خاتمة سورة الإنسان في قوله تعالى ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(سورة الإنسان، الآية 31)، افتتح سورة المرسلات بالقسم على أن ما يوعدون لواقع، فكان ذلك تحقيقا لما وعد به هناك المؤمنين وأعدّ للظالمين [3].

6- **علاقة التّناسب في الافتتاح**: يقول السّيوطي عن التّناسب بين سورتي القمر والممتحنة أنّه "لا يخفى ما في توالي هاتين السورتين من حسن التّناسق في التسمية لما بين النجم والقمر من الملابسة ونظيره توالي الشّمس والليل والضّحى وقبلها سورة الفجر" [4].

ونخلص ممّا سبق، إلى أنّ المفسّرين والمصنّفين في علوم القرآن اجتهدوا من أجل إبراز اتساق النصّ القرآني وانسجامه، على أنّ الاهتمام بالانسجام لم يكن الانشغال الوحيد لهؤلاء العلماء،

1. السيوطي: تناسق الدّرر، المصدر السابق، ص 138.
2. السيوطي: المصدر نفسه، ص 126.
3. المصدر نفسه، ص 113.
4. المصدر نفسه، ص 120.

وإنّما كان جزءً من انشغال أشمل، هو فهم القرآن وإظهار وجوه إعجازه وهذا ما أشار إليه الأستاذ محمّد خطابي[1].

ويبدو أنّ السّيوطي استطاع أن يرصد لنا مجموعة من علاقات التّماسك بين السور وآياتها، فهو من هذه النّاحية يعبّر تعبيرا دقيقا عن الإعجاز، فعلى الرغم من بقاء النصّ القرآني نصّا مفتوحا تتنزّل آياته وسوره تنزيلا منجّما، يجد المتأمّل في القرآن الكريم تماسكا يثير الإعجاب والدهشة، وهكذا يغدو التّماسك وجها جديدا في إعجاز القرآن، وسمة أساسيّة من سمات النصّ القرآني؛ ذلك النصّ الذي تميّز بتماسك شديد بين آياته وسوره، تلك الآيات التي نزلت على مدار نيف وعشرين سنة.

وقد قدّم العلماء في التّماسك والمناسبة آليات وأدوات استطاعت أن تبرهن على الوحدة النصيّة للقرآن الكريم،حتى وإنّ الإمام الزّركشي يعدّ المناسبة هي وجه من وجوه إعجاز القرآن، وأبرز من وظّف قواعد علم أصول الفقه في دراسات علوم القرآن والتّفسير، ومن هنا نجد نظرية المناسبة القرآنية أخذت حيّزا واسعا من ساحتها لدراسة التّماسك الدّلالي؛ وذلك عبر تقديم آليات نصيّة قادرة على إبراز التّرابط في النصّ القرآني، ولنا وقفة مع الإمام الزركشي في هذا المجال.

1. محمّد خطابي: لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص205.

" لو لم يكن لبدر الدين الزّركشي إلا كتاب البرهان في علوم القرآن لكفاه، كما يحتلّ المكانة التي شغلها وسط منظومة العلماء المسلمين ".

الدكتور خالد إبراهيم المحجوبي، عن مجلّة الكلمة الطيبة، 05 أكتوبر 2004.

الفصل الثّاني

إسهامات الزّركشي في كتاب البرهان في علوم القرآن

المبحث الأوّل: التّعريف بالإمام بدر الدين الزركشي.

المبحث الثّاني: منهج الإمام الزركشي وجهوده اللّغوية في كتاب البرهان.

المبحث الأوّل

التّعريف بالإمام بدر الدّين الزركشي

تمهيد:

الإمام الزرّكشي عالم من علماء القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وإمام من أئمة الإسلام، شافعي المذهب وأحد علماء الإثبات الذين سطع نجمهم بمصر، ومن الفطاحل المشهود لهم بالنبوغ والاجتهاد، كما أنّه جِهْبَذٌ من جهابذة أهل النظر وأرباب الاجتهاد وهو أيضا علم من أعلام الفقه والحديث ولتّفسير وأصول الدّين واللّغة والأدب [1]، نهل من علوم الثقافة الإسلاميّة.

1.اسمه و نسبه:

يتّفق الكثير من المؤرّخين أنّ اسمه الكامل هو: العلّامة بدر الدين محمّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، يعرف بالمصري لأنّه مصري المولد و النشأة والوفاة، وقد قيل أنّه تركي الأصل باعتبار أصله لأنّ أباه كان مملوكا لأحد الأكابر [2].

ولقّب بالزركشي نسبة لصناعته الزركش وهو صغير والزركش هو الحرير المنسوج بالذّهب[3]. وهذه الكلمة أعجميّة، فارسيّة، مركّبة من كلمتين (زَرْ) أي: ذهبٌ و(زَكَشْ) أي: ذو وحتى كلمة (بهادر) فارسيّة معناها البطل والبهلوان، مركبّة من (بَهَا) أي: ثمن ومن (دار) أي ذو[4]، وله عدّة ألقاب، فلقّب بـ "بدر الدين"، وبـ "المنهاجي" لحفظه كتاب منهاج الطالبين للنّووي[5]، كان يهتمّ به كثيرا حفظا وتعليقا وشرحا.

1. بدر الدّين الزركشي:البرهان، المصدر السابق، ص7.

2. الزركشي: المنثور في القواعد، تح: تيسير فائق أحمد محمود، ج1، ط1، 1986م، ص40.

3. غانم بن عبد الله الغانم بن سليمان: ترجيحات الزركشي في علوم القرآن عرضا و دراسة، تقديم بدر الدّين ناصر البدر، دار كنوز إشبيليا للنشر و التوزيع، الرياض، ط1، 1430 هـ، 2009م، ص 22.

4. السيّد آدي شير: معجم الألفاظ الفارسيّة المعربة مكتبة لبنان، بيروت، 1970م، ص28.

5. ابن حجر العسقلاني، الدار الكامنة في أعباء المائة الثامنة، تح: مُحَمَّد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، دار الكتب الحديثة، ج4، ص 17.

2.مولده و نشأته:

ولد الإمام الزركشي سنة سبعمائة وخمسة و أربعين للهجرة (745هـ) بالقاهرة، حينما كانت معمورة بالمدارس، خاصّة بالفضلاء، وحملة العلم زاخرة بدور الكتب الخاصّة والعامّة والمساجد الحافلة بطلاب المعرفة، والوافدين من شتّى الجهات، ينحدر من أسرة فقيرة لم يكن لها باب من الشهرة، فقد كان أبوه مملوكا لبعض الأعيان و لهذا تعلّم في صباه صناعة الزركش واشتغل مع أبيه ثمّ بعد أن اشتدّ عوده تعلّق قلبه بالعلوم الشرعيّة فحفظ منهاج الإمام النووي وهو في أوّل شبابه، واستمرّ على التحصيل العلمي والاشتغال به [1].

وقد تتلمذ الزركشي على يد عدد من المشايخ والعلماء في مصر، وأصبح من أكابر فقهاء الشافعية، إذ لازم الشيخ جمال الدين الإسنوي، و الشيخ سراج الدّين البلقيني والحافظ مغلطاي ملازمة شديدة[2].فكان من أنجب تلامذتهم وأفضلهم وأذكاهم، كما تتلمذ على يد العديد من علماء مصر وشيوخها حيث يقول عنه ابن حجر: "وكان منقطعا في منزله لا يتردّد إلى أحد إلا في سوق الكتب و إذا حضر إليها لا يشتري شيئا، وإنّما يطالع في حانوت الكتيبي طول نهاره و معه ظهور أوراق يعلّق فيها ما يعجبه، ثمّ يرجع فينقله إلى تصانيفه" [3].

وقال عنه أيضا تيسير فائق أحمد محمود: "فهو عالم من قلّة العلماء الذين لم تختصم في أذهانهم ملكات الفقه والأدب وقد تجلّى في مؤلفاته جميعا صفاء الذهن وعمق الفكر[4] ودقّة التّحقيق ووضوح الأسلوب"، في حين أثنى عليه محمّد بركات حمدي أبو علي، وهو يوضّح طريقته في فهم البلاغة العربيّة و كيفية تناولها : "وأنّه اختار طريقة الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني في فهم البلاغة العربيّة وهي طريقة الأدباء وطريقة ذات الأسلوب الواضح غير المتفلسف[5]".

1. الزركشي: البرهان في علوم القرآن،المصدر السابق، ص 07.
2. المصدر نفسه، ص 07.
3. المصدر نفسه: ص 07 و 08.
4. الزركشي: المنثور في القواعد، المصدر السابق، ص 42.
5. محمّد بركات حمدي أبو علي، فصول في البلاغة، دار الفكر للنشر و التوزيع، عمّان، ط1، 1983م، ص 173.

وعليه فما قيل عن الزّركشي ومكانته العلميّة البارزة كثيرا لا يمكن حصره في هذا المقال حيث استطاع أن يترك أعمالا بقيت شاهدا مدى العصور على ثبوت قدمه ورسوخها على بساط تراث الأمّة العربيّة الإسلامية، وينير درب المتلقّي ليتعرّف على شخصية الرجل عن كثب ويلتمس مكامن العظمة عنده و النبوغ في شتّى صنوف المعرفة.

3.رحلاته في طلب العلم:

أكرم الله عزّ وجلّ الإمام الزّركشي بالإقبال على العلم وهو في أوّل عمره، بل والرحلة في تحصيله وهو لم يتجاوز السابعة من عمره، حيث قرأ بدمشق على علمائها، وقد حفظ في صغره كتبا كالمنهاج وغيره [1]، أحبّ الزركشي العلم منذ نعومة أظافره، وقد منحه الله حافظة قويّة وذكاءً حادّا وذهنا صافيا فحفظ بعض المختصرات والمتون، ثمّ اشتاقت نفسه إلى طلب الحديث الشريف، فشدّ العزم على الرحيل إلى الشام التي كانت تحتضن أكابر المحدثين والعلماء فالتقى بالشيخ شهاب الدّين الأذرعي بحلب، والحافظ ابن كثير في دمشق فشدّ إليهما الرحال ولازمهما ثمّ عمد إلى دمشق حيث تلقّى على ابن كثير الحديث، ثمّ عاد إلى القاهرة وكان قد جمع بها أشتات العلوم وأحاط بالأصول والفروع [2].

وكان الزركشي لا ينشغل لأحد إلا إلى سوق الكتب، لكن لشدّة فقره، وشظف العيش قد يصعب عليه الشراء مرارا، لكن مع تلك الحالة كان حريصا على جمع الكتب متى تيسّر له الأمر رغم أن خطّه كان ضعيفا جدا، قلّ من يحسن استخراجه، ولكن ابن حجر ردّ على هذا بقوله: "لم يكن خطّه ضعيفا، فقد نسخ الكثير من تصانيف غيره، وإنّما يوجد له الخطّ العقد الذي يكتبه لنفسه، فإنّه كان يسرع جدا وكتب بالقلم الوضيع في التّعليق"[3].

1. ابن حجر العسقلاني، الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح:محمّد سيّد جاد الحقّ، مطبعة المدني دار الكتب الحديثة،ج4، دس، ص 134.

2. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 07.

3. العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر نفسه، ص18.

وهذا على حسب رأينا يدلّ على كثرة اطلاعه وكثرة استغراقه في مختلف جهوده التي كان يبذلها ربحا للوقت وخدمة للدّرس اللّغوي بصفة عامّة.

إذن فالزركشي كان غزير الاطلاع، متفرغا للعلم، كاتب موسوعي، ناقل لطرق كلّ أبواب العلم ولم يترك علما إلا وقطف منه، فجاءت مؤلّفاته كثيرة، سنذكرها بإيجاز مرتّبة حسب أنواع العلوم التي خاضها الزركشي.

4.أشهر شيوخ الزركشي:

تتلمذ الزركشي على يد كثير من علماء عصره وزمانه في علوم شتى، ومن مقوّمات نبوغ طالب العلم لزومه شيوخ أجلاء ممن جمعوا بين العلم والعمل، فبهم يتحصّل على العلم المقرون بالتطبيق، فيبقى العلم راسخا في ذهنه مهما طال الزمن، وقد كان الزركشي ممن حظي بعلماء جهابذة تلقّى عنهم، ولازم بعضهم في كثير من العلوم منها: علم القراءات، والأصول، والشعر والنحو و اللّغة وعلوم البلاغة والتّفسير وغيرها، ونذكر أشهر العلماء على سبيل المثال لا الحصر:

- جمال الدّين الأسنوي (ت 772هـ).
- شهاب الدّين الأذرعي (ت 783 هـ).
- سراج الدين البلقيني (ت 805 هـ).
- الحافظ مغلطاي (ت 772هـ).
- عمر بن أبي أميلة (ت 778هـ).
- الصلاح بن أبي عمر (ت 780هـ).
- ابن كثير (ت 774هـ).
- ابن الحنبلي الشافعي (ت 774هـ)[1].

1. ينظر: خير الدّين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1980م، ط5، ج6، ص188.

تلك هم شيوخ الزركشي، لا يمكن إحصاؤهم كلّهم؛ بل اكتفينا بذكر أشهرهم لاسيما من كان لهم الأثر الواضح و العميق في تكوينه العلمي و بناء معالم شخصيته.

5.تلاميذه:

تتلمذ على يد الزركشي العلم جمع غفير من الطلبة و المريدين، فنهلوا منه المعرفة في مختلف الميادين والمجالات، ونالوا منه الخلق الرّفيع والتّقوى والإيمان ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- شمس الدّين البرهاوي (ت 831هـ).
- ابن حجي (ت 830 هـ).
- كمال الدّين الشمني (ت 821هـ).
- سراج الدّين الوزوري (ت 861 هـ).
- محمّد الكناني العسقلاني الطوفي (ت 852هـ).
- ابن الحسين المراغي (ت 764 هـ).
- ابن زين الطنتدائي الشافعي (ت 745هـ) [1].

وغيرهم الكثير ممن ذكروا في أمهات كتب التراجم، كما كان حريصا على تعليم أهل بيته وحضورهم في مجالسه العلميّة، حتى آخر رمق من حياته.

6.مكانته العلميّة و آراء العلماء فيه:

حظي الإمام الزركشي بمكانة علميّة عظيمة عند العلماء خاصّة، والعامّة من النّاس، لما يحمله من علم غزير وثقافة واسعة، وما تحلّى به من أخلاق فاضلة وخصال حميدة، وفي هذا الصّدد أشار "تيسير فائق أحمد محمود" إلى علوّ منزلة الزركشي العلميّة وتلوّن ثقافته وزركشتها قائلا:

1. الزركشي: المنثور في القواعد، المصدر السابق، ج1، ص 41.

"فكان محدثا أصوليا وفقيها ولغويا وأديبا، وانعكست أضواء ثقافته على مؤلّفاته، فهو أحد علماء الإثبات الذين نجموا بمصر في القرن الثامن الهجري" [1].

تعتبر شخصية الزركشي من الشخصيات في حضارتنا بل وضعت بصمتها، وأكّدت حضورها ووجودها، وفعاليتها في هذه الحياة، ولعلّ الأخلاق الرفيعة والقيم النبيلة التي وسمت شخصيته خاصّة حبّه للعلم وشغفه به جعلته يتبوّأ منزلة رفيعة ومكانة متميّزة لدى الكثير من العلماء، و الذي كان ينمّ في كثير من الأحيان عن إعجاب واعتزاز بهذه الشخصية الفذّة، "فابن تغري بردى" مثلا قال بأنّ الزركشي كان بارعا في الفقه وغيره وشارك في عدّة فنون و تصدّى للإفتاء و التّدريس و أنّه أكثر من الكتابة بخطّه ما بين شروح و مختصرات و مجاميع، و غير مزاحم على الرئاسة، يلبس الخلق من الثياب ويحضر بها المجامع والأسواق ولا يحبّ التعاظم، أمّا القاضي بن شهبة فقال عنه: بأنّه كان فقيها أصوليا أديبا فاضلا في جميع ذلك [2].

كما تولّى الزركشي مناصب علميّة عدّة منها، ولايته مشيخة خانقاه كريم الدّين بالقرافة الصغرى، مع قيامه بالتّدريس والفُتيا؛ حيث وصفه ابن القاضي شهبة بقوله: "العالم، العلّامة المصنّف، المحرّر" ثمّ نقل عن بعض المؤرخين وصفهم له بقولهم: "كان فقيها، أصوليّا، أديبا، فاضلا في جميع ذلك"[3]، ووصفه "الأدنهوي" في طبقاته بأنّه: "عالم بالحديث والتّفسير، وجميع العلوم"[4].

وممّا يشير أيضا إلى عظمة الزّركشي في المناحي العلميّة تمرّسه بالتأليف والتصنيف في سنّ مبكرة من حياته؛ حيث بدأ التأليف وهو في الرابعة والعشرين من عمره، كما ذكر صاحب الدّرر الكامنة قائلا: "ويصنّف الكتب وهو في الرابعة والعشرين، لجدير بالمكانة العلميّة العالية"[5]، وتوضّح

1. الزركشي: المنثور في القواعد، المصدر السابق، ص 40.

2. ينظر: عبد الحميد أحمد بن علي، مباحث التشبيه عند الزركشي، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، 1984م، ص25.

3. ابن القاضي شهبة: طبقات الفقهاء الشّافعية، تح: د علي محمّد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج2، ص 233.

4. أحمد بن محمّد الأدنه وي: طبقات المفسّرين، تح: سليمان بن صالح الخزي، ط1، مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة 1417 هـ، ص 302.

5. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، المصدر السابق، ص 397.

مسيرته الحياتية مدى حرصه على الوقت واستغلاله أحسن استغلال والعمل على استثماره على الوجه الصّحيح و الأكمل.

فالزركشي وبثناء العلماء على بعض مؤلّفاته، وبشهادة له، يستحقّ وسام التقدير والشّرف لأنّه كان رجلا مثاليا سواء بعلمه أو بأخلاقه، فأكثر العلماء الأجلاء الذين جاؤوا بعده استفادوا من مؤلفاته، وأفادوا بها معرفة وعلما، فكان مثالا حيّا في الفقه، وعنوانا في الأصول، وأنموذجا للمحدّث البارع الذي لا يشقّ له غبارا، وأديبا فذّا وناقدا متميّزا.

7.صفات و أخلاق الزّركشي:

من الصفات الخلقيّة التي طبعت شخصية الزركشي، كانت تشير إلى مستوى من الرّقي والتّرفع فقد كان رضي الخلق، محمود الخصال، عذب الشمائل، متواضعا، رقيقا ليّنا، يلبَس الخلق من الثياب، ويرضى بالقليل من الزاد فلا يشغله عن العلم شيء من مطالب الدنيا أو شؤون الحياة [1] وقد ذكرت كتب التراجم أنّ الزركشي يحبّ كتابة مصنّفاته بنفسه، وخطّه رديء جدا قليل من يحسن استخراجه، لهذا شاع في الكتب المنقولة عنه الغموض والإبهام والتّحريف ولقي منها الدّارسون والقرّاء العناء الكثير.

ومن سمات الزركشي أيضا التّواضع في العلم والموضوعيّة والإفادة ممّن سبقوه، يقول"ومع هذا ما كتبت شيئا إلا خائفا من الله مستعينا به، معتمدا عليه، فما كان حسنا فمن الله وفضله وما كان ضعيفا فمن النّفس الأمارة بالسوء" [2].

نخلص ممّا سبق ذكره، أنّ الإمام الزركشي كان أديبا فاضلا فصيح العبارة، شيّق الأسلوب عرف بزهده وتقواه، والدّليل على ذلك أنّه كان منقطعا على الدّنيا، وانشغاله فقط بالعلم منذ صغره ومجاهدة النّفس حتى بلغ شأنا عظيما، فكان عالما زاهدا، راضيا بالقليل والعيش الكفيف.

1. الزركشي: المنثور في القواعد، المصدر السابق، ج1، ص08.

2. الزركشي: تصحيح العمدة، تح: د.مرزوق بن عباس آل مرزوق الزهراوي، ج1، ط1، دس، ص 10.

8.تصانيفه ومؤلفاته:

كان الزركشي دائم الحرص على تقديم أطيب الثّمار التي خباها من بساتين العلم والمعرفة لذا جاء محصوله يانعا، وقد تبلور في مجموعة من الدُرر الثمينة التي لا يمكن لأيّ طالب للعلم أن يستغني عنها لما فيها من اللذّة والمتعة والإفادة والتّشويق.

وقد ذكرت كتب التّراجم أنّها بلغت قرابة الخمسين كتابا في شتّى العلوم، والمتأمّل لهذا الإنتاج الغزير يلحظ فيه صفاء الذهن وعمق الفكرة، ودقّة التّحقيق ووضوح الأسلوب وإشراق الديباجة، وكثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم، وفصيح العربيّة شعرها و نثرها" [1].

وهذه إشارة إلى أشهر مؤلّفاته مرتّبة حسب الفنون الآتية:

1- التّفسير و علوم القرآن

- البرهان في علوم القرآن، مطبوع.
- تفسير القرآن العظيم وصل فيه إلى سورة مريم.
- كشف المعاني في الكلام.

2- الحديث ومصطلحاته:

- الذهب الإبريز في تخريج أحاديث الرافعي الكبير.
- التذكرة في الأحاديث المشتهرة.
- التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، مطبوع.
- شرح الأربعين النوويّة.
- شرح الجامع الصحيح للبخاري.
- اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة.
- المختصر الحديث (مطبوع).

1. ينظر: عبد الحميد أحمد محمّد علي، مباحث التشبيه عند الزركشي، ص 15.

- المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج و المختصر.
- النكت على ابن الصلاح.
- النكت على البخاري.
- النكت على عمدة الأحكام.

3- كتب الفقه:

- إعلام الساجد بأحكام المساجد.
- تكملة شرح المنهاج للإمام النووي.
- خادم الرافعي و الروضة في الفروع.
- خبايا الزوايا.
- الديباج في توضيح المنهاج (مطبوع).
- الزركشيّة.
- زهر العريش في أحكام الحشيش.
- شرح التّنبيه المشيرازي.
- شرح الوجيز في الفروع للغزالي.
- الغرر السوافر فيما يحتاج إليه المسافر.
- غنية المحتاج في شرح المنهاج.
- فتاوى الزركشي.
- مجموعة الزركشي في فقه الشافعيّة.

4- كتب قواعد الفقه:

- القواعد في الفروع: المنثور في ترتيب القواعد الفقهيّة.

5- كتب أصول الفقه:

- البحر المحيط في أصول الفقه.

- تشنيف المسامع بجمع الجوامع (مطبوع).
- سلاسل الذّهب في الأصول.

6- كتب علم البلاغة:

- تجلّي الأفراد في شرح تلخيص المفتاح.

7- كتب التّاريخ و الرجال:

- عقود الجمان و تذييل وفيات الأعيان لابن خلكان.

8- كتب التّوحيد و علم الكلام:

- رسالة في كلمات التّوحيد
- ما لا يسع المكلّف جهله.

9- كتب الأدب و المديح:

- ربيع الغزلان.
- شرح البردة.

10- كتب الأصول والحكمة والمنطق:

- لقطة العجلان وبلة الظمآن.

11- كتب متفرقة:

- الأزهية في أحكام الأدعيّة.
- خلاصة الفنون الأربعة.
- رسالة في الطاعون وجواز الفرار منه.
- شرح المعتبر.
- عمل من طب لمن حبّ

- في أحكام التمنّي[1].

تلك من أشهر مؤلّفات الزركشي والكثير منها لم يظهر حتى الآن، والسبب يرجع إلى ضعف خطّه كما يقول عنه بن قاضي شهبة: "وخطّه ضعيف جدّا: قلَّ مَنْ يُحْسِنُ استخراجه"[2].

ومن هنا نكون قد أدركنا القيمة الحقيقيّة للعلم، والغاية من ضرورة تحصيله للإمام الزّركشي الذي استطاع أن يترك أعمالا بقيت شاهدا مدى العصر على ثبوت قدمه ورسوخها على بساط تراث الأمّة العربيّة الإسلاميّة، وقد كان من أولئك المحظوظين الذين أحبّهم الله، وساق إليهم الخير الوفير وذلك بأن هداه، ووفّقه إلى تأليف كتاب متفرّد تمثّل في دراسة أعظم كتاب أنزله الله تعالى وهو القرآن الكريم.

9.وفاة الإمام الزركشي:

بعد حياة حافلة بالجد والاجتهاد والتّصنيف والتّأليف، ومسيرة علميّة زاخرة بالعطاء العلمي والثّراء الفكري والعمل الجادّ والدّؤوب والاجتهاد المتواصل، انطفأت شمعة من شموع الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ألا وهو الإمام الزركشي، مغادرا الحياة الدنيا وتاركا وراءه فراغا كبيرا لا يمكن لأيّ عالم آخر أن يملأه، وقد كان ذلك في يوم الأحد، الثّالث من شهر رجب سنة 794هـ، ودفن في القرافة الصغرى بالقرب من تربة "بكتمر الساقي" رحمه الله [3].

وعلى ذلك لم يعمّر طويلا في هذه الحياة الفانية، وعمره كان دون الخمسين سنة، لكن بقيت تصانيفه ومؤلّفاته العظيمة شاهدة له بعلمه و فضله، و خالدة في تاريخ الأمّة الإسلاميّة ينهل منها من جاء بعده من العلماء، فأصبحت أقواله متلقاة عبر العصور كأنّه حيّ بينهم[4]، فرحم

1. ينظر: الزركشي، تصحيح العمدة، المصدر السابق، ص09و12. وينظر: المنثور في القواعد، ج1، ص42و 43.
2. ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، المصدر السابق،ج2، ص 234.
3. ينظر: الزركشي، المصدر نفسه، ج1، ص08.
4. ينظر: غانم بن عبد الله بن سليمان الغانم، ترجيحات الزركشي في علوم القرآن، ص49.

الله الإمام العلّامة الزركشي رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجزاه الله خير ما قدّم للمسلمين عامّة وطلاب العلم خاصّة من مؤلّفات في ميزان حسناته.

المبحث الثاني:

منهج الزركشي وجهوده اللغويّة في كتاب البرهان في علوم القرآن

تمهيد:

تعدّ علوم القرآن من أشرف العلوم وأجلّها وأنفعها لكون موضوعها كتاب الله وغايتها الاعتصام بكلام الله، ما جعل الصحابة والتّابعين ومن جاء بعدهم يهتمون بهذا العلم؛ أي دراسة القرآن الكريم، واستخراج أحكامه وحكمه، واستنباط مسائله ولطائفه، مفسّرين ألفاظه، موضّحين معانيه، كاشفين عن علومه وحقائقه، مظهرين إعجاز بيانه، فكثرت المؤلفات وانتشرت المصنفات في شتّى الفنون والعلوم المتعلّقة بكتاب الله تعالى[1]، من بينها "كتاب البرهان في علوم القرآن" للإمام الزركشي، فيا ترى ما محتوى هذا الكتاب؟ أو ما هو المنهج الذي سلكه الزّركشي في تحليل الخطاب القرآني ؟

1.التّعريف بجهود الزركشي وسبب اختياره للعنونة:

يعتبر كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي من بين الجهود المبذولة التي ألّفها علماء المسلمين و المتقدّمين في علوم القرآن، التي ظهرت فيها براعة الزّركشي وعبقريته، من خلال الطرح العلمي المتميّز للقضايا التي ناقشها فيه، ومن خلال الأسلوب الفنّي البديع الذي مكّنه من تقديم الأفكار التي يسعى لإيصالها إلى المتلقّي أحسن تقديم، بالإضافة إلى المنهج المتميّز الذي سار عليه الزركشي في كتابه، كلّ هذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على فهمه الجيّد للنصّ القرآني وإحاطته بمختلف علومه، ممّا جعل كتابه من الكتب العلميّة الثمينة ذات العيار الثّقيل، التي يحتاجها الباحثون في دراساتهم اللّغوية و القرآنيّة [2].

والسبب في تأليف الزركشي لهذا الكتاب يعود إلى"أنّ المتقدّمين (سابقيه من العلماء) لم يؤلّفوا في علوم القرآن، بالإضافة إلى أنّه أراد من كتابه أن يكون وسيلة تُعين المفسّرين في الكشف

1. ينظر: غانم بن عبد الله بن سليمان الغانم، ترجيحات الزركشي في علوم القرآن، المرجع السابق، ص 7 و 8.

2. ينظر: محمّد عثمان يوسف، النصّ القرآني عند الزركشي بين الفهم و التذوّق، دار العلم و أفيمان للنشر و التوزيع،القاهرة 2009م، ص219.

عن حقائق القرآن الكريم والتّعرف على بعض أسراره و دقائقه" [1]؛ لذلك يعدّ كتابه من الكتب العتيدة التي جمعت عصارة أقوال المتقدّمين، وصفوة أراء العلماء المحقّقين حول القرآن الكريم،كتاب الله الخالد.

وعلى الرغم من ذلك إلا أنّه لم يكن معروفا ولا متداولا بين الطلاب والدّارسين، ما عدا قلّة من المتفوّقين بمعرفة النوادر وروّاد المكتبات، شأنه شأن الكثير من كتب الزركشي على عظم محتواها، وجلالة موضوعاتها، ومقدار غنائها ونفعها، حتى دلّنا عليه الإمام جلال الدّين السيوطي في مقدّمة كتابه "الإتقان في علوم القرآن"، فقد عدّه أصلا من الأصول التي يبنى عليها كتابه، وتأسي طريقته وتقبّل مذهبه، وسار على الدّرب الذي سلكه، حيث قال: "بلغني أنّ الشيخ بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله الزركشي، أحد متأخري أصحابنا الشافعين، ألّف كتابا في ذلك حافلا يسمّى "البرهان في علوم القرآن"فتطلبته حتّى وقفت عليه، فوجدته قد قال في خطبته..."[2].

فكتاب البرهان يعتبر من أهمّ الكتب التي تضمّ صفوة الآراء وخلاصة الأقوال في علوم القرآن، فهو يمثّل ثمرة زاده المعرفي إذ جمع أقوالا في فصول ومحاور مستقلّة المعالم، واضحة الدّلالات، وكان من بين الأوائل الذين سبقوا للتّأليف في علوم القرآن بصورة جامعة شاملة ولا يعني هذا أنّ علوم القرآن لم تكن موجودة في عصره؛ بل كان التّأليف موجودا منذ العهود المبكّرة عند المسلمين [3]، والزركشي لم يكن جمّاعا للآراء والأقوال فحسب؛ وإنّما كان مستوعبا فاقها لما يقرأ ويحصل، كما كان ينقد ويرجّح، ويضيف من علمه الغزير وفهمه المستنير.

وللتوضيح أكثر، فإنّ الغاية من تأليف كتاب البرهان ما جاء في مقدّمته، وهو أنّ المتقدّمين ممن سبقوا الزركشي أغفلوا وضع كتاب يشمل أنواع علوم القرآن، بالإضافة إلى أنّ هذا الكتاب

1. ينظر:محمّد عثمان يوسف، النصّ القرآني عند الزركشي، المرجع السابق، ص 150.

2. جلال الدّين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص10 و 11.

3. ينظر: جمال فرحان مسعد أحمد، الإمام الزركشي مفسّرا من كتابه "البرهان في علوم القرآن"، إهداء من شبكة الألوكة، سنة 1436هـ،2014م، ص 87.

معيّن للمفسّر، والسبب الثّاني يتمثّل في طبيعة العصر (حيث كان هذا العصر في أعقاب الحروب الصليبية وحروب المغول) قد دفع العلماء و منهم الزركشي إلى الاتجاه إلى الكتابة الموسوعيّة[1].

ولتوضيح ما سبق ذكره، يحدّد لنا الغاية من تأليف كتابه البرهان في علوم القرآن في مقدّمته قائلا: "ولما كانت علوم القرآن لا تنحصر، ومعانيه لا تستقصى وجبت العناية بالقدر الممكن وممّا فات المتقدّمين وضع كتاب يشمل على أنواع علومه، كما وضع النّاس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث، فاستخرت الله تعالى وله الحمد- في وضع كتاب في ذلك جامع له، تكلّم النّاس في فنونه وخاضوا في نكته و عيوبه وما تضمنته من المعاني الأنيقة و الحكم الرشيقة، ما يهزّ القلوب طربا، ويبهر العقول عجبا، ليكون مفتاحا لأبوابه، وعنوانا على كتابه، معينا للمفسّر على حقائقه، ومطلعا على بعض أسراره ودقائقه، والله المخلص والمعين عليه أتوكّل وبه أستعين وسمّيته: "البرهان في علوم القرآن" [2].

وبالتالي فإنّ كتاب البرهان في علوم القرآن يعدّ من الكتب القيمة النافعة والمفيدة وموسوعة زاخرة بالعلوم والفنون، حوت كلّ ما يتّصل بعلوم القرآن و تفرّعاته، كما تعرّض إلى أهمّ القضايا اللغويّة و البلاغيّة التي تساعد على فهم القرآن الكريم و إعجازه، وهو أحد الجهود الجبّارة التي بذلها المصنّف في خدمة هذا الدّين، لما فيه من فوائد علميّة جمّة.

2.موضوع الكتاب:

قسّم الزركشي كتابه البرهان في علوم القرآن إلى سبعة وأربعين نوعا، كلّ نوع يدور حول موضوع خاصّ من علوم القرآن ومباحثه، بدأه بالنّوع الأوّل في معرفة أسباب النزول وختمه بالنوع السابع والأربعين في معرفة الأدوات، وحاول في كلّ موضوع أن يؤرّخ له، ويحصي الكتب التي ألّفت فيه ويشير إلى العلماء الذين تدارسوه، كما جمع أشتات المسائل وآراء السّلف والخلق فيها،

1. ليلى محمّد مسعود عبد المنعم: ثقافة المفسّر عند الزركشي من خلال كتابه (البرهان في علوم القرآن- جامعة الإسكندرية- كلية الآداب، قسم اللّغة وآدابها، دط، ص63.

2. الزركشي: البرهان، المصدر السابق، ج1، ص 17.

فضمّ أقوال المفسّرين والمحدثين إلى مباحث الفقهاء والأصوليين، إلى قضايا المتكلّمين، وأصحاب الجدل إلى مسائل العربيّة و آراء أرباب الفصاحة و البيان.

لقد شاء الله أن يخرج هذا الكتاب فريدا في فنّه، شريفا في أغراضه، مع سداد المنهج وعذوبة المادّة وغزارتها بعيدا عن التّعمية واللبس، نائيا عن الحشو والفضول[1]، وقد بدأ الزّركشي كتابه بمقدّمة هامّة بين فيها فضائل القرآن الكريم، وساق أقوال الأئمة في ذلك وممّا ساقه قول الإمام الشافعي رحمه الله حيث قال: " جميع ما تقوله الأمّة شرح للسنّة، وجميع السنّة شرح للقرآن، وجميع القرآن شرح لأسماء الله الحسنى، وصفاته العليا[2]، قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الرعد، الآية 15).

3.منهج الزركشي و أسلوبه في تحليل الخطاب القرآني:

اتّبع الزرّكشي رحمه الله منهجا علميّا يقوم على تعريف القارئ بكلّ فنّ من فنون القرآن على حدى وإعطائه فكرة واضحة عن هذا الفنّ، فكان يؤرّخ للفنّ، ويحصي الكتب التي ألّفت فيه ويشير إلى العلماء الذين تدارسوه، ثمّ يذكر مسائله، ويبيّن أقوال العلماء فيه، وينقل آراء علماء التّفسير والمحدثين والفقهاء والأصوليين وعلماء العربيّة وأصحاب الجدل [3].

إنّ الدّارس المتمعّن في كتاب البرهان في علوم القرآن يستشف حقيقة جوهريّة تكمن في دقّة منهجه ومدى إحاطته وشموله لموضوعات مختلفة، والتي جمعها من شتات، مستقصيا، محصيا، منتهجا الأسلوب العلمي، معتمدا على الجوانب الذاتيّة، وهو في كلّ مجتهد مبتعد عن التّقليل والتّقليد، كما يرتكز في مصنّفه على أمّهات الكتب يتدارسها وينقدها.

وفي هذا الصّدد يقول محمّد أبو الفضل إبراهيم، موضّحا منهج الزركشي من خلال كتابه البرهان: " ويحصي الكتب التي ألّفت فيه، ويشير إلى العلماء الذين تدارسوه، فأشبع الفصول

1. ينظر: عبد الحميد أحمد محمّد علي، مباحث التّشبيه عند الإمام الزركشي، ص24 .
2. ينظر: الزركشي، البرهان، المصدر السابق، ج1، ص27.
3. ينظر: جمال فرحان مسعد أحمد: الإمام الزركشي مفسّرا، ص 87.

وأجمع أشتات المسائل، وضمّ أقوال المفسّرين والمحدثين، إلى مباحث الفقهاء والأصوليين، تائيا عن الحشو والفضول"[1].

كما يتّصف منهج الكتاب بالموسوعيّة، فالزركشي ملمّ بجميع أساليب التّأليف منهجا وأسلوبا وغزارة في العطاء العلمي، فهو يضرب بسهم وافر في التحلّي بالموضوعيّة والطرح السليم وقوّة الحجّة، وسطوع البرهان، ومن ثمّ يمكننا أن نبيّن سمات منهجه بإيجاز في النقاط الآتية:

1- ابتكاره لمنهج علمي ممزوج بالأدب يغلب عليه النّقل عن الغير، وقد يكون لطبيعة العلوم التي كتب فيها دور في إضفاء هذه الصبغة على كثير من مصنّفاته دون حرّ الكلام الذي يبدعه من تلقاء نفسه[2]في عرض علوم القرآن؛ وذلك بإحاطته بجميع جوانب النوع الذي يتناوله ويريد الحديث عنه، حيث يبيّن:

أ- من صنّف فيه: فالزركشي يبدأ حديثه بتحدي النّوع الذي يريد الحديث عنه، ثمّ يشير إلى العلماء الذي ألّفوا في هذا النّوع، فمثلا حين تحدّث عن "معرفة المناسبات بين الآيات، يرمز إلى بعض فصول هذا النوع: أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض، في اتصال اللفظ و المعنى على خلافه ثمّ ينتقل إلى نوع آخر.

ب- فوائد هذا النّوع: فهو مثلا – الزركشي- يكرّر الحديث في المسائل التي لها اتصال بنوعين من العلوم، ومثال ذلك في النوع الثامن والعشرين "معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص" حين تحدّث عن القراءة الشاذّة، هل تجوز القراءة بها ؟ وكرّره في النوع التاسع والعشرين "في آداب التلاوة و كيفيتها"، مسألة في علوم جواز القراءة بالشّواذ [3].

1. الزركشي: البرهان، المصدر السابق، ج1، ص 13.

2. حازم سعيد حيدر: بين البرهان و الاتقان "دراسة مقارنة"، دار الزمان للنشر و التوزيع، المدينة المنورة، 1420هـ، ص552.

3. ليلى محمّد مسعود عبد المنعم: ثقافة المفسّر عند الزركشي، المرجع السابق، ص63.

ت- مصادره التي استقى منها مادّته: في التّفسير والفقه والنحو والبلاغة وغيرها ما يشفي به غليل السّائل و الباحث و سنذكر أهمّ هذه المصادر لاحقا.

ث- أقوال العلماء التي جاءت في هذا النّوع، أقوال المفسّرين والمحدثين والفقهاء، وأرباب الفصاحة، وأمراء البيان، وسادات القوافي، ومناقشتها، وترجيح الصحيح منها وتأييده.

2- الدقّة في الطرح والشموليّة: فقد أحسن الزركشي في عرضه للعلوم عرضا كافيا، وكلّها علوم خاصّة بثقافة المفسّر، فمنها ما يتعلّق بالمسائل اللغويّة و منها ما يرتبط بالمسائل البلاغيّة وأخرى بالقضايا الشرعيّة.

3- غلبة الروح العلميّة والموضوعيّة أثناء المعالجة والطرح.

4- يميل غالبا إلى الإيجاز حتى في رواية الأحاديث، ويكتفي أحيانا منه بالأطراف ومواضع الأدلّة وهو مع ذلك محرّر العبارة، قليل الاستطراد.

5- إحصاء التّأليف والكتب التي تناولت الموضوع الذي يعالجه، والإشارة إلى العلماء الذين تدارسوه.

6- مناقشة الآراء ونقدها بإقامة الدّليل والبرهان السّاطع.

7- كان كثير الاستشهاد بالآيات القرآنيّة والشّواهد الشعريّة؛حيث يجمع آراء العلماء في الآية القرآنية الواحدة.

8- كان يكثر من هذه الألفاظ "قيل"، "فإن قلته"، "قلت" ويبدو أنّه تأثّر بالزمخشري في ذلك.

9- اختيار الأساليب الرصينة التي تنضح عليها ثقافته اللّغوية والأدبيّة ويرصّعها بغرائب اللغة وفوائد الشّعر فهو عالم من قلّة العلماء الذين تختصم في أذهانهم ملكات الفقه والأدب.

10- تقسيم الموضوع الذي يبحث فيه إلى أقسام وجزئيات فيتسنّى له من ذلك أن يلمّ بأشتات الموضوع إلماما كافيا فيبحثه بحثا مستقصيا متأنيّا يجمع فيه كلّ ما قيل حوله من أفكار و آراء علميّة ناضجة.

11- الاعتماد على مصادر أصليّة لها شهرتها، وقيمها العلميّة و وزنها الأدبي[1].

أمّا في ما يخصّ لغة الكتاب وأسلوبه، فهو يمتاز بلغة غاية في الجودة وأسلوب رصين وتعابير دقيقة، كما ينفرد بالسعة والشمول، ويغلب عليه طابع الموسوعيّة ويعتبر فيه الزركشي مفسرا ومحدثا بليغا.

وعليه فإنّ من يقرأ كتاب البرهان في علوم القرآن يلتمس فهم الزركشي ويستطيع أن يتعرّف على سمات منهجه، ففهمه للنصّ القرآني يختلف اختلافا عن فهم سابقيه على الرغم من أنّ المادّة العلميّة التي جمعها في كتاب البرهان مستقاة من عندهم، فكان له فهمه الخاصّ ومنهجه المتميّز؛ وبالتالي فإنّ المنهج الذي أسّس عليه الزركشي كتابه، الاستفادة من علماء كثر، لاسيما في علوم القرآن والحديث والفقه والأصول، فضلا عن علوم اللّغة والنحو والبلاغة.

4.البحوث والرّسائل العلميّة التي اعتنت بكتاب البرهان:

من خلال البحث والاستقصاء وقفت على جملة من الرّسائل العلميّة والبحوث المفيدة التي خدمت كتاب البرهان في علوم القرآن، وسنجملها كالآتي، بحسب توفّر الرسالة أو البحث بين يدي من عدمه.

أوّلا: الرّسائل العلميّة التي اهتمت بدراسة جهوده اللغويّة:

1- التّفكير البلاغي عند الزركشي من خلال كتابه البرهان في علوم القرآن، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في علوم اللّغة و الأدب، تخصّص النقد العربي القديم، قدّمها الباحث: عمر بن طرية، جامعة الحاج لخضر بالجمهورية الجزائرية للسنة الجامعية (2009م-2010م).

1. ينظر: عمر بن طرية، التّفكير البلاغي عند الزّركشي من خلال كتابه البرهان في علوم القرآن، رسالة دكتوراه في علوم اللّغة و الأدب، جامعة الحاج لخضر بالجمهوريّة الجزائريّة، 2009م، 2010م، ص58.

2- الجهود النحويّة في كتاب البرهان في علوم القرآن، رسالة مقدّمة إلى الدّراسات العليا للحصول على درجة الماجستير في اللّغة و النحو، قدّمتها الباحثة: ردينة سليم الهروط، جامعة مؤتة بالمملكة الأردنية الهاشمية سنة 2007م، تحت إشراف الدكتور مُحَمَّد أمين الروابدة.

3- ترجيحات الزركشي في علوم القرآن (عرضا و دراسة)، أصل الكتاب رسالة ماجستير تقدّم بها الباحث: غانم بن عبد الله بن سليمان الغانم إلى قسم القرآن الكريم و علومه بكليّة أصول الدين بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية 1429هـ تحت إشراف الدكتور بدر بن ناصر البدر.

4- ثقافة المفسّر عند الزركشي من خلال كتابه البرهان في علوم القرآن، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في الآداب من الطالبة: ليلى مُحَمَّد مسعود عبد المنعم، جامعة الإسكندرية كليّة الآداب قسم اللغة وآدابها، تحت إشراف الدكتور مُحَمَّد بدرى عبد الجليل، سنة 2007م.

5- علوم القرآن بين البرهان والإتقان (دراسة موازنة)، رسالة دكتوراه للباحث: حازم سعيد حيدر، والكتاب مطبوع بدار الزمان للنشر والتّوزيع، المدينة المنوّرة، الطبعة الثانية، 1427هـ 2006م.

6- مصطلحات نقديّة وبلاغيّة في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي للباحث: محمّد بديع، من جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب و العلوم الإنسانيّة، قسم اللّغة العربيّة و آدابها (1991م).

7- الجانب البياني في كتاب "البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي" رسالة ماجستير مقدّمة من الباحث: أحمد سعد عبد الرزاق ناجي، من جامعة الأزهر، كلية اللّغة العربيّة، قسم اللّغويات.

8- الزركشي ومنهجه في علوم القرآن، رسالة دكتوراه للباحث عبد العزيز اسماعيل صقر، من جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، عام 1401هـ.

9-بديع القرآن من كتاب البرهان للعلامة الزركشي للباحث عبد المجيد هنداوي جعفر، جامعة الأزهر، كلية اللّغة العربيّة، دط.

ثانيا: البحوث

من بين البحوث التي اعتنت بكتاب البرهان نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1- إعجاز القرآن الكريم عند الزركشي من خلال البرهان في علوم القرآن (دراسة وتعليق) إعداد الباحث: ياسين بن حافظ قاري، رئيس قسم الدّراسات القرآنية بالكليّة الجامعيّة في مكة المكرمة، جامعة أم القرى.

2- الأبعاد البلاغيّة في كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي، للباحث عباس كراك والدكتور غربي بكاي، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، مجلّد 8، عدد2، 2019م.

3- آليات التّماسك النصّي: الزركشي و السيوطي أنموذجان، للباحث : عمران رشيد، مجلّة الدّراسات اللّغوية و الأدبيّة، العدد الأوّل، السنة الثّانية، يونيو 2011م.

من خلال اطلاعنا على هذه البحوث التي اهتمت بجهود الزركشي، وجدنا أنّه قد ضرب في كلّ علم بسهم، فهو محدّث وفقيه وعالم نحو ولغة وتفسير وأدب و تاريخ، وهذه الدراسات تبرز جهوده في مختلف هذه الفنون، فالزركشي يعدّ ظاهرة علمية فكرية متميّزة من حيث تنوّع ثقافته وتعدّد روافدها ووفرة كتبه ونفاسة محتواها.

5.مرجعيّة الزّركشي في تأليف كتابه:

إنّ أوّل ما يستوقف المتصفّح لكتاب البرهان في علوم القرآن ذلك الزّخم المعرفي الهائل الذي ميَّز الكتاب، وتلك المادَّة العلميّة الغزيرة التي أثْرته، ورفعت من قيمته بين المؤَّلفَات الأخرى، كلّ هذا إن دَلّ على شيء إنّما يدلّ على اطلاع الزركشي الواسع على مختلف العلوم، وإحاطته بكلّ ما كان يدور في السّاحة العلميَّة آنذاك؛ حيث اعتمد على بحور المصادر في التَّفسير، والفقه والنّحو، والبلاغة، وغيرها ما يشفي به غليل السّائل والباحث. لكن على كثرة تلك المصادر وتنوّعها إلا أنّه لم يكن ناقلا لآراء الآخرين بل كان ناقلا واعيا ومدركا بكل ما ينقله، متفهّما له بالقدر الذي يخدم قضيّته التي يناقشها وهذه مجموعة لأهمّ المصادر التي اعتمد عليها.

أوّلا– في معرفة أسباب النزول:

-كتاب مختصر التّقريب للقاضي أبي بكر محمّد بن الطيّب الباقلاني (ت403 هـ).

- تفسير القرآن للقاضي أبي بكر محمّد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت543هـ) ويسمّى "أحكام القرآن ".
- صحيح البخاري: لأبي عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت 256 هـ).
- صحيح مسلم: لأبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم (ت216هـ).
- تفسير البغوي: ويسمّى "معالم التّنزيل": لأبي محمّد الحسن بن مسعود بن محمّد البغوي (ت 510هـ).
- كتاب الأدب المفرد لأبي عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري [1].

ثانيا– فيما يتعلّق بعلم النّحو و الصرف:

في معرفة الأحكام من جهة إفرادها و تركيبها:

- تفسير الحوفي المسمّى "البرهان في تفسير القرآن" لأبي الحسن.
- كتاب مشكل غريب القرآن: لمكّي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ).
- كتاب إملاء ما منّ به الرّحمن من وجود الإعراب لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العبكري(ت616هـ).
- كتاب البصائر لأبي حيّان أثير الدّين.
- كتاب المفصّل للزمخشري.
- كتاب اللّباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء عبد الله بن أبي الحسين.

ثالثا– ما يتعلّق بتفسير القرآن وأحكامه:

في معرفة تفسيره و تأويله:

- كتاب الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس[2].
- كتاب شفاء الصدور لأبي الرّبيع سليمان.

1. ينظر: محمّد عثمان يوسف، النصّ القرآني عند الزركشي بين الفهم و التذوّق، ص 172و 173.
2. ينظر: محمّد عثمان يوسف، النصّ القرآني عند الزركشي، المرجع السابق، ص 186 إلى 188و196.

- كتاب الكامل في معرفة ضعفاء المحدّثين و علل الحديث لأبي أحمد بن عدي الجرجاني.

رابعا- فيما يتعلّق بعلوم البلاغة:

1- في معرفة المناسبات بين الآيات:

- كتاب إعجاز القرآن: لأبي بكر الباقلاني.

- كتاب سراج الدّين المريدين: للقاضي أبي بكر بن العربي.

2- في معرفة الفواصل و رؤوس الآي:

- كتاب روضة الطّرائف في رسم المصاحف: لإبراهيم بن عمر إبراهيم الجعبري.

3- في معرفة أساليب القرآن و فنونه البليغة:

- كتاب الأقصى القريب المسمّى: أقصى القرب في صناعة الأدب للتنّوخي زين الدّين أبو عبد الله.

- كتاب الأمالي لثعلب أبو العبّاس.

- كتاب شرح المفصّل: لابن يعيش[1].

7.آراء حول الكتاب:

يتّفق معظم العلماء على أنّ كتاب البرهان في علوم القرآن يعدّ ثروة معرفيّة هائلة؛ وذلك لتنوّع المصادر و العلوم التي استقى منها الزركشي مادّة كتابه، وذكروا مجموعة من النّقاط التي تحسب له في البرهان منها:

- حِفظه لهذا الجمّ الغفير من مصادر التّراث العربي الموجود منها بين أيدينا و المفقود.

- حِفظه لفقرات كاملة من بعض المصادر المطبوعة الموجودة بين أيدينا من ذلك مثلا: كتاب منهاج البلغاء، الذي ذكر محقّقه أنّ الزركشي قد نقل عنه في ثمانية مواضع.

- استفاد الزركشي من تلك المصادر دون أن يكون تابعا لها.

1. المرجع نفسه، ص196 إلى 199 و 202.

– ساعدت تلك المصادر على تعدّد ثقافة الزركشي واتجاهاته الفكريّة، فأنتج لنا كتابه البرهان بالإضافة إلى المؤلّفات القيّمة الأخرى.

غير أنّ الذي يريد استخلاص تلك المصادر من البرهان فإنّه لا يتأتّى له ذلك إلا بالصّبر والمثابرة على ما يتّضح من:

– عدم ذكره لاسم المصدر ومكتفيا بذكر صاحب المصدر على سبيل المثال قوله: وقال ابن عبد البر، أو غيره و ذلك موجود في مواضع كثيرة من الكتاب.

– عدم ذكره لاسم المصدر كاملا كقوله: وذكر القاضي في الانتصار وذلك أيضا موجود بكثرة في الكتاب.

– ذكره للمصنّف بأكثر من لقب، فمن ذلك قوله: واحتجّ بن عبد البّر، ثمّ يقول في موضع آخر: قال أبو عمر و المقصود به ابن عبد البرّ[1].

وفي الأخير يمكن أن نقول أنّ كتاب البرهان في علوم القرآن من أوسع كتب علوم القرآن وأشهرها، ومن المصادر التي تحتلّ مكانة مرموقة في هذا الفنّ، وقد استسقى الزركشي مادّتها من العلماء السابقين، مضيفا إليها من علمه الغزير فالكتاب موسوعة زاخرة بالعلوم والفنون والإمام الزركشي وقف أمام هذه القضايا كالطود الشامخ، فعالجها وأفاض فيها.

1. محمّد عثمان يوسف، النص القرآني بين الفهم و التذوق، ص 214 إلى 218.

" مصطلح علم النصّ واحد من المصطلحات التي حدّدت لنفسها هدفا واحدا، وهو الوصف والدراسة اللّغويّة للأبنيّة النصيّة، وتحليل المظاهر المتنوّعة لأشكال التّواصل النصّي".

أحمد عفيفي: نحو النصّ، ص 31.

الفصل الثّالث

تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النصّ

المبحث الأول: اللّسانيات النصيّة من الجملة إلى النصّ

المبحث الثاني: آليات بناء لسانيات النصّ

المبحث الأول

اللّسانيات النصيّة من الجملة إلى النصّ

تمهيد:

لقد استطاعت اللسانيات منذ مطلع القرن العشرين أن تكتسي أهميّة كبيرة، في مدّة وجيزة تؤسّس لنفسها منهاجا واضحا وعلى جانب من الدّقة العلميّة والموضوعيّة، فنتج عن ذلك حصيلة علمية معتبرة ومفاهيم جديدة، لتكون آنذاك مركز اهتمام جلّ العلوم الإنسانيّة، بعد أن اقتحمت اللسانيات علوم كثيرة، كالعلوم التربويّة، وطرائق التدريب، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأدب وغيرها من العلوم، وكذا ظهور نظريات لسانيّة حاولت تلمس الخطاب في نسقه الدلالي والتركيبي ومقارنة النصّ من زوايا متعدّدة، بعد أن تجاوزت حدود الجملة، ومن بين هذه النظريات: اللسانيات النصيّة التي درست النصّ من زوايا مختلفة، بنيوي وسيميائي، تداولي وغيرها، كما حدّدت له ضوابط وظواهر لغويّة، التي تكفل للنص ترابطه وانسجامه، وهي بتلك المعايير النصيّة التي تجعل من النصّ نصّا محكما مترابطا، وبالتالي سنتناول في هذا الفصل إشكاليّة التوفيق بين الجملة والنصّ، وثنائيّة النصّ و الخطاب والمعايير التي تعتمدها لسانيات النصّ وعلاقتها بتحليل الخطاب.

1.ضرورة التوفيق بين الجملة والنصّ وإشكالية التّصنيف:

وقف الدّرس اللّساني منذ القديم عند حدود الجملة كأعلى مستوى للدّراسة، فبيّن مكوناتها ومختلف القواعد التي تحكمها؛ وذلك من أجل الكشف عن مختلف القوانين اللغويّة، والتّقعيد للسلوك اللّغوي لدى الإنسان، وعلى ذلك قامت النظريات النحويّة والاتجاهات اللسانيّة المختلفة والمتعاقبة على أساس أنّ الجملة أكبر وحدة لسانيّة قابلة للوصف اللساني درسها العلماء من زوايا مختلفة إعرابيّة ونحويّة ودلاليّة. فهي بنية قارّة في الكلام نفسه[1]، وهذا لم يمنع من إحاطة الغموض بها وتباين صور التّعريف منذ القديم حتى وقتنا الحاضر، وما زالت هناك معايير مختلفة لجملية الجملة، دون الاعتراف بأنّها تعريفات نهائيّة؛ وذلك راجع لاختلاف توجّهات الدّارسين ومعاييرهم اللّغوية المعتمدة، ممّا أعاقهم عن التوصّل إلى تعريف جامع لها إلى درجة الخلط بينها وبين الكلام[2]. ولقد اختلف الدّارسون العرب القدامى والمحدثون في تحديد مفهوم الجملة، وانقسموا إلى اتجاهين كبيرين: اتّجاه يسوّي بين الجملة

1. الأزهر الزنّاد: نسيج النصّ، المركز الثقافي العربي،بيروت، ط1، 1991م، ص 14.

2. ينظر: روبرت دي بوجراند، النصّ والخطاب والإجراء، تر: تمّام حسّان عالم الكتب،القاهرة،ط1، 1998م،ص 88.

والكلام ويمثّله ابن جنّي (ت392هـ) في قوله:"أمّا الكلام فكلّ لفظ مستقلّ بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يسمّيه النحويون الجمل...فكلّ لفظ استقلّ بنفسه وجُنيت منه ثمرة معناه فهو كلام"[1]. ونجد الزمخشري (ت538هـ)يعرّفها بقوله: "الكلام هو المركب من اسمين كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك، أو فعل واسم نحو قولك: ضُرب زيد، وانطلق بكر، وتسمّى الجملة"[2]. فهذه التعاريف تشير إلى أنّ مصطلح الجملة والكلام استخدما معا مترادفين للدّلالة على شيء واحد.

أمّا الاتّجاه الثاني فيمثّله كلّ من رضى الدين الاستراباذي وابن هاشم الأنصاري، والجملة عندهم تدلّ على معنى مغاير لمعنى الكلام، فعند الاستراباذي هي ما تضمّنت الإسناد الأصلي سواء أكانت مقصودة لذاتها أم لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ، أو سائر ما ذكر من الجمل، فيخرج المصدر واسم الفاعل والمفعول، والصفة المشبّهة، والظروف، والكلام ما تضمّن الإسناد الأصلي، وكان مقصودا لذاته. فقد رأى أنّ كلّ كلام جملة و لا ينعكس[3]، ويعرّفها ابن هاشم الأنصاري بقوله: "الكلام هو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن فعل وفاعله ك :قام زيد، والمبتدأ أو الخبر ك :زيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما نحو ضُرب اللّصُ أو قائم الزيدان، وكان زيدٌ قائما، ظننته قائما، وبهذا يظهر لك أنّهما ليس مترادفين، كما يتوهّم كثير من النّاس فإنّه بعد أن فرغ من حدّ الكلام قال: "ويسمّى الجملة" والصواب أنّها أعلم منه إذا شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط، وجملة الجواب، وجملة الصلة وكلّ ذلك ليس مفيدا فليس كلاما"[4]؛ أي أنّ الجملة عند الأنصاري هي كلّ كلام مفيد.

وما يلاحظ في هذا الشأن عن التّباين الكبير الحاصل في تعريف الجملة لدى اللّغويين، حيث يقول مُحَمَّد إبراهيم عبادة في دراسة مستفيضة للجملة العربيّة في ضوء المناهج اللغويّة الحديثة "ليس

1.ابن جنّي: الخصائص، تح: محمّد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر،بيروت،ج1،ص37.

2. الزمخشري: المفصّل في العربيّة،دار الجبل،بيروت،ط1، 1993م،ص6.

3. بلقاسم دفّة: في النحو العربي، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة، الجزائر، 2003م، ص 15.

4. ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح:محمّد محي الدّين عبد الحميد، شركة أبناء شريف الأنصاري، ط1، 1419هـ، 1999م، ج2، ص431.

للجملة تعريف متّفق عليه عند النحويين العرب شأنهم في ذلك شأن غيرهم من اللّغويين القدماء والمحدثين"[1].

في حين يرى الأزهر الزنّاد أنّ الجملة بنية قارّة في الكلام وتنقسم إلى قسمين أساسيين هما:

1- **جمله نظام (system sentence)**: وهو شكل الجملة المجرّد، الذي يولد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما.

2- **جمله نصيّة (texte sentence)**: وهي الجملة المنجزة فعلا في المقام نفسه، وتتعدّد الجمل في المقام الواحد، وعلى لسان شخص واحد نظريا إلى ما لا نهاية له، وهذا التعدّد يعود إلى التفرّد من حيث البنية المولّدة للجمل؛أي إلى النحو: نحو الجملة، ولكنّه يخرج عنها عندما يتعلّق الأمر برصد عمل الدّلالة في النصوص في وجوهه المختلفة[2].

ومن خلال هذا التقسيم للجملة نجد أنّ الجملة عند جون لاينز(**j-lyons**) هي الغاية الوحيدة الكبرى التي تسعى إليها كلّ دراسة لغويّة، وربما هذا ما جعل علماء تحليل الخطاب، ومنهم براون ويول يعتمدون النوع الثاني من الجمل في دراستهم[3]؛أي الجملة في إطارها التّداولي الموضوعة في سياقها التّواصلي. وهناك من يعدّ الجملة أكبر وحدة قابلة للوصف النّحوي، ويرجع كثير من الدّارسين هذه المقولة إلى بلومفليد (**bloomfield**)، وبذلك فقد اعتبر الجملة الوحدة الأساسيّة للتحليل[4]. ومن هناك تشترك هذه التّعريفات في اعتبار الجملة هي أكبر وحدة للتحليل وأنّها الوحدة اللغويّة الأساسيّة المستقلّة بذاتها التي ليست جزءً من وحدة لغويّة أكبر منها.

أمّا فيما يتعلّق باختلاف المحدثين اللّغويين بخصوص الجملة بغض النظر عن انتماءاتهم المدرسيّة هو أنّ الجملة بالأساس عمليّة إسناديّة تشمل مكونين هما المسند والمسند إليه، يضاف إليهما عنصر

1. محمّد عبادة إبراهيم: الجملة العربيّة دراسة لغويّة نحويّة، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1984م، ص 209.
2. الأزهر الزنّاد: نسيج النصّ بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص 14.
3. براون و يول: تحليل الخطاب،تر: محمّد لطفي الزليطي ومحمّد التريكي، دار النشر العلمي لمطابع جامعةالملك سعود، الرياض، 1997م، ص24.
4. بشير إبرير: من لسانيات الجملة إلى علم النصّ، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر، 2005م، ص4.

أو عناصر أخرى، إذا لم تكتف العمليّة الإسناديّة بذاتها[1].كما أنّ الجملة في كلّ اللغات نوعان اسميّة نحو:"الطالبُ حاضرٌ في قاعة الامتحان"،وفعليّة نحو:"برّر الطالبُ غيابه في الجامعة".كما يشير الباحث مصطفى حميدة أنّ الجملة العربيّة لا تخرج في تقسيمها عن نوعين اثنين هما:

1- **الجملة البسيطة:** وهي التي تتضمّن علاقة إسناد واحدة سواء اشتملت على متعلقات بعنصري الإسناد أو أحدهما أو لم تشتمل، وقد تكون العلاقة بين عنصري الإسناد في الجملة البسيطة علاقة ارتباط*، نحو: "عمر رجل كريم"، وقد تلجا العربيّة إلى الربط** بينهما لأمن اللبس نحو:"عمر هو الكريم".

2- **الجملة المركّبة:** وهي التي تتضمّن علاقتي إسناد فأكثر سواء اشتملت على متعلقات بعناصر الإسناد أم لم تشتمل، وقد تكون العلاقة بين الإسناد أو الإسنادات علاقة ارتباط نحو:"يردّد عمر دائما كلمة الله أكبر"، وقد تلجأ العربيّة إلى الربط بينهما أو بينها لأمن اللبس نحو:"جاء عمر والشمس طالعة"[2].

وهكذا حظيت الجملة بنصيب وافر من الدّراسة الوصفيّة والتصنيفيّة والتقعيديّة عند الكثير من اللّغويين منذ القديم، فكانت الجملة موضوعهم المفضّل واستمر هذا النوع طيلة النصف الأوّل من القرن العشرين، وهي الفترة التي شهدت فيها اللسانيات أوجّ ازدهارها والتي سيطر فيها المنهج البنيوي

1.طحّان ريمون: الألسنيّة العربيّة، دار بيروت، الكتاب اللبناني، ط2، 1981م، ص 44.

*. الارتباط ينشأ بين المعنيين داخل الجملة الواحدة ، أو بين الجملتين إذا كانت العلاقة بينهما وثيقة، تشبه علاقة الشيء بنفسه فتغني تلك العلاقة عن الربط بأداة. ينظر: زاهر مرهون الداودي، التّرابط النصّي بين الشعر والنثر، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان الأردن ،ط1، 1431هـ، 2010 م، ص29.

**.الربط هو علاقة تصطنعها اللّغة بين المعنيين داخل الجملة الواحدة أو بين الجملتين لأمن لبس الارتباط، أو لأمن لبس الانفصال، فاللّغة تلجأ إلى الربط حين ترى أنّ ثمّة علاقة بين طرفين لكنّها علاقة غير وثيقة. ينظر: زاهر بن مرهون الداودي، المرجع نفسه،ص 29.

2. مصطفى حميدة : نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة، الشركة المصريّة العالميّة للنشر، لونجمان، مصر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997م، ص 149.

على مختلف الدّراسات اللّغوية؛ حيث كلّلت جهود البنيويين بتحقيق إنجازات كبيرة تمثّلت في دراسات شاملة ودقيقة لنظم مختلف اللّغات [1]، وذلك بتحصيل ركام علمي وفير و على جانب كبير من الدقّة.

ورغم اختلاف المناهج المتّبعة في دراسة الجملة منذ القديم فإنّ محاور الدّراسة الجملية كانت تتمحور حول النقاط الآتية :

- تعريف الجملة ومكوّناتها وأبعادها بالاعتماد على مفهوم الإسناد ومكوناته المباشرة .
- تحليل الجملة والوقوف على عناصرها وما تشتمل عليه من مركبات، من اسمي وفعلي ووصفي وظرفي وغيرها .
- بيان طرائق الرّبط بين عناصر الجملة.
- تحديد وظائف مختلف الجمل من تقريريّة وتعجبيّة واستفهاميّة...الخ.
- وصف بنية الجملة والتّمييز بينما من حيث البساطة والتركيب [2].

وهكذا أصبحت الجملة في الدّراسات اللسانيّة أكبر وحدة لغويّة قابلة للتحليل، ولكن بعد ذلك ظهرت دعوات عديدة تنادي بالضرورة تجاوز نحو الجملة، والتأسيس لنحو أشمل يتناول بالدّراسة وحدات لغويّة أوسع من الجملة، فلم تلق الجملة عناية باللسانيات لعدم جدواها في وصف ظواهر اللّغة[3]؛ حيث اهتموا بالشّكل دون دراسة المعنى واعتبار اللّغة نظاما مغلقا و هكذا بدأ المجال للنحو لكي يتّسع، فأصبح نحوا للنصّ هدفه الكشف عن القواعد التي تنتظم بناء مختلف النصوص وعن المعايير التي تميّز النصّ عن اللانصّ.

وفي هذا السياق يوضّح رولان بارت " إنّ الجملة في اللسانيات وحدة أخيرة في اللّغة وهذا يعني أنّ الخطاب لا يوجد إلا في الجملة؛ لأنّ الجملة من القسم الأصغر الذي يمثّل بجدارة كمال الخطاب،و اللسانيات لا يسعها أن تتخذ موضوعا أرفع من الجملة؛ لأنّ بعد الجملة ليس هناك جمل لهذا من

1. ينظر: مُحَمَّد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النصّ، المرجع السابق، ص 69.
2. ينظر: المرجع نفسه، ص68 و69.
3. بن الدّين بخولة : الإسهامات النصيّة في التّراث العربي، رسالة دكتوراه من جامعة وهران، إشراف الدكتور مُحَمَّد ملياني، السنة: 2015م، 2016م، ص 90.

الحتمي أن يكون الخطاب ذاته منتظما ضمن مجموعة من الجمل فتغدو عبر هذا التنظيم رسالة تبعث بها لغة أخرى متفوقة على لغة اللسانيين؛ لأنّ للخطاب وحداته وقواعده، لهذا يجب أن يكون الخطاب موضوع لسانيات ثانية "[1].

ولعلّ الهدف من نشأة لسانيات النصّ هو تجاوز حدود الجملة إلى الفضاء النصّي؛ أي الاهتمام بنسيج النصّ الذي يراعى في انشغالاته على البنى اللّغوية للجوانب الدلاليّة التي غابت عن الدرس النّحوي السابق .

وعلى هذا الأساس فإنّ الجملة والنصّ يدخلان في إطار ثنائيات متمايزة من حيث مبدأ الإفادة والوحدات والقواعد النحويّة، فهي أمور تختلف وتتمايز، و عليه ينبغي النظر إلى النصّ باعتباره منتجا لغويّا، ليؤكّد بعض الباحثين إلى وجود الفصل بين لسانيات الجملة ولسانيات النصّ باعتبارهما كيانين متقابلين منفصلين، على الرغم من الرأي الآخر القائل بأنّ نحو النصّ يتضمّن نحو الجملة تبعا لتضمن النصّ للجملة، فكلّ ما دخل في موضوع لسانيات الجملة فهو داخل في موضوع لسانيات النصّ، والعكس غير صحيح[2]. وبالتالي فالعلاقة بهذا الاعتبار تتحوّل من القيام على التّكامل إلى القيام على التضمّن، أي تضمن الكلّ وهو – نحو النصّ– للجزء وهو –نحو الجملة–.

ولتوضيح هذا التمايز بين الجملة والنصّ يضع الباحث اللّساني دي بوجراند النصّ في مقابل الجملة وذلك من أجل إحداث التّقريب أو المقاربة في الدّراسات المعتمدة للتراكيب والتتابعات اللّغوية التي بدأت من الجملة إلى النصّ[3]. وسنوضّح هذه الفروق في الجدول الآتي :

1. رابح بوحوس: اللسانيات وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديثة أربد، الأردن، ط1، 2009م، ص101.
2. ينظر: نعيمة سعدية، لسانيات النصّ والخطاب الشعري، المرجع السّابق، ص 166.
3. ينظر: دي بو جراند: النصّ والخطاب والإجراء،المرجع السابق، ص89 و96.

الجدول رقم (02) : الفرق بين الجملة و النصّ.

الجملة	النصّ
تركيب لغوي يمكن في إطاره إحداث تخطيط (إجباري، اختياري) للوحدات الدّلالية و التّداولية و يتحدّد على مستوى النحو.	كيان لغوي متعدّد المستويات ذو معايير سبعة (الاتّساق، الانسجام، السّياق، المقبوليّة، الإخبارية، المقصديّة، التناص)
الجملة تخضع إلى التّقابل الثنائي من أجل التّمييز بين ما يطابقها (مقاربة آلية).	النصّ يخضع إلى عملية معقّدة تشارك فيها كلّ القواعد من أجل التّمييز بين النصّ و اللانصّ.
الجملة ليست عملا؛ إذ تستعمل لتعريف الناس كيفية العلاقات النحويّة فحسب.	النصّ تجلٍّ لعمل إنساني ينوي الشخص به إنتاج موجّه إلى السّامع، لبناء علاقات متنوّعة.
ينظر إلى الجملة بوصفها عناصر من نظام ثابث و متزامن.	النصّ توال من الحالات (الإجتماعيّة النفسيّة ....) و الوقائع المختلفة في عملية إنتاجه و فهمه .
العامل النفسي يقلّ في الجملة.	العامل النفسي يرتبط بالنّصوص .
الجملة ذات أثر محدود في المواقف الإنسانيّة.	النّصوص تراقب المواقف و توجّهها و تغيّرها (أثر غير محدود).

وهكذا تختلف لسانيات النصّ عن لسانيات الجملة؛ حيث أنّ المعنى في نحو الجملة لا يظهر مرتبطا بالدّلالة المطلقة للنصّ، ولكن هذه الفروق ساهمت إلى حدّ كبير في إعادة النظر إلى"نظرية الجمل" التي اعتبرت النصّ جملة كبيرة مركّبة، كما ساهمت في تحديد ماهية النصّ والجملة بالشكل الذي يساهم في تطوّر لسانيات النصّ. فمن خلال الخلط بين مفاهيم ظهرت إلى جانب الجملة، مثل القول والإجراء، والقضية ...الخ، أفسح المجال للبحث في إجراءات التّخطيط التي تحكم تفاعل المكوّنات على مستويات لغويّة مختلفة[1].لذلك يعرّف النصّ بأنّه"وحدة إجرائية استعمالية إطارها الكلام، وتنطلق من إنجاز لغوي أو قدرة تواصليّة، وهو أيضا الصيغة المنطوقة أو المكتوبة التي صدرت

1 .ينظر: نعيمة سعدية لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 169.

عن المتكلّم أو المؤلّف في موقف ما، قاصدا دلالة ما، و هذه الصيغة قد تكون متتاليات* أو لفظة أو إشارة أو جملة أو من الجمل المترابطة "[1]. في حين تعرّف الجملة بأنّها عبارة عن فكرة تامّة أو تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة"[2]. فهي وحدة نظرية نظاميّة إطارها اللّغة، و تنطلق من قدرة لغويّة.

وانطلاقا ممّا سبق يمكن القول أنّ جلّ الدّراسات اللّسانية النصيّة اعتمدت على هذا التّداخل بين النصّ والجملة، حيث أسّس علماء النصّ تعريفهم للنصّ ولسانيات النصّ على الجملة ونحو النصّ، واتخذوا النصّ أساسا للانتقال إلى الحديث عن ظواهر الانسجام و الاتّساق بين الجمل المنجزة في إطار مقام معيّن كما تحدّثوا عن بناء النصّ ومكوناته وعناصره التي يتأسّس عليها كالجملة والقول والكلام ... الخ.

وبما أنّ النصّ صياغة لغويّة متكاملة مستقلّة يجب أن تتحقّق في قيامه و تكوينه شروط منها :

- استقلال النصّ وحدوده الفاصلة: الصحة النحويّة لكلّ جملة من جمل النصّ (أو فسادها) لا تقتضي بالضرورة صلاح النصّ (أو فساده) من حيث هو كلّ.
- البنية : وجوب توفّر شروط البنية مثل الائتلاف والانسجام والتّرابط والاتّساق ...الخ
- أن تتوفّر في النصّ مجموعة من الأدوات لكي يصبح النصّ كلا موحّدا (المقصديّة، المقبوليّة الإعلاميّة، المناسبة، المقاميّة، التّناص) [3] وسنشرح هذه المعايير في الفصل الثّالث بالتفصيل.

وعلى الرغم من كلّ ما قيل عن الفصل بين نحو الجملة و نحو النصّ، فذلك لا يتناسب مع الواقع الفعلي لكونها متكاملين ، لأنّ النصّ ما هو إلا مجموعة من الجمل، فكما أنّ الفونيم وحدة الكلمة، والكلمة وحدة الجملة، فالجملة وحدة النصّ، ويؤكّد ذلك أنّ توسيع مجال علم اللّغة يشمل النصوص وتوظيفهما في الاتّصال لا يشكّك مطلقا في أهمية الوحدات اللّغوية المعزولة " الفونيمات

---

*المتتاليّة هي"مجموعة الجمل التي تتميّز فيما بينها بتحقيق شروط التّرابط أو هي التّتابع الذي يمكن ملاحظته بسهولة لبعض الوحدات التركيبيّة في نصّ مكتوب أو عبارة منطوقة و هذا التّتابع يساهم في تخلّق النصّ. ينظر: نعيمة سعدية، المرجع السابق، 196.

1 .عبد العزيز فتح الله عبد الباري: التّماسك النصّي في الحديث الشريف.www.alukah.net/sharia/1002/8019

2 .أحمد عفيفي: نحو النصّ اتّجاه جديد في الدّرس النّحوي، المرجع السابق ص 17.

3 . ينظر: بن يحي طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني، المرجع السابق، ص 17.

والمورفيمات والمركّبات الاسميّة و الجمل"[1]. بل على العكس يجب أن تستمرّ هذه الدّراسات وتقوى حتى تقوم بدور في تشكيل نحو النصّ، ومن ثمّ لا يسوغ أن تنفصم العلاقة بين نحو الجملة و نحو النصّ كما لا يسوغ أن يتداخل العلمان؛ بمعنى أن يشتمل أحدهما على الآخر، ومن ثمّ ينظر إلى دراسات نحو الجملة على أنّها تمهيد ضروري لدراسة نحو النصّ، ومن ثمّ فهما متكاملان [2] .

ومن هنا يؤكّد هذا الاتجاه على ضرورة التكامل بينهما كون نحو النصّ يشترك مع نحو الجملة في تحليل مواد لغويّة ذات صفات مشتركة منها:

– أنّ كلّ من نحو النصّ ونحو الجملة يحلّلان بنية النّصوص، ومن ثمّة نستطيع أن نصمّم أنموذجا لنحو واحد يعالج بنية الجملة و بنية النصّ من خلال توسيع و تطوير النظام الذي يحدّد بنية الخطاب.

– النّصوص مثلها مثل الجمل ذات معنى، فقد أثبت دي بوجراند أنّ العلاقات الدّلالية في الجملة يمكن أن تقوم أيضا بين الجمل في نصّ ما.

فكما تقوم العلاقات الإحاليّة بين العناصر في الجملة يمكنها أن تكون ضمن العناصر في جملتين منفصلتين في النصّ، و هذا يستدعي وجود معالجة نحويّة واحدة لكلتا الحالتين كما يستدعي ذلك من المؤيّدين لنحو الجملة السعي إلى تطوير نموذجهم على أساس تجريبي [3].

ومن جهة أخرى أنّ السامع عندما يتلقّى نصّا ما يستدعي له بنيتين: داخليّة تعتمد على الوسائل اللغويّة التي تربط أواصر مقطع ما بغيره، وخارجيّة تكمن في مراعاة المقام المحيط بالنصّ، ومن ثمّ فلا فصل بينهما عند المتلقّي، ولكنّ الفصل ضروري بالنسبة للدّارس اللساني تأكيدا على ما يرغب في دراسته وما يدرجه ضمن اهتمامه [4].

1. فولفجانج هانيه من، ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللّغة النصّي، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، ط 1، 1999م، ص 07.
2. ينظر: المرجع نفسه، ص 08.
3. نادية رمضان النجّار: علم لغة النصّ و الأسلوب، مؤسّسة حورس الدوليّة، الإسكندرية، ط 2013م، ص 12 و 13.
4. ينظر: المرجع نفسه، ص13.

وبناء عليه فإنّ هناك من اللسانيين العرب من يأخذ العمل بهما معا بدون إفراط ولا تفريط فيعتبر أنّ التركيز على جانب واحد سواء أكانت لسانيات الجملة أم لسانيات النصّ فهما شيئان متلازمان وأنّ الفصل بينهما غير منطقي على الإطلاق[1]. وذلك أنّ كلا من لسانيات الجملة ولسانيات النصّ تمكّنان من تحقيق كفاءتين، الكفاءة الجمليّة التي تجعل المستعمل قادرا على إبداع عدد كبير من الجمل المفردة، وهناك الكفاءة النصيّة التي تدفع بالمستعمل إلى كتابة نصوص مختلفة وفهمها، بالإضافة إلى الجانب المنهجي مع العلم أنّ الجملة لن تتبيّن لنا خصائصها وسياقاتها إلا من خلال النصّ؛ ومن ذلك على سبيل المثال القوّة الإنجازيّة والوجه والزمان والمكان وجهة الدّلالة المقاليّة والدّلالة المقاميّة[2]. ومهما يكن من خصائص فإنّها تنسجم بالسمة النصيّة التي لاتنفصل عن النصّ، وإذا كان كذلك فإنّ الجمل تستمد خصائصها من النصّ إرثا[3].

وعليه فإنّ ما قيل عن علاقة الجملة بالنصّ فإنّ الرؤية العميقة في هذه الإنجازات المميّزة، تشير إلى قضية واحدة قد أفصح البعض عنها واكتفى البعض الآخر بالتّلميح إليها، كون الجملة جزء أساسي في البنية النصيّة، التي ننظر إليها كوحدة دلاليّة، وهذه الوحدة ليست وحدة شكل بل وحدة معنى؛ وبالتالي فالنصّ لا يتعلّق بالجمل وإنّما يتحقّق بواسطتها في حالة تعالق ليصبح الوصف البنائي للجملة الواحدة قاصرا عن فهم طبيعة العلاقات بين وحدات النصّ سواء كانت جملا أو متتاليات أو مقاطع.

وخلاصة لما سبق تبيانه، فإنّ موضوع البحث في دراسات الجملة من حيث هي كلّ يؤدّي وظيفة واحدة سواء كانت نصّا مستقلا أم كانت وحدة داخلة في تركيب نصّ أكبر؛ فإنّ موضوع البحث في لسانيات النصّ هو النصّ باعتباره يؤدّي وظيفة واحدة سواء أكان جملة واحدة أم متتاليّة مؤلّفة من مجموعة جمل، وإذا كانت غاية البحث في دراسة الجملة والوصول إلى نظرية للجملة العربيّة

1. بن عائشة حسين:محاضرات في النّحو الوظيفي بين التعدّدية الوظيفيّة والوحدة الإسناديّة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر الجزائر،ط1، 1442هـ، 2020م، ص69.
2. ينظر: المرجع نفسه، ص70.
3. أحمد المتوكّل: الوظيفة بين النمطيّة والكليّة، دار الأمان، الرباط، 2003م، ص07.

من حيث هي كلّ موحد تساعد على تعلّم اللّغة العربيّة فإنّ هدف البحث في اللسانيات النصيّة هو وصف النظام الذي يقوم به موضوعها؛ أي النصّ ورغم هذا الاختلاف بين الجملة والنصّ فإنّ كلا منهما يدرس الوحدة اللغويّة، فالجملة العربيّة تدرس النصّ من خلال دراستها للجملة من حيث هي نصّ، والدّراسات اللسانيّة النصيّة تدرس الجملة من خلال دراستها للنصّ من حيث هو جملة.

وبالتالي لا يمكن الفصل بينهما وذلك لوجود آلية مقارباتية تجمع بين الجملة والنص وسائر الوحدات الأخري التي يبنى عليها الخطاب ضمن نظرية النحو الوظيفي لأحمد المتوكل التي كانت تولي اهتماما كبيرا به (الخطاب) كونه يعتبر أساسا من أسس هذة النظرية، لا بغرض إقصاء الجملة وإحلال محلها بنية النص وإنما على أساس ربطها بالنص وإدراك التعالق بينها وبين الجمل الأخرى التي يتضمنها النص من جهة

2.ثنائيّة النصّ و الخطاب :

إنّ علاقة النصّ بالكتابة وارتباطهما معا بمصطلح الخطاب هي السّمة الأساسيّة للنصّ الأدبي التي شغلت الباحثين اللّغويين؛ إذ يعدّ الخطاب من هذا المنظور حالة وسيطة تقوم ما بين اللغة والكلام وهذه السّمة ذات أهميّة خاصّة في عمليّة الفهم و التّأويل؛ أي في عمليات إنتاج النصوص. وفي هذا الصّدد يقول (بول ريكول *): " لنطق كلمة نصّ على كلّ خطاب تمّ تثبيته بواسطة الكتابة"[1]. وهذا التثبيت أمر مؤسّس للنصّ ذاته ومقوّم له [2]، فكلمة خطاب في هذا السّياق لا تزال عامّة .

ولعلّ من أبرز القضايا التي واجهت تلقّي النصّ هو تداخله مع الخطاب، ويرجع سبب هذا التّداخل بين مفهومي النصّ والخطاب إلى اختلاف المقاربات وتباين المنهجيات في الثقافة الغربيّة ممّا

*.بول ريكول: فرنسي الجنسيّة، عالم اللسانيات، ولد في القرن العشرين عام 1913م و توفي سنة (2005م)، كان اهتمامه منصبا على التّأويل ثمّ البنيويّة، و يوافق في مذهبه التّحليل النفسي لمذهب عالم اللسانيات دي سوسير https://www.sotor.com

1. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النصّ، المرجع السابق، ص 237 .

2. عبد الله خضر حمد : لسانيات النصّ القرآني دراسة تطبيقيّة في التّرابط النصّي، دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، لبنان، دط،ص 30.

ساعد على الخلط بينهما، ثمّ انتقل ذلك التّداخل إلى حقل الثقافة العربيّة عن طريقة ترجمة المباحث النصيّة إلى اللّغة العربيّة من قبل الباحثين، فمنهم من يرى أنّهما مفهومان مترادفان لا يوجد فرق كبير بينهما، فالنصّ هو الخطاب، ويرى البعض الآخر أنّهما مفهومان مختلفان وسنقوم بتوضيح ذلك عن كلّ اتجاه .

تشير الباحثة سارة ميلز* (sara mille) إلى فهم مصطلح الخطاب و تحديد دلالته لتضع حدّا فاصلا بين استعمالاته العامّة و نظيرتها الخاصّة إذ تقول: "الخطاب اتّصال لفظي، كلام محادثة** ...معالجة شكليّة لموضوع ما شفويا أو كتابيا ... وحدة نصيّة يستعملها المختصون في مجال الألسنة لتحليل الظواهر الألسنيّة التي تفوق الجملة الواحدة "[1]. فالخطاب نظام من الملفوظات والتأكيد على المظهر للخطاب ينحدر أصلا من اشتغال اللّسانيين على الكلام بوصفه مظهرا لفظيّا خاصّا بالفرد وكونه أكثر المظاهر الإشاريّة تعبيرا عن اللّغة .

كما أنّ هناك توجّها لسانيّا وسيميائيّا آخر يميّز من حيث الدّلالة بين مصطلح النصّ والخطاب؛ حيث يعتبر أصحاب هذا الاتجاه أنّ المصطلحين مترادفان، فكلاهما يعدّان تجليّا للمعنى مهما كانت طبيعة الحامل (support) لسانيّا، مكتوبا أو منطوقا أو إيقونيا أو غير ذلك . وفي هذا السّياق يقول قريماس (greimas) وجوزيف كورتاس (josephcourtes) : " يعتبر مصطلح النصّ في كثير من الأحيان مرادفا للخطاب خصوصا بعد التّداخل الاصطلاحي في اللّغات الطبيعيّة التي لا تملك معادلا لكلمة خطاب كما هو الشأن في اللّغتين (الفرنسيّة و الانجليزيّة) في هذه الحالة لا تتميّز

* سارة ميلز: باحثة في كليّة الدّراسات الثقافيّة بجامعة شفليد في إنجلترا، و قدّمت أبحاثا متعدّدة في الحقول الثقافية العامّة مثل اللسانيات النسويّة و نظرية الأدب و نظرية الخطاب https://takhatub.ahlomontada.com

** لقد ترادف الخطاب مع مصطلح "كلام " وفق الرأي اللّساني السويسري ، باعتباره و حدة لغويّة ينتجها الباثّ (المتكلّم) ، تتجاوز أبعاد الجملة، و تمثّل القدرة على التفكير، و بمنظار آخر هو التحدّث أو الكتابة بطريقة تشكيليّة نتيجة المؤلّف؛ لأنّه مجموعة من المنتجات الفكريّة التي يراد إيصالهاإلى متلقّ عبر نصوص مكتوبة أو مسموعة أو مرئية، و التي تقدّم موقفا شموليا أو جزئيا من قضية ما . ينظر: نواري سعودي أبو زيد، الخطاب الأدبي من النشأة إلى التلقّي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2005،ص 09، مأخوذ من كتاب لسانيات النصّ، و الخطاب الشعري للدكتورة نعيمة سعدية ، ص 187 .

1-سارة ميلز : الخطاب، تر : يوسف بغول، مخبر الترجمة في الأدب و اللسانيات، جامعة منثوري، قسنطينة، الجزائر، 2004 م، ص 01 .

السيميائيات النصّية عن السيميائيات الخطابيّة ، من الممكن تطبيق المصطلحين – النصّ والخطاب – دون تمييز للدّلالة على المحور التركيبي للسيميائيات غير اللسانيّة فـ (الطقس) و (الباليه) يعتبران نصّا أو خطابا "[1].

ولما كان مصطلح النصّ يستعمل على أنّه وسيلة لغويّة لنقل الأفكار والمفاهيم للآخر غايتها التّواصل، على شرط أساس الوحدة والتّماسك لتحقيق الفهم، سواء كان منطوقا أو مكتوبا [2]، فإنّ أغلب الدّراسات والأبحاث اللغويّة والأدبيّة تستعمل مفهوم النصّ والخطاب كمترادفين تقول "كايت وولس" (katiewales) : "النصّ تعبير يستعمل في كثير من المجالات اللسانيّة والأسلوبيّة والأدبيّة و النقديّة، لكن ليس سهلا التعريف – على الإطلاق –كما ليس سهلا أن نميّزه عن الخطاب " [3]، فيشير التعريف إلى كون الخطاب مجموعة نصوص يربط بينهما مجال معرفيّ واحد.

وقد يتّضح هذا التّداخل أكثر عند رولان بات (roland Barthes)؛ حيث يقول في كتابه لذّة النصّ : " يبدو أنّ الكلام سيبقى خاضعا للهسهسة، كما يبدو أنّ الكتابة ستبقى خاضعة للصمت ولتميّز الإشارات، وعلى كلّ حال فإنّ ثمّة معنى سيبقى دائما لكي تحقّق اللّغة به متعة تكون خاضعة لمادّتها "[4]. فيرى أنّ الخطاب والنصّ بينهما تقارب كبير؛ إذ يعدّ الأوّل مشابها للثاني، وهما يمثّلان نسيجا مترابطا من الكلمات تسلسلت لتكون نصّا.

ونجد نفس التّأكيد عند معظم اللّغويين؛حيث يتّفقون على أنّ النصّ يمثّل المظهر الشكلي المجرّد للخطاب، بينما يعني هذا الأخير الممارسة الفعليّة الاجتماعية للنصّ[5].وعلى هذا فإنّ أكبر علماء علم النصّ وتحليل الخطاب لا يفرّقون بين النصّ والخطاب نادرا كما يلحّون في مختلف أبحاثهم على ضرورة أن تشمل الدّراسة الجانبين معا؛ أي النصّ والسّياق، وفي هذا الصّدد يقدّم "فان دايك" تمييزا دقيقا

1 -A.J. Grimas : j. courtes, sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du longage, paris : hachette, 1993, p390.

2. نعيمة سعدية: لسانيات النصّ و الخطاب الشعري، المرجع السابق، ص 188.

3 -katie wales: dictionary of stylistcspearson education, edinburghate,Harlan ,England, 2001, p 390.

4. رولان بارت : لذّة النصّ، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، بيروت، ط2، 2002م، ص 19.

5-Adam (j.M) : linguistique texuelle, pp.39,49.

فهو ينظر إلى النصّ بوصفه بنية عميقة بينما يمثّل الخطاب بنية سطحيّة أو ينظر إليهما بوصفها مظهرين :المظهر التّجريدي والمظهر الحسّي، والنصّ مظهر تجريدي بينما الخطاب يجسّد وحدة لسانيّة تتجلّى في ملفوظ لغوي[1].أي أنّه تعريف يرتكز في مضمونه على أنّ النصّ وحدة مجرّدة لا تتجسّد إلا من خلال الخطاب لفعل تواصلي وفي إطار هذه العلاقة يتمّ الربط بين النصّ وسياقه التّداولي .

وقد وافقه روبرت دي بوجراند إلى حدّ كبير في هذا القول، وذلك أنّ التمييز بين النصّ واللانصّ لا يكون إلا بالرجوع إلى السياق الذي ورد فيه النصّ؛ حيث يقول عن ضرورة مراعاة السّياق : " ينبغي للنصّ أن يتّصل بموقف يكون فيه (situation of occurrence) تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات(strategies)والتوقّعات (expectations)والمعارف(knowledges)وهذه البيئة الشّاسعة تسمّى سياق الموقف (context)"[2]، فدي بوجراند يرجع تحليل الخطاب إلى تأكيد العلاقة بين النصّ وسيّاقه؛ أي يجب أن يدرس النصّ مع اقترانه بالسّياق.

وعلى نفس الشّاكلة نلتقي مع رائدي تحليل الخطاب هاليداي ورقية حسن،فحسب تعريفهما للنصّ لا يعرف فقط بأنّه توالي أو تسلسل عدد من الجمل، ولا أيضا بأنّه وحدة لغويّة في الاستعمال" وهو ما يقتضي في نظرهما أن تأخذ بعين الاعتبار ارتباط الخطاب بسياقه (مقام التلفّظ،مرجعية الخطاب)[3]،فالنصّ يأخذ بعدا مختلفا عن الخطاب من خلال صلته بالقارئ والمقام الاجتماعي للتّواصل وبأبعاده غير اللسانيّة [4].

يحاول كلّ من هاليداي ورقيّة تأكيد السّياق وضرورة مراعاته في تحليل الخطاب فهما يعدّان الوحدة والانسجام وعلاقة النصّ بالسّياق فروقا جوهريّة بين النصّ والخطاب، وهو نفس التوجّه تقريبا الذي ورد عند كلّ من براون (Broun)ويول(Yule)؛ حيث جاء في كتابهما تحليل الخطاب "ينبغي

1 - Van Diyk : text and context , P.17.

2. دي بوجراند: النصّ والخطاب والإجراء، المرجع السابق، ص 90 و 91 .

3. ينظر: مُحَمَّد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النصّ، المرجع السابق،ص 75.

4 - Halliday (M.A.K) ,Hasanrugaiya : cohesion in English ,Longman, London,1976,P.19.

أن يكون لكلّ نصّ هدف وبناء محكم وسياق خاصّ..."[1].وهذا ما يدفعنا إلى القول بأنّ أغلب علماء النصّ وتحليل الخطاب يتّفقون على أنّ دراسة النصّ وتحليله يجب أن تشمل البنيّة النصّية وسياقها معا وعلى هذا الأساس ذاته يحاول دافيد كريستال (David cristal)حصر معنى مصطلح الخطاب في مجال اللسانيات بمقارنته مع مصطلح النصّ يقول: " يركز مجال تحليل الخطاب على بنية اللّغة المحكية المستعملة في ظروف طبيعيّة كما نجد ذلك في بعض الخطابات كالمحادثات والخطب بينما يركّز مجال تحليل النصّ على بنية اللّغة المكتوبة ومن الأمثلة على ذلك المقالات واللافتات..."[2] ولتوضيح ذلك فإنّ تحليل الخطاب يرتبط بتحليل اللّغة المنطوقة،بينما تحليل النصّ يرتبط بتحليل اللّغة المكتوبة.ولكنّه أكدّ بعد ذلك أنّ التحليل سواء كان نصّا أم خطابا فإنّه يشمل كلّ الوحدات اللغويّة المنطوقة والمكتوبة مع تحديد الوظيفة التواصليّة [3].

فالخطاب هو فعل الإنتاج اللفظي ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئيّة بينما النصّ مجموعة البنيات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه، فالنصّ بهذا المفهوم يعدّ بناءً نظريا لا يتجسّد إلا من خلال الخطاب بوصفه فعلا تواصليا[4]؛ أي أنّ بنية الخطاب لا يمكن أن تتحدّد إلا بوجود طرفين يحاور أحدهما الأخر (المتكلِّم والمخاطَب) أمّا النصّ ففيه طرفين غير متحاورين؛ وبالتالي فإنّ الوظيفة التواصليّة ليست هدفا في النصّ وإنّما الهدف من حفظ المعرفة وتسجيلها، ولعلّ هذا ما ذهبت إليه جوليا كريستيفا(J.Krisieva) في حديثها عن النصّ بأنّه جهاز لسانيّ يعيد توزيع نظام اللّسان بالربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه والمتزامنة معه،فالنصّ إذن إنتاجيّة "[5].فهي تربط مصطلح الإنتاجية بإعادة توزيع اللغة التي يقوم بها النصّ .

1. براون ، (ج.ب) وبول .ج : تحلبل الخطاب،تروتع: مُحَمَّد لطفي الزليطي ومنير التريكي ، منشورات جامعة الملك سعود ، الرياض، د ط، 1997م، ص 32.
2. سارة مليز : الخطاب، المرجع السابق، ص 02 و 03.
3. صبحي إبراهيم الفقّي : علم اللغة النصّي بين النظريّة والتطبيق، المرجع السابق، ص 35.
4. عبد الله خضر حمد : لسانيات النصّ القرآني، المرجع السابق، ص 28.
5. جوليا كريستيفا : علم النص، تر: فريد الزّاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م، ص28.

ومن هنا فإنّ مفهوم النصّ ينصرف غالبا إلى صياغة بنية الخطاب وقواعدها؛ أي إلى شكله ونظامه والعلاقات التي تربط أجزاءه الداخليّة بعضها ببعض،بغضّ النظر عن طرفية (المرسِل والمرسَل إليه) اللذان يمثّلان الدّعامة الرئيسة لإنتاج الخطاب في اختيار الطريقة الفعّالة والمؤثّرة في عمليّة التلفّظ بالخطاب .

ويستعمل الكثير من اللّسانيين العرب المهتمين بحقل لسانيات النصّ مصطلح الخطاب مرادفا لكلمة نصّ بمفهومه في اللغة العربيّة المعاصرة سواء أكان مكتوبا أم منطوقا، وهذا ما أشار إليه الدكتور مُحَمَّد عابد الجابري حيث يقول : " فالنصّ يكون رسالة من الكاتب إلى القارئ لذلك يقترب من الخطاب الذي يعدّ مقول الكاتب ومحصلة أفكاره، فهو بناء من الأفكار يحمل في طيّاته وجهة نظر صاحبه، و إذا كان الخطاب يعبّر عن أفكار صاحبه فهو يعكس مدى قدرته على البناء أيضا لذا فإنّ الخطاب بناء "[1].

فالجابري هنا يربط بين النصّ والخطاب ويجعلهما مفهوما واحدا انطلاقا من زاوية حمل الأفكار، فالمهمّ لديه أن يكون النصّ والخطاب يحمل فكر كاتبه؛ حيث أنّ المضمون لديه أهمّ من الشكل الذي يحمل المضمون سواء أكان نصّا أم خطابا، لذا فهو لا يرى فرقا أو تمييزا بينهما لكونهما يؤدّيان غاية واحدة .

وهو نفس التّداخل في المجال المفاهيمي عند الباحث مُحَمَّد خطابي عندما تعرّض لآراء فان دايك وأطروحاته في انسجام الخطاب من خلال كتابيه:(1977 text and context) و (1972 som aspects of textgrammars)[2]؛ حيث يرى أنّ اللسانيات تعدّ الجملة أكبر وحدة لغويّة يطالها الوصف، فإذا استطعنا وصف الجملة فإنّ ذلك الوصف سوف يصدق على الجمل المركّبة ومتتاليات الجمل، بينما يرى فان دايك أنّ الفروقات بين الجملة والجمل المركبة ومتتاليات الجمل هي فروق

1. محمّد عابد الجابري : الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، 1985 م، ص 08 .
2. نور الدين السدّ: الأسلوبيّة و تحليل الخطاب، المرجع السابق، ص 76.

نسقيّة، لهذا يدعو إلى إعادة بناء الأقوال، ليس على شكل جمل وإنّما على شكل وحدة أكبر وهي النصّ، و يعني فان دايك بالنّص "البناء النظري التحتي المجرّد لما يسمّى عادة خطابا" [1].

ومن هنا وجدنا محمّد خطابي يداخل بين النصّ و الخطاب ويتّضح ذلك التّداخل حين يتطرّق الباحث إلى كتاب تحليل الخطاب لبروان ويول، فانسجام الخطاب في نظرهما لا يتجسّد إلا عبر المتلقّي؛ أي أنّ المتلقّي هو الذي يحكم على نصّ بأنّه منسجم و على آخر بأنّه غير منسجم وهذا ما أشار إليه الخطابي بأنّ الانسجام بنية ينتجها المتلقّي وليست بنية معطاة في النصّ؛ بمعنى يستمدّ الخطاب انسجامه من فهم و تأويل المتلقّي فقط [2].

والواضح أنّ هذا التّداخل بين المفهومين عند مُحَمَّد خطابي يرجع إلى استفادته من الدّراسات الغربيّة في تحليل الخطاب، فقد اعتمد على مؤلفات غربيّة تناولت النصّ (فان دايك) والأخرى تناولت تحليل الخطاب (يول و براون) كما اعتمد بشكل رئيس على مرجعيات عربيّة في البلاغة والنقد وعلم التفسير وعلوم القرآن؛ لذا حاول الجمع بين هذين المصطلحين، فلم يجعل فارقا بين النصّ والخطاب في حديثه؛ أي لم يهتم بالشكل الذي يتجسّد فيه ذلك سواء كان نصّا أم خطابا بل اعتنى بدراسة ظاهرة الاتّساق الداخلي.

أمّا الاتّجاه الثاني فينظر إلى النصّ والخطاب برؤية جديدة تنادي بشمولية الخطاب،فلا جدوى من المعادلة التي تجعل الخطاب مساويا للنصّ مع وجود ظروف إنتاج أضيفت له كعمليّة تواصليّة معيّنة جمعت بين المرسِل والمرسَل إليه، فالخطاب هو ما تكوّن من نصّ في موقف تواصلي، ذلك أنّ التمييز التقليدي بين النصّ والخطاب في اللّسانيات يعتمد في جانب كبير منه على مسألة السّياق، فبالنسبة لميشال آدم (Michal Adam) يراه تمييزا أوّليا يمكن طرحه بالكيفية الآتية:

خطاب = نصّ + شروط إنتاج

نصّ = خطاب – شروط إنتاج

1- محمّد خطابي: لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص29.

2- المرجع نفسه، ص 51.

وبمفهوم آخر الخطاب * لا يميّز فقط بخواصه النصّية لكن أيضا بوجوده في وضعية اتّصالية خاصّة [1].بمعنى أنّ النظر إلى النص بوصفه بناء لغويّا يجعل منه نصّا أمّا البحث في ظروف إنتاجه وشروطه فإنّه يجعل منه خطابا وفي هذا الصّدد يقول سعيد يقطين " النصّ يأخذ بعدا مختلفا عن الخطاب، من حيث صلته بالقارئ والمقام الاجتماعي للتّواصل بأبعاد خارج لسانيّة "[2]. ذلك أنّ الخطاب هو السياق الذي يتشكّل فيه النصّ ولا مرجع للنصّ سوى الخطاب وهما يندرجان بعلاقة اتّصال وتفاعل مع القارئ؛ أي أنّ الخطاب يتّصل بالباحث الواصف كونه يحوي السّياق الذي يتشكّل من شروط إنتاج الخطاب لتلقّيه وتأويله، أمّا النصّ فيتّصل بالقارئ المؤول.

وعلى الرغم من تأثّر أغلب المغاربة بالثقافة الفرنسيّة التي تسعى إلى التفريق بين النصّ والخطاب، فإنّ الباحث اللساني سعيد يقطين يخالفهم جميعا؛ حيث يعتقد أنّ النصّ أشمل من الخطاب والخطاب جزء من النصّ، منطلِقا في هذا التصوّر من إنتاجيّة المنهج البنيوي الذي فتح أفاق النصّ وحوّله إلى عملية إنتاجيّة متعدّدة الدّلالات ومنفتحا على النّصوص المتداخلة في نسيجه اللّغوي مع فصل النصّ عن مؤلفه[3].

غير أنّه ينبغي الإشارة في هذا المجال إلى أنّ سعيد يقطين قد فرّق بين النصّ والخطاب في كتاب آخر (انفتاح النصّ الروائي) بعد أن استعرض لطروحات تودوروف و فان دايك وجوليا كريستيفا، ليخلص إلى تصوّره الذاتي فيرى أنّ الخطاب مظهر نحويّ بواسطته إرسال قصّة وأنّ النصّ مظهر دلاليّ

* فالخطاب إذن يشمل النصوص والأقوال ذات النظام البنائي والبنية المنطقيّة المنظّمة على وفق قاعدة بيانيّة.والخطاب بهذا المعنى يكون أوسع من النصّ في الإطار المفهومي وهو يشمل النصّ؛ إذ يرجع النصّ إلى الخطاب، فهو" مجموعة من المنتجات الفكريّة التي يراد إيصاله إلى متلقّ عبر نصوص مكتوبة أو مسموعة، أو مرئيّة والتي تقدّم موقفا شموليا أو جزئيا من قضية أو مشكلة قائمة أو مفترضة؛ أي ما يقدّم من الفكر وجهة نظر في موضوع ما. ينظر: نعيمة سعدية لسانيات النصّ و الخطاب الشعري، المرجع السابق، ص192.

1-Adam jeonmichal: linguistique textuelle des genres de discours aux texte ,nathan université,1999,P 39.

2. سعيد يقطين: انفتاح النصّ الروائي، المرجع السابق، ص 19.

3. ينظر:سعيد يقطين، من النصّ إلى النصّ المترابط، مدخل إلى جماليّة الإبداع التّفاعلي،المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، بيروت،ط1، 2005م، 116و121.

يتمّ من خلاله إنتاج المعنى من لدن المتلقّي،إنّه تمييز إجرائي تفرضه دواعي التّحليل وحدوده .في الخطاب نقف عند حدود الرّاوي والمروي له،وفي النصّ نتجاوز ذلك إلى الكاتب والقارئ إنّه توسيع مشروع نؤسّسه على قاعده التّرابط والانسجام بين الحكي كخطاب والحكي كنصّ"[1].

ومن هنا وجدنا سعيد يقطين يميّز بين النصّ والخطاب؛ حيث أعطى للخطاب بعدا نحويا تركيبيا وللنصّ مظهرا دلاليّا تواصليّا، فالنصّ يختلف عن الخطاب من حيث صلته بالقارئ والمقام الاجتماعي للتّواصل، فالنصّ لا يكون نصّا إلا عندما يدخل النصّ في أفق التلقّي وإنتاج الدّلالة.

وقد يتّضح الفرق أكثر عند الكثير من الباحثين عن إشكالية علم النصّ وتحليل الخطاب؛ حيث يعترف الأوّل بأنّه الدّراسة اللغويّة التي تهدف إلى الكشف عن مجموع القواعد التي تنظم بناء مختلف النّصوص، وعن المعايير التي تميّز النصّ عن اللانصّ، كما يعترف أيضا بأنّه العلم الذي يصف النظام الدّاخلي للنصّ وطريقة بنائه ووظيفة كلّ جزء فيه، بينما يعرّف تحليل الخطاب بأنّه دراسة النصّ في علاقته مع ظروف إنتاجه[2]. وهو نفس التمييز نجده عند الأزهر الزنّاد حيث يقول "وبعضهم يفرّق بين نصّ هو كائن فيزيائي منجز و خطاب هو موطن التفاعل والوجه المتحرّك فيه ويتمثّل في التعبير التأويل" [3].

وفي ضوء ذلك نجد الباحث اللّساني مُحَمَّد مفتاح يداخل بين النصّ والخطاب تارة ويفرّق بينهما تارة أخرى؛ فأحيانا لا يرى الباحث فرقا بين المفهومين ونلمس ذلك حين يتطرّق إلى تفاعل النصّ مع المتلقي، فيرى "أنّ محلّل الخطاب لا يقرأ نظريات، ثمّ يلصقها إلصاقا بما يقرأ، وإنّما عليه أن يستضيف النصّ و يعقد معه صلات حميمة ليتعاونا معا على إنجاز مهمّة الفهم والتأويل و(النقد)؛ ومعنى هذا أنّ المتلقّي لا يذهب إلى عالم النصّ وهو عبارة عن صحيفة بيضاء، وإنّما تكون له معلومات مخزّنة في

1. سعيد يقطين: انفتاح النصّ الروائي، المرجع السابق، ص32.
2. محمّد الأخضر الصبيحي : مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، المرجع السابق، ص 73.
3. الأزهر الزنّاد : نسيج النصّ، المرجع السابق، ص15.

ذاكرته تسمح له بالتعميم اعتمادا على مبدأ النظير..." [1]؛ أي أنّ المتلقّي يتعامل مع النصّ تعاملا نصيّا حسب مُحَمَّد مفتاح.

كما نجد الباحث يداخل بين المفهومين عندما يتعرّض للحواريّة في النصّ الشعري، على أنّ الحوار لا يقتصر على دراسة المعجم وحده، وإنما يتجلّى بصورة واضحة في المستوى التركيبي – الدّلالي- فيقول: "وقد أنجزت دراسات تداوليّة وسرديّة ومنطقيّة لتثبت أنّ كلّ خطاب مهما كان نوعه تتحكّم فيه الحواريّة و تسيّره، فالموضوعيّة الأساسيّة التي ينطلق منها النصّ تنمّى بواسطته سواء أكان حوارا صريحا أم ضمنيا " [2]، ولكي يصبح النصّ خطابا يجب أن يتوفر فيه معيار الحوار.

ونرى الباحث في موضع آخر يفرّق بين النصّ و الخطاب، فالنصّ هو الذي يحوي مفاهيم كليّة وهي التي تتحكّم في اشتغاله، و منها: المقصديّة، التّفاعل، التملّك، التّوليد، التّحويل، الزّمان والفضاء، وهذه المفاهيم تكون متجلّية في أيّ نصّ مهما كان نوعه، بينما يحوي الخطاب على المفاهيم النوعيّة التي تحفظ نوعه، وهي الأصوات والمعجم والتركيب والمعنى والتّداول، وهذه المفاهيم ليست خاصّة بالخطاب، لأنّ كلّ خطاب يحتوي عليها، لذا فإنّ الباحث يكون ملزما بتحديد الخصائص البنيويّة المميّزة لكلّ خطاب [3].

وبناءً على ذلك نجد الباحث يميّز بين المفهومين (النصّ و الخطاب) بعد ما كان يداخل بينهما، فالنصّ يحوي المفاهيم الكليّة و الخطاب يحوي المفاهيم النوعيّة، و هنا يكون النصّ أشمل من الخطاب وهذا ما لمسناه في عناوين كتبه (ديناميّة النصّ و استراتيجيّة الخطاب).

وفي تمييز مختصر وبسيط يوحي بشمولية الخطاب يقول الباحث اللّساني أحمد المتوكّل: "مصطلح الخطاب يوحي أكثر من مصطلح النصّ بأنّ المقصود ليس مجرّد سلسلة لفظيّة عبارة أو مجموعة من العبارات تحكمها قوانين الاتّساق الداخلي (الصوتيّة و الصرفيّة و الترتيبيّة و الدلاليّة) بل كان إنتاج لغويّ يربط فيه ربطا يتبعه بين بنيته الداخليّة وظروفه المقاميّة (بالمعنى الواسع)... يعدّ خطابا كلّ إنتاج

1. محمّد مفتاح : ديناميّة النصّ، المرجع السابق، ص42.
2. المرجع نفسه، ص 96.
3. محمّد مفتاح: المرجع نفسه، ص 50 و 53 و 54.

من العبارات اللغويّة تكون في مجموعة وحدة تواصليّة؛ أي في مقام معيّن وموضوع معيّن، وغرض تواصلي معيّن "[1].هذا يعني أنّ النصّ يمثّل وحدة بنيويّة من وحدات الخطاب وبالتالي يصبح الخطاب وحدة أكبر اتساعا من النص كون النص هو مجموع البنيات النسقية التي تتضمن الخطاب و توسعه.

ويمكن لنا في هذا المقام أن نلخّص الفروق الأوليّة لـ "محمّد العبد" التي انعقد الإجماع عليها نظريا؛ حيث يقول: "في أنّ النصّ بنية مترابطة تكون وحدة دلاليّة، في حين أنّ الخطاب ينبغي النظر إليه على أنّه موقف ينبغي للغة أن تحاول العمل على مطابقته، وعلى ذلك فإنّ الخطاب أوسع من النصّ، فالخطاب ليس بنية بالضرورة، ثمّ إنّ غلبة النصّ على المكتوب، و الخطاب على الملفوظ ليس حاسما فأحدهما يلتبس بالآخر على سبيل التوسّع" [2]؛ و بذلك نستطيع القول بأنّ التمييز الأكثر أهمية بين النصّ والخطاب هو اقتران الخطاب بالموقف أو السّياق التّواصلي الذي يدور فيه، ممّا يدخل ضمنه نماذج الحوار كما أنّه يميل إلى الطول.

وانطلاقا ممّا سبق ذكره، فإنّ مصطلح الخطاب قد تعدّدت اتجاهات ومجالات تحليله وتناوله، إلا أنّنا يمكن أن نجمع بين الخطاب والنصّ من حيث الدّلالة، لأنّ النصّ ما هو إلا وحدة معقّدة من الخطاب؛ إذ لا يفهم منه مجرّد الكتابة فحسب وإنّما يفهم منه عملية إنتاج الخطاب في عمل محدّد[3].مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ العلاقة بين الخطاب والنصّ علاقة قوية فـ "إذا كان عالم النصّ هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة و المنشطة بعد الاقتران في الذاكرة من خلال استعمال النصّ فإنّ عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغويّة أو مجتمع ما... أو جملة الهموم المعرفيّة التي جرى التعبير عنها في إطار ما"[4].

1. أحمد المتوكّل: قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب-من الجملة إلى النصّ)، دار الأمان للنشر و التوزيع ، الرباط، ط1، 2001م، ص 79.
2. محمّد العبد: النصّ و الخطاب و الاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2014م، ص1.
3. منذر عياشي: مقالات في الأسلوبيّة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1990م، ص 241.
4. روبرت دي بوجراند: النصّ و الخطاب و الإجراء، المرجع السابق، ص6.

ومن هنا فإنّ النصّ يتميّز بكونه وحدة لغوية ذات علاقات داخليّة، أمّا الخطاب فهو كلمة تستخدم للدلالة على كلّ كلام متّصل اتصالا يمكنه من أن ينقل رسالة كلامية من المتكلّم أو الكاتب إلى المخاطب أو المتلقّي؛ أي أنّه يمتاز عن النصّ بمكونات أخرى تتعلّق بأطراف التّواصل وروابط الخطاب، ودرجة اتصاله وتماسك الأبنية المكوّنة له.

وبعد أن عرضنا أهمّ المواقف لأبرز علماء النصّ ومحلّلي الخطاب نستنتج أنّ هناك علاقة جدّ قويّة بين النصّ والخطاب فهما مترادفان؛ لأنّ الخطاب كان أصلا نصّا والنصّ لابدّ أن يصير خطابا لتحقّق فيه خاصية الإعلاميّة وهذا ما وجدناه في كثير من الدّراسات الحديثة تعتمد المصطلحين بمعنى واحد أمثال محمّد خطابي في كتابه (لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب)،بالإضافة إلى ذلك أنّ كلا من علماء النصّ و أصحاب تحليل الخطاب يجمعون على أنّ دراسة النصّ و تحليله يجب أن تشمل البنية النصيّة و سياقها معا.

3.علاقة لسانيات النصّ بتحليل الخطاب:

تعدّ لسانيات النصّ من أحدث فروع علم اللّغة تعنى بالنصّ كبنية كليّة، تسعى إلى تفسير النصوص على وفق قواعد جديدة تركيبيّة ومنطقيّة ودلاليّة لتقدّم شكلا جديدا من أشكال تحليل بنية النصّ وهي تهتمّ أيضا"بظواهر نصيّة مختلفة منها علاقات التّماسك وأبنية التطابق والتّقابل والتّراكيب المحوريّة والتراكيب المتجزئة، وحالات الحذف والجمل المفسّرة والتّحويل إلى الضمير، والتنويعات التركيبيّة وتوزيعاتها في نصوص فردية وغيرها من الظواهر التركيبيّة التي تخرج عن إطار الجملة المفردة التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا دقيقا إلا من خلال وحدة النصّ الكليّة [1].

وتتداخل لسانيات النصّ أو علم النصّ بوصفه حقلا معرفيا مع ميدان تحليل الخطاب ويتشابك معه؛ ويتّضح ذلك من خلال الفرق الدّقيق بينهما،فيعرّف الأوّل بأنّه الدراسة اللّغوية التي تهدف للكشف عن مجموع القواعد التي تنظم بناء مختلف النّصوص وعن المعايير التي تميّز النصّ عن اللانصّ.كما يعرّف أيضا بأنّه العلم الذي يصف النظام الدّاخلي للنصّ وطريقه بنائه ووظيفة كلّ جزء

1. سعيد حسن بحيري: علم لغة النصّ (المفاهيم والاتجاهات)، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجان، مكتبة لبنان، ط1، 1997م، ص 10.

فيه بينما يعرّف تحليل الخطاب بأنّه دراسة النصّ في علاقته مع ظروف إنتاجه (etude d'un texte avec ses conditions de production)[1] ؛أي أنّ تحليل الخطاب مهمّته دراسة الخطاب مرتبطا بسياقه؛ بمعنى البحث في الخطاب مع مراعاة ظروف إنتاجه ومهمّة النصّ أو لسانيات النصّ هي دراسة ووصف بنية النصّ والوقوف على مظاهر التّرابط النصّي فيه، من إحالة واستبدال وتكرار وغيرها.

ولا يمكن أن ينكر أيّ باحث بأنّ الحاجة إلى اللسانيات النصيّة ضرورة ملحّة لتجاوز بعض الصعوبات التي واجهت اللسانيات الجملية، وذلك لتغيّر الكثير من المفاهيم النقديّة الحديثة، وتغيّر النظرة اللّسانيّة إلى مفهوم اللّغة ووظيفتها[2]. وهذا ما أشار إليه مصطفى النحاس في تعريفه لنحو النصّ بأنّه: "النحو الذي يتّخذ من النصّ وحدته الكبرى للتحليل، بعكس نحو الجملة الذي يعدّ الجملة وحدته الكبرى للتحليل، وبتوضيح أكثر يقصد بنحو النصّ: دراسة الوظيفية الدّلالية لبعض العناصر النّحوية وربطها بشبكة الدّلالة في النصّ"[3].والهدف من هذا التعريف هو التوسع في الدّراسة اللّغوية والانتقال من التّحليل النحوي الجزئي في نحو الجملة إلى التّحليل الكامل في نحو النصّ وذلك أنّ الكثير من الظواهر التي تعالج في إطار النصّ بوصفه وحدة كبرى، هي في حقيقة الأمر محور كثير من البحوث النّحوية السابقة التي كانت تعدّ الجملة أكبر وحدة في التّحليل.

ولأجل ذلك فإنّ الحاجة إلى لسانيات النصّ أصبحت ضرورية، لتفسير ظواهر لغويّة لم تفسّر في إطار الجملة، ولا يمكن تفسيرها إلا من خلال وحدة النصّ الكلّية. ويظهر الاهتمام في نحو النص بالجوانب الدّلالية والنحوية في النصّ، ويمكن أيضا بواسطة هذا الاتجاه الجديد في البحث اللّغوي

1- مُحَمَّد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، المرجع السابق، ص 73.

2-رشيد عمران: مسارات التحوّل من لسانيات الجملة إلى لسانيات النصّ قراءة – في بدايات ودواعي التّأسيس والمساهمات العربيّة في اللسانيات النصيّة- مؤتمر لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة العلميّة للنشر والتوزيع، الأردن،ط1، 2013م ،ص385.

3 -مصطفى النحاس:نحو النصّ في ضوء التّحليل اللساني للخطاب، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط1، 2001م، ص40.

اكتشاف الجديد من القواعد الحاكمة للنّصوص، ولا يعني هذا أن تكون تلك القواعد قيودا صارمة يجب أن تتحقّق في كلّ نصّ[1].

ويحاول صلاح فضل تحديد مفهوم لسانيات النصّ وبيان مهمّتها، فيعتقد أنّ غايتها تكمن في وصف العلاقات الداخليّة والخارجيّة للأبنية النصيّة بمستوياتها المختلفة، وشرح مظاهر التّواصل الذي يتمّ عبر اللّغة[2]. فمهمّة الباحث في اللسانيات النصيّة هو تتبّع صفات التوظيف الاتّصالية للنصّ أو الخطاب انطلاقا من مسلّمة مفادها أنّ الكلّ مجرد جمل متتابعة؛ لأنّ معنى النصّ يتحدّث من مكوناته، وكلّ جمله داخل النصّ تحيل عليه كما تحيل على معناه الخاص.

وقد وظّفت لسانيات النصّ من أجل تحليل النصوص والخطابات على مستويات عدّة: صوتيّة وصرفيّة وتركيبيّة ومعجميّة ودلاليّة، وتداوليّة، ابتداء من أصغر وحدة في النصّ هي الجملة إلى أخر جملة في النصّ عبر عمليات التّتابع والتّتالي[3]؛ أي أنّها تسعى من خلال تحليل الخطابات والنصوص إلى إبراز دور التّواصل الاجتماعي للّغة عن طريق البحث في علاقة تماسك النصّ بسياقه التّواصلي.

وما ينبغي الإشارة إليه هو أنّ مجال البحث في لسانيات النصّ هو النصّ أو الخطاب، وأثناء الحديث عن هذين المفهومين (النصّ والخطاب) وصعوبة الفصل بينهما من الناحية المنهجية، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، فإنّ معظم اللّغويين يتّفقون على أنّ النصّ يمثّل المظهر الشّكلي للخطاب. بينما الخطاب هو الممارسة الفعلية للنصّ، وكلا من علماء النصّ وأصحاب تحليل الخطاب يجمعون على أنّ دراسة النصّ وتحليله يجب أن تشمل البنية النصيّة وسياقها معا. ولعلّ الفرق الوحيد كما يرى "فان دايك" أنّ ما يطلق عليه العالم "الأنجلو-سكسوني" تحليل الخطاب، يقابله في بعض الدّول الأوروبية وفي فرنسا خاصّة مصطلح علم النصّ[4].

1 . ينظر: عبد الله خضر حمد، لسانيات النصّ القرآني، المرجع السابق، ص 47 و48.

2 . ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، المرجع السابق، ص 229.

3. جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النصّ، منشورات شبكة الألوكة، ط1، 2015م، ص57.

4. مُحَمَّد الأخضر الصبيحي: المرجع السابق ,ص 76.

وعليه فإنّ هذا التّداخل في المصطلح بين حقلين معرفيين (لسانيات النصّ وتحليل الخطاب) يحتاج إلى تدقيق؛ ذلك لأنّ أغلب الباحثين يؤكّدون في دراساتهم أنّ هناك مفاهيم عديدة للظاهرة الواحدة والتي تحيل إلى الشيء نفسه، فقد نجد علم النصّ، وعلم لغة النصّ، ولسانيات الخطاب، ونحو النصّ، وتحليل الخطاب ولسانيات النصّ، وهي مفاهيم متماثلة ومترادفة أكثر ممّا هي متنافرة ومتباعدة[1].

وفي حديثنا عن لسانيات النصّ وتحليل الخطاب نستحضر سمة أساسيّة للنصّ الأدبي، شغلت الكثير من الباحثين، وهي علاقة النصّ بالكتابة وارتباطهما معا بمصطلح الخطاب؛ بحيث يعدّ الخطاب من هذا المنظور حالة وسيطة، تقوم ما بين اللّغة والكلام، وفي هذا الصّدد يقول:"بول ريكور" (Paul Ricœur) "لنطلق كلمة نصّ على كلّ خطاب تمّ تثبيته بواسطة الكتابة، فالتثبت وفق التّعريف مؤسّس للنصّ نفسه"[2]؛ بمعنى أنّ النصّ هو كلّ خطاب تثبته الكتابة، ويعتبر أداء لساني/ إنجاز لغويّ يقوم به فرد معيّن، وعليه: **النصّ = خطاب+ كتابه / الخطاب = ملفوظ + ظروف الإنتاج**، أي أنّ: **النصّ = (ملفوظ + ظروف الإنتاج) + الكتابة**. وهكذا اهتمّ"ريكور" بالكتابة في إطار حديثه عن النصّ، لما لها من أهميّة ضروريّة؛ إذ يندفع إلى تأسيس نظرية للحدث الكتابي تميّزه من الحدث الكلامي وتؤثّر فيه في الوقت نفسه، وتجعله مستقلا بذاته وفاعلا بغيره أيضا، كما تعامل ريكور مع النصّ بوصفه مصدرا للمعنى أو منتجا للحقيقة، فالفكر والقصد والمعنى *، كلّ ذلك يمرّ في مختبر اللّغة، ويخضع لتقسيم الخطاب ويتأسّس على معالم الأثر[3].

---

1. ينظر: إبراهيم خليل، في نظريّة الأدب وعلم النصّ، بحوث وقراءات، الدار العربيّة للعلوم ناشرون،بيروت ط1،2010م، ص289.

2 - Ricœur Paul : du texte à l'action (Essais d'erméneutiquell) édition du seuil, paris , 1986 p154

*. إذا كان الخطاب يستند أساسا إلى مقصديّة العاطفة و التّهييج، ما سمي في البلاغة والأسلوبيّة بـ "اللوغوس"العقل أو الفكر المعرفي فهو هنا ليس مجرّد فكرة أو مخطط بلهو نظام في الأشياء أو الحوار، بل هو مصطلح لساني يشمل إنتاجا ذهنيا مهيجا، يقوم على منطق داخلي خاصّ؛ أي بنية فكريّة فوق النصيّة تنبعث في نصّ ينتمي إلى سياق خطابي معيّن.ينظر: نعيمة سعدية، لسانيات النصّ والخطاب الشعري، المرجع السّابق،ص 195.

3. ينظر: نعيمة سعدية، المرجع نفسه، ص195.

ولقد استحضر "ريكور" من أجل الحديث عن النصّ ثلاثة مصطلحات، يراها تحضر بقوّة لتؤسّس تعريفه وهي (الكلام، الخطاب، الكتابة)؛ حيث يحدّد في رؤيته الأولى أنّ الكتابة تظهر داخليّا كعامل أصلي خارجي ومادّي غايته التثبيت،الذي يصنع أحداث الخطاب في استراتيجية معيّنة[1].وهذا ما يظهر في المخطط الآتي:

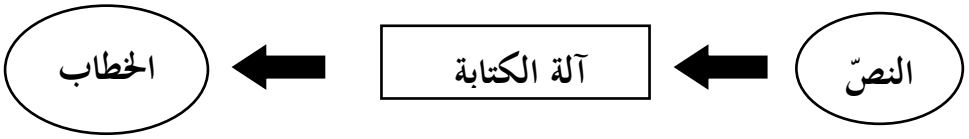

الشّكل رقم (08): علاقة النصّ بالكتابة

يبدو من الشكل الاهتمام الواضح بعلاقة النصّ بالكتابة؛ حيث يجعلها ريكور كالآلة التي تستقبل الخطابات الشفويّة، فتحوّلها إلى نصوص مكتوبة، وبالتالي فالكتابة هي سمة ذات أهميّة خاصّة في عمليات الفهم والتّأويل؛ أي في عمليات إنتاج النّصوص.وهو نفس التّداخل في المجال المفاهيمي نفسه سعى إليه الكثير من اللّغويين إلى القول: إنّ كلّ كتابة تنضاف إلى كلام سابق عليها.

وإذا فهمنا مع دي سوسير بأنّ الكلام هو التّحقيق الفردي للغة داخل حدث خطاب معيّن؛ أي إنتاج خطاب مفرد من طرف متكلّم واحد، فستكون هذه الوضعية ذاتها وضعية كلّ نصّ. وعلى ذلك فإنّ الخطاب يعني إنجازا فعليّا للّغة من طرف فرد محدّد[2]. بمعنى الخطاب هو فعل الإنتاج اللفظي بوصفه فعلا تواصليّا يفترض وجود طرفين يحاور أحدهما الآخر هما (المرسِل/الباثّ) و (المرسَل إليه/المتلقّي).

وما ينبغي الإشارة إليه في هذا المجال أنّ لسانيات النصّ تتّخذ من النصّ مادّة للتحليل، وتهتمّ في تحليله بكلّ جوانب النصّ النحويّة والدلاليّة والتداوليّة، في حين أنّ تحليل الخطاب يتّصل بلسانيات

1 -paul, ricoeur : du texte à l'action, p 124.

2. ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، المرجع، السابق، 237.

النصّ؛ إذ كانت الدّراسة التي نشرها (هاريس) تحت عنوان "تحليل الخطاب"، هي بداية الاتّجاه إلى علم النصّ، حين لفت منهج الدّراسة النصيّة عنده انتباه اللغويين إلى توسيع مجال البحث اللّغوي من الجملة الى النصّ[1]، أمّا منهج تحليل الخطاب فيذكر "الخلادّي" أنّه لا ينبغي أن يتوقّف الخطاب عند الحدود اللّسانية للجملة أو الفقرة أو النصّ؛ بل أن يتجاوز ذلك إلى المضمون والمحتوى، ثمّ إلى الخطاب انطلاقا من خصائصه الفنيّة المتماثلة في درجة الأدبيّة فيه... لذا فإنّ تحليلنا للخطاب يجب أن يراعي اجتماع الخصائص اللسانيّة و القضايا الفكريّة والاعتبارات النفسيّة والفنيّة وهذا الاجتماع هو الخطوة الأساس لفهم أي نصّ /خطاب[2].

ومن هنا يتّضح لنا أنّه لابدّ لمحلّل الخطاب من الإحاطة بكافّة الظروف المحيطة بالخطاب والتي تتعلّق بمنتجه، إضافة إلى الدّلالات العميقة التي يحويها الخطاب والسياق الذي يجري فيه؛إذ أنّ تحليل الخطاب يهدف "إلى إعطاء وصف صريح ومنظّم للوحدة اللّغوية تحت الدّراسة. وهناك بعدان لهذا الوصف، هما النصّ والسّياق؛إذ يتوجّه النصّ لبنيات الخطاب على عدد من مستويات الوصف، على حين يقوم البعد السّياقي بمهمّة ربط هذه البنيات بعدد من سمات السّياق وخصائصه الإدراكية والاجتماعيّة والثقافيّة[3].

أمّا فيما يخصّ طبيعة تحليل الخطاب، فهي عبارة عن تحليل استعمالات اللّغة، فإذا كان هناك نوعان من اللّغة هما: الكلام أو النصّ التجريدي الذي لا يقصد به شخص أو مكان أو فعل؛ وذلك الذي يقصد به أن يعبّر عن نوع من الاتصال بين طرفين، ويقصد به تحديد مكان وزمان وأشخاص... الأوّل يدرس عادة في مواد القواعد والنحو وما شابه ذلك[4]. مثل أن تقول "ضربَ زيدٌ عمرًا..."فأنت لا تقصد في حقيقة الأمر زيدا من النّاس، كما لا تعني أنّ عمليّة الضرب قد تمّت أمام عينيك،أو أنّ شخصا قد أخبرك عن عمليّة الضرب هذه، فهذا يعتبر كلام تجريدي غير مرتبط بمكان

1 . عبد الله خضر حمد، لسانيات النصّ القرآني، المرجع السابق، ص51.

2. عبد الرحيم الخلادّي: في الخطاب وتحليل الخطاب (مجلّة العرب، السنة الرابعة، العدد 171، 2008/01/24م. www.arabmay.blogsport.com

3. علي القرني: الخطاب الإعلامي السعودي " تحليل أربعة خطابات كبرى في مائة عام".(www.darah.org.sa)

4. عبد الله خضر حمد: لسانيات النصّ القرآني، المرجع السابق، ص52و53.

أو زمان أو أشخاص معروفين.أمّا النّوع الثاني من اللّغة فهو النصّ المتجانس الذي نقصد به مكانا وزمانا و أشخاصا... مثل أن نقول (نشرت جريدة الخبر: أنّ وزير الخارجيّة الجزائري سيقوم بزيارة لعدد من دول الشّرق الأوسط)، فهذا النّوع يسمّى خطابا؛ لأنّه حدّد اسم الجريدة (الخبر) ومنصب الشّخص (وزير الخارجيّة الجزائري)، وطبيعة العمل الذي يقوم به (الزيارة)، والمكان الذي سيتّجه إليه (الشرق الأوسط)[1].وبهذا يتبيّن لنا مكانة السياق الرّئيسة في عمليّة تحليل الخطاب.

وهكذا نكون من خلال ما سبق قد بيّنا تداخل لسانيات النصّ مع تحليل الخطاب في حقل معرفي واحد يبحث في النصّ والخطاب ويؤدّي إلى اكتشاف بلاغة الخطاب، ويبرز جمالياته، وقيمه البلاغيّة، وهذا الحقل المعرفي المشترك مكّن من الانفتاح على مجالات معرفيّة وثقافيّة مختلفة" ولم تعد دراسة اللغة منحصرة في دائرة الأصوات والتّركيب، ولكنّها في ظلّ لسانيات النصّ وتحليل الخطاب انفتحت على الأنساق المعرفيّة؛ لأنّ اللغة الإنسانية تمثّل مرتكزا رئيسا للثقافة و مرآة حقيقيّة لها. فانفتاح النّسق اللّساني على ميادين معرفيّة مختلفة يمكن من استيعاب النصّ وتناوله بالدّراسة الشّاملة التي تحيط بأجزائه ومؤلّفاته"[2].

نلخص ممّا تقدّم، أنّ تحليل الخطاب بنحو النصّ يعني إعادة قراءه الخطاب أو النصّ في ضوء تصوّرات لسانيات النصّ و أدواتها، ليصل من خلال تلك المعالجة النصيّة الكشف عن بنية النصّ ودلالته الكليّة، ووظيفته التي توافق المقاصد التي وُضع من أجلها، والبحث كذلك في العلاقات والرّوابط بين الجمل للوقوف على بنية النصّ الكليّة ونظمها. ولا يمكن أن يتّجه الدّارس إلى البحث في تحليل الخطاب بمنهج نصّي دون مراعاة العوامل السّياقية للخطاب وكذا مرجعية النصّ. وبالتالي يمكن القول أنّ منهج لسانيات النصّ صالح لأن يصاغ منه أنموذج تحليليّ يستخرج أعماق النصّ ويكشف قيمه الجماليّة؛ وذلك عن طريق البرهنة على مناسبة اللفظ لمعناه مناسبة دقيقة مطلقة.كما يسعى هذا المنهج إلى اكتشاف خصوصيات النّصوص؛ لأنّه تجاوز تحليل التّراكيب والجمل إلى

1. عبد الله خضر حمد: لسانيات النصّ القرآني، المرجع السابق، ص53.

2. عبد الرحمن بودرع: نحو قراءة نصيّة في بلاغة القرآن والحديث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، قطر، ط1، 2013م، ص30.

مستوى أكبر هو البنية العامّة للنصّ، وتتميّز أهميّة تحليل هذا المستوى الأكبر في أنّه يعتمد على العلميّة والموضوعيّة في الدّراسة من خلال التّفاعل المعرفي بين المنهج والنصّ.

وعلى هذا الأساس فإنّ لسانيات النصّ وتحليل الخطاب مقاربة من المقاربات التي تهتمّ بتحليل الخطاب في مختلف مستوياته، انطلاقا من إفادات استمدتها من دراسات سابقة تتّصل بالفكر اللساني والمعرفي والاتجاه التّداولي، كالدراسات الأسلوبيّة والبلاغيّة، ممّا ساعد على تصوّر النصّ باعتباره كيانا لغويّا متعدّد المستويات، والذي دعا إلى إنشاء علم للنصوص هو الأنسب للخطاب المدروس، عكس المناهج السّابقة التي كانت تقف عند أجزاء النصّ فقط دون الغوص في بنيته الدّاخلية.

المبحث الثاني

آليات بناء لسانيات النصّ

تمهيد:

ممّا لا شكّ فيه أنّ العديد من اللّغويين يؤكّدون على أنّ لسانيات النصّ تدرس بنية النصّ، مركّزة على وسائل الربط التي تحقّق التّماسك والاتّساق لهذه البنية، ويتّفقون على كون النصّ يمثّل وحدة لغويّة مهيكلة (structured) [1]؛ بحيث تجمع بين عناصرها علاقات وروابط بين الأجزاء المكونة للنصّ، تحقّق له الاستمراريّة من منظور نحو النص "حيث تتجسّد هذه الاستمراريّة في ظاهره، ويقصد بظاهر النصّ الأحداث اللغويّة المنطوقة أو المسموعة أو المكتوبة أو المرئية في تعاقبها الزمني، فينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحويّة و لكنّها لا تشكّل نصّا إلا إذا ما تحقّق لها من وسائل السّبك ممّا يجعل النصّ محافظا على كينونته واستمراريته" [2]، وهذا ما يجعل من النصّ كلاّ مترابطا منسجما.

لقد أثبت علماء النصّ أنّ الوحدة الأساسية للّغة هي النصّ باعتباره وحدة دلاليّة و المهمّ فيه التّماسك بين عباراته؛ أي أنّ النصّ وحدة متكاملة تشدّها خاصّية الترابط ويقوم النظام الكلّي للنصّ على مبدأ التماسك المتمثّل في الخاصية الدّلالية الجامعة للخطاب التي يعنى التحليل اللساني بوصفها وتحديدها في ضوء لسانيات النص.

1.مفهوم النصيّة:

لابدّ لنا من تعريف النصّية، فهي طرق تستحضر لتكوين نحو نصيّ، واستمرارية خطابية وتأخذ النصّية شكل تمثيلة سيميائيّة للخطاب؛ فهي تقتصر على معالجة النص سواء أكان مفتوحا أم مغلقا، فالانفتاح والانغلاق يلحقان بالنصيّة، إذ النوعية تنفتح على النصّية والنصيّة تنفتح على الكتابة والكتابة تنفتح على القراءة والقراءة تتلازم مع الاحتمال وهو تعدّد الناتج الدّلالي [3] ولذلك قيل في

1 .محمّد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النصّ و مجالات تطبيقه، المرجع السابق، ص80.

2 . صبحي إبراهيم الفقّي: علم اللّغة النصّي بين النظرية و التطبيق، المرجع السابق، ص 56.

3 . ينظر: محمّد عبد المطلب، النصّ المفتوح و النصّ المغلق، بحث منشور على شبكة الأنترنت، الموقف الأدبي، العدد 398، لسنة 2004م، www.awu-dam.org.

أحد تعريفات النصّ بأنّه عمل مغلق مستقل بذاته أساسه التراكيب الأدبيّة الداخلة فيه التي تعتمد اللغة [1].

والمقصود هنا أنّ دراسة الأشكال النصيّة يراعى فيها جوانب اتّصالية، وتداوليّة وأسلوبيّة ودلاليّة ونحوية بصورة حتمية [2]، فالنصّية مناسبة لتفتح مستمر و هي اليوم أكثر إلحاحا من السابق نظرا لما تراكم من مغالطات في فهم النصوص ومقارباتها، مغالطات تجعل الأبحاث التصنيفيّة المختلفة أو الدّراسات الإجمالية والتقويمية موضوع إعادة النظر بالضرورة [3].

وعلى هذا الأساس فإنّ المقاربة النصيّة تنظر إلى النصّ على أنّه بنية كبرى التي تظهر من خلالها كلّ المستويات اللغويّة (الصوتيّة، والصرفيّة والنحويّة والدلاليّة والأسلوبيّة)، كما يعدّ الفضاء الذي تظهر فيه مختلف المؤشرات السياقيّة (المقاميّة والثقافيّة والاجتماعيّة) وبهذا يصبح النصّ الوحدة الأساسيّة للغة، ولا تتحقّق دراسته إلا بالمقاربة و التعامل مع بنياته اللغويّة المكونة له والمنغلقة على ذاتها، بهدف تحرّي المعرفة و الرأي السديد.

واعتبار أنّ النصّ وحدة كبرى شاملة لا تضمّها وحدة أكبر منها، و هذه الوحدة الكبرى تتشكّل من أجزاء مختلفة تقع "من الناحية النحويّة على مستوى أفقي ومن الناحية الدلاليّة على مستوى عمودي، يتكوّن المستوى الأفقي (الشكلي) من وحدات نصيّة تربط بينها علاقات التماسك الدّلالية المنطقية"[4] *.

1 ينظر: عبد العزيز إبراهيم، مدارات النصّ المغلق من غرابة المفردة إلى تغريب النص، الموقف الثقافي، العدد 29، لسنة 2005م.

2. سعيد حسن بحيري: علم لغة النصّ المفاهيم و الاتّجاهات، المرجع السابق، ص148.

3. بشرى حمدي البستاني ووسن عبد الغني المختار: في مفهوم النصّ و معايير نصيّة القرآن الكريم دراسة نظرية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، قسم اللغة العربية، جامعة الموصل، المجلد 11، العدد 01، ت ن: 2011/07/03، ص 179.

4. سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، المفاهيم و الاتّجاهات، المرجع السابق، ص 108.

*. انطلاقا من هذه الخاصّية، فإنّ علم لسانيات النصّ لا يعتمد على نظرية واحدة في التحليل، و يمكن القول بأنّه يظمّ نظرية كلّية، تتفرّع إلى نظريات صغرى أو جزئية تحتية تستوعب كل التحليل النصي، و لعلّ هذا راجع لسمة التداخل المعرفي الذي عرف بها هذا العلم على خلاف العلوم الأخرى.

كما أشار جارلسون(garlson) في هذا السّياق إلى خاصية التّرابط وذلك بأن تكون الكلمات والجمل متعالقة فيما بينها وتحليل كلّ سابقة على أخرى لاحقة فيقول " يجب تخيّل النصّ حوارا جيّد التكوين، حيث تكون كلّ كلمة وكلّ جملة هي ردّ على أخرى سابقة لها، وفي الوقت نفسه مثيرة لأخرى لاحقة لها **و هكذا حتى يصبح لدينا في النهاية حوارا، تتعالق كلّ أجزائه بعضها ببعض" [1]، ومن ثمّ يدعون جارلسون إذا ما أردنا معرفة ترابط نصّ ما علينا إلا تخيّل لعبة الحوار هذه، فكون كلّ كلمة لها تعالق بما قبلها أو بعدها في نظره أنّها تقيم علاقة حوار فيما بينها.

وعلى نفس الشاكلة يؤكد محمّد خطابي على فكرة النصيّة، فإنّ كلّ نصّ أو خطاب يتوافر على خاصيّة كونه خطابا أو نصّا يمكن أن يطلق على هذه الخاصية "النصيّة" فالنصّ ليس "مجموعة جمل فقط، لأنّ النصّ يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا نثرا أو شعرا، حوارا أو مونولوجا، يمكن أن يكون أي شيء من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها، من نداء استغاثة حتى مجموع المناقشة الحاصلة، طوال يوم في لقاء هيئة" [2]، و النصّية تميّز النصّ عمّا ليس نصّا، و لكي تكون لأيّ نصّ نصيّة ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصّية؛ بحيث تسهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة، و لتوضيح ذلك نمثل كالآتي:اقطف قليلا من الزهور، ضعها في مزهريّة قاعة الاستقبال.فإنّ الضمير "ها" في الجملة الثانية يحيل قبليا إلى "الزهور" في الجملة الأولى، و ما يجعل الجملتين متّسقتين هو وظيفة الإحالة القبليّة للضمير "ها" و بناء على ذلك فإنّ الجملتين تشكّلان نصّا[3]؛ أي أنّ علاقة الاتّساق القائمة بين الضمير "ها" و بين "الزهور" هي التي حدّدت النصّية.

إنّ ما يلاحظه الباحث المستقرئ للتعاريف التي تم إيرادها في تعريف النصّ أو العلم الذي يختص بدراسته – لسانيات النص- يجد السمة البارزة فيها هو إجماع العلماء على أنّ النصّ وحدة

** يتّفق جارلسون في هذا الموضوع مع ما جاء به هاليداي و رقية حسن في بحثهما الموسوم بـ: الاتّساق في اللغة الإنجليزية؛ وذلك في معرض حديثهما عن أداة الاتّساق (الإحالة) و قسّما الإحالة إلى نوعين: خارجيّة و داخليّة، و الثانية بدورها تنقسم إلى: قبلية و بعدية، و سيأتي تفصيل ذلك في البحث.

1Garlson: dialogue games, deride publishing company, London 1982, p 148.

2 . محمّد خطابي: لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 13.

3 . المرجع نفسه، ص 14.

لغوية مبنية، تجمع بين أجزائها علاقات وروابط محدّدة، وهذا ما يجعل من النصّ كلّا مترابطا منسجما بالإضافة إلى غائية النصّ التّواصلي. ولهذا عرّفه سعيد يقطين بأنّه بنية دلاليّة تنتجها ذات فردية أو جماعية ضمن بنية نصيّة منتجة، وفي إطار بنيات ثقافيّة و اجتماعيّة محدّدة [1]. وهو علامة لغويّة أصليّة تبرز الجانب الاتّصالي والسيميائي، بل هو سلسلة من العلامات في نسق من العلاقات تنتج معنى كلّيا يحمل رسالة؛ إذ يراعى في هذه المتواليات الإحاطة بجميع التفاصيل من حيث الترتيب والتوزيع وما تضمّه من الروابط المعنويّة و الشكليّة و هيئة تركيبها، لذا يمكن أن نطلق على هذا المقوّم بشكل النصّ[2]، وقد تتبّع اللّساني المغربي محمّد الماكري أثر هذا الشكل في بناء النصّ وتحليله في دراسته (الشكل و الخطاب) [3].

ومن هنا يمكن القول بأنّ النصّ إنمّا هو بناء مهيكل، متفرّد ببنية خاصّة، تقوم بإقامة علاقات داخليّة بين مكوناته، والربط الحاصل يكون داخل الجملة الواحدة، وبين عدّة جمل وحتى بين المقاطع والفقرات، وبالتالي فكلّ ملفوظ مهما كان حجمه يمكن أن يعدّ نصّا إذا تركّب من سلسلة من الوحدات اللّغوية ذات الوظيفة التّواصلية الواضحة [4]. وبالتالي قد يكون النصّ جملة أو عدّة جمل، أو سلسلة متواليّة من الجمل تقصر وتطول بحسب تلبيتها للسياق. وفي هذا الصّدد يعرّف هاليداي ورقية حسن النصّ بأنّه "وحدة لغويّة في طور الاستعمال" [5]؛ أي هو وحدة دلاليّة تحكمها وظيفة تواصليّة وليس وحدة نحوية كالجملة مثلا.

وتأسيسا على ما سبق، فإنّ تعريفات النصّ لا تكاد تخرج عن مراعاة جوانب محدّدة كالجانب الدّلالي والتّداولي والسّياقي والوظيفي أو مراعاة التواصل بين المنتج والمتلقّي أو مراعاة التّماسك بوصفه

1. سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المرجع السابق، ص 32.

2 . ينظر: خلود العموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النصّ و السّياق، المرجع السابق، ص 19.

3 .محمّد الماكري: الشكل و الخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي ، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1991م، ص05.

4 . الأزهر الزناد: نسيج النص، المرجع السابق، ص14.

5 Halliday (M.A.K), Ruqaiya Hasan, language context and text, aspects of language in social semiotic prespective, 1989, p 37.

أهمّ المعايير النصيّة أو مراعاة كون النصّ منطوقا أو مكتوبا أو مراعاة التحديد الحجمي لطول النص، إذ تشكّل هذه المعايير كلّها سمات للنصّ الكامل، وإذا اختلّت سمة من هذه السمات يمكن أن نطلق عليه نصّا ناقصا[1]. كما نجد بعض العلماء الذين درسوا نحو النصّ يؤكّدون على الفعل التواصلي للنص أمثال دي بوجراند ودرسلر، النصّ عندهما حدث اتّصالي تتحقّق نصّيته إذا اجتمعت له سبعة معايير هي: الربط والتّماسك والقصديّة والمقبوليّة والإخباريّة والموقفيّة والتّناص[2]؛ أي أنّ كلّ حدث لغويّ يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف للمتلقّي عن طريق التفاعل بوصفه نشاطا تواصليّا، والتّواصل يقتضي وجود ثلاثة عناصر أساسيّة هي: المرسل والمرسل إليه وموضوع الخطاب[3]. وسنتكلّم عنها لاحقا، وهذه العناصر تعمل جميعها في تماسك واتّساق إذا تحقّق شرط التّواصل والتفاعل بين النصّ و القارئ.

زيادة على ماسبق ذكره يرى دي بوجراند أنّ العمل الأهمّ للسانيات النصّ يتجلّى في دراسة مفهوم النصّية (textuality) "من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات المتخذة من أجل استعمال النصّ" [4].

والنصّية تعتمد على البنى الكبرى والتي تقوم على الجملة فما فوق، والبنى تشتمل على عدّة وحدات مثل النسق والعلاقات والتّماسك، ولذلك فإنّه "عند التحليل يتمّ البحث في البنية الكبرى أو الوحدة الشاملة أو ما يسمّى بالنموذج الفكري ذي الطبيعة الدّلالية والتي تشتمل على المتواليات النصيّة التي يتحقّق النصّ بتجاورها وتماسكها وانسجامها، وبتركيبها الأفقي وظيفيا وبنيويا لاكتشاف الهيكل العام للنصّ[5]. فهي متماسكة تماسكا بنيويّا شاملا لكلّ الوحدات النصيّة. وقد ألفينا حتى عند الأصوليين والمفسّرين كثيرا من المباحث التي تصبّ في الاتجاه النصّي؛ إذ انصبّ اهتمامهم بالمعالجة

1. ينظر: صبحي إبراهيم الفقّي، علم اللغة النصّي، المرجع السابق، ص 29.
2. المرجع نفسه، ص 33.
3. ينظر: رومان ياكبسون، قضايا الشعرية، تر: مُحَمَّد الولي و مبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988م، ص27.
4. روبرت دي بوجراند: النصّ والخطاب والإجراء، المرجع السابق، ص 95.
5. المرجع نفسه، ص 96.

النصّية حيث كان منطلقها الأساس هو التعامل مع نصّ القرآن الكريم إلى درجة أنّهم رأوا القرآن كالكلمة الواحدة كلّه آخذ بعضه ببعض، فأكّدوا التّماسك النصّي بأنواعه (الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي)، وحتى المناسبة بين حروف الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة وجمل النصّ الواحد، ونصوص القرآن الكريم وهكذا [1].

ومن أسباب اللجوء إلى الدّراسة النصيّة فضلا عمّا تقدّم، العلاقة بين فقرة وفقرة، وبين نصّ ونصّ، وهذا يظهر بوضوح عند النظر إلى السور القرآنية، فلا يمكن إدراك هذه الصّلة والتّرابط من خلال نحو الجملة فحسب، على اعتبار أنّ الجملة بنية غير مكتفية بنفسها؛ فهي بنية افتقار تحتاج غيرها لتنفتح دلالتها وضوحا كاملا، بل من النظرة النصيّة بمفهومها الواسع [2]، فهؤلاء المفسّرين أمثال السيوطي والبقاعي والزمخشري والرازي وغيرهم من العلماء أشاروا إلى كيفية ترابط آيات النصّ القرآني وجمله عبر علاقات نصيّة، وسوف نكشف عن بعض الإشارات النصيّة المهمّة في علوم القرآن من خلال كتاب البرهان للزركشي في الجانب التطبيقي من هذه الدّراسة.

وانطلاقا مما سبق ذكره فإنّ لسانيات النصّ تعنى بتفسير وتحليل الظواهر اللغويّة داخل النصّ، ومن هذه الظواهر " التّرابط النصّي التي تعتمد على تصوّر يجمع بين عناصر نحويّة تقليديّة تستقى من علوم متداخلة مع النحو في الأصل" [3]، فهي تسعى لتحقيق هدف يتجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى قواعد إنتاج النصّ؛ إذ لم يعد الاهتمام مقتصرا على الأبعاد التركيبيّة للعناصر اللغويّة في انفرادها وتركيبها، بل لزم أن تتداخل معها الأبعاد الدلاليّة والتداوليّة حتى يمكن أن تفرز نظاما من القيم والوظائف التي تشكّل جواهر اللّغة [4]. وعليه فلسانيات النصّ اهتمت بالمستوى الدّلالي؛ وذلك من خلال بحثها في العلاقات المعنويّة التي تعمل على تماسك النّصوص وانسجامها منطلقة من كون النصّ وحدة دلاليّة كبرى؛ أي أنّها تدرس النصّ في إطار بيئته التي نصبته نصّا و شهدت له بالنصيّة.

1. ينظر صبحي إبراهيم الفقّي: علم اللّغة النصّي، المرجع السابق، ص50.
2. ينظر: المرجع نفسه، ص 52.
3. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المرجع السابق، ص 110.
4. بن يحي طاهر ناعوس: تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 78.

وأخيرا نقول أنّ النصّية تعتبر من أهمّ إسهامات علم لسانيات النصّ؛ وذلك من خلال تحليل ما عُرف بمعايير النصيّة، وهي تلك الوسائل و الأدوات التي تجعل من النصّ كلّا موحّدا متماسكا وبنية دالّة لا تجميعا محضا بين الجمل؛ حيث استطاعت تجاوز إطار الجملة الواحدة في التحليل بالتالي فهي تمثّل قواعد صياغة النصّ.فما هي هذه المعايير التي اعتمد عليها الباحثون في إثبات نصّية النّصوص من عدمها ؟

2.معايير النصّية:

يظهر من خلال ما تقدّم أنّ لسانيات النصّ تهتمّ بدراسة النصّ باعتباره الوحدة اللغويّة الكبرى وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمّها التّرابط أو التماسك ووسائله والإحالة وأنواعها، والسّياق النصّي ودور المشاركين في النصّ (المرسل و المتلقّي)[1]، وأنّ إبراز ما يميّز النصّ عن اللانصّ هو ذلك التّماسك الشديد بين أجزائه حتى يبدو قطعة واحدة متناسقة الأجزاء، علما أنّ هذا التّرابط القائم بين أجزاء النصّ وأطرافه لا يمكن أن يتحقّق إلا بواسطة أدوات منها ما هو نحوي وآخر دلالي.

وللتوضيح أكثر تتجلّى مهام-لسانيات النص- في كونها تسعى وراء كشف الأدوات والروابط التي تساهم في بناء النصوص أوّلا وتحليلها ثانيا، " ويتحقّق هذا الأخير بإبراز دور تلك الروابط في تحقيق التّماسك النصّي مع الاهتمام بالسّياق والتّواصل"[2]، وهذه الآليات والأدوات مجتمعة تحقّق لنا ما يصطلح عليه بالنصيّة و ذلك بالتركيز على مبدأين أساسيين هما:

- البحث في كيفية ترابط النصّ و تماسكه من خلال الأجزاء المكونة له.
- الكشف عن الوسائل اللغويّة التي تجعل النصّ وحدة قائمة بذاتها متميّزة عن غيرها مترابطة فيما بينها.

كما اهتمت لسانيات النصّ بالمستوى الدّلالي وذلك من خلال بحثها في العلاقات المعنويّة التي تعمل على تماسك النصوص وانسجامها منطلقة من كون النصّ وحدة دلاليّة كبرى [3]، يمكن تحليلها

1.صبحي إبراهيم الفقّي: علم اللغة النصّي بين النظرية و التطبيق، المرجع السابق، ص36.

2. المرجع نفسه، ص56.

3. جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة و اللسانيات النصيّة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ، 1998م، ص65.

بالنظر إلى مكوناتها الصغرى بالإضافة إلى عنايتها بالظروف والملابسات والسياقات الخارجيّة عكس نحو الجملة الذي أهمل السّياق الاجتماعي ذو الدور الكبير في الدّراسة اللّغوية [1]؛ أي أنّها تسعى إلى تحقيق هدف يتجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى قواعد إنتاج النصّ؛ إذ لم يعد علماء النصّ الاهتمام فقط بالأبعاد التركيبيّة والنحويّة للعناصر اللغويّة في انفرادها وتركيبها بل تجاوز ذلك إلى تداخل الأبعاد الدلاليّة والتداوليّة في دراسة النصّ وتحليله، واستكشاف بنيته الدّاخلية والوقوف على بلاغة تماسكه وانسجام عناصره.

وعلى هذا الأساس، فإنّ هذه الأدوات مجتمعة تعطي للنصّ صفة خاصة يطلق عليها علماء لسانيات النصّ مصطلح "النصيّة"، التي تحتلّ موقعا متميّزا في تحليل النصوص، وهي مقومات بإدراكها يستطيع القارئ أو الباحث أن يميّز النصّ عن اللانصّ، والنصّية أو التماسك النصّي من أهمّ الظواهر اللسانيّة التي تتجاوز إطار الجملة الواحدة في التحليل، وبالتالي فهي تمثّل قواعد صياغة النصّ.

ومن هذا المنطلق يعدّ دي بوجراند من أوائل علماء النصّ الذين حدّدوا وبدقّة متناهية معايير النصيّة، وذلك من أجل جعل النصيّة أساسا مشروعا لإيجاد النصوص ومن ثم استعمالها[2]، ولكي تكون لكلّ نصّ نصّية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغويّة التي تخلق النصيّة، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة[3]، وهي مجرّد مؤشرات مهمّة في إنشاء النّصوص، وقد أجمل دي بوجراند خصائص النصّ في تعريفه حيث قال: إنّه حدث تواصليّ يلزم لكونه نصّا أن تتوفّر له سبعة معايير مجتمعة و يزول عنه هذا الوصف إذا تخلّف واحد من هذه المعايير وهي [4]:

1. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر و التوزيع، د ط، 1982 م، ص 68.
2. دي بوجراند روبرت، النصّ والخطاب والإجراء: المرجع السابق، ص 103و 104.
3. مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص13.
4. دي بوجراند، المرجع نفسه ،ص103.

الجدول رقم (03) : معايير النصيّة

المعيار	ترجمته باللغة الأجنبيّة
الاتّساق أو السّبك أو التّناسق	cohesion
الانسجام أو الحبك أو التّرابط الدّلالي	coherence
القصد أو المقصديّة	intentionnality
المقبوليّة	acceptability
السّياق (المقاميّة)	situationality
التّناص	intertextuality
الإخباريّة أو الإعلاميّة	informativity

وإذا كنا نسعى للتفصيل في معايير تحقّق النصيّة فلابد للإشارة إلى أنّ هذه المعايير يمكن تقسيمها على ثلاثة أقسام رئيسة، وهذا ما أكّده سعد مصلوح على النحو الآتي:

- صنف يتّصل بالنصّ، ويشمل معياري الاتّساق والانسجام.
- صنف يتّصل بمنتج النصّ ومتلقّيه، ويشمل معياري المقصديّة والمقبوليّة.
- صنف يتّصل بظروف إنتاج النصّ وتلقّيه، ويندرج ضمنه معيارا السّياق والتّناص[1]. و يمكننا توضيح هذه الأقسام الثلاثة في المخطط الآتي:

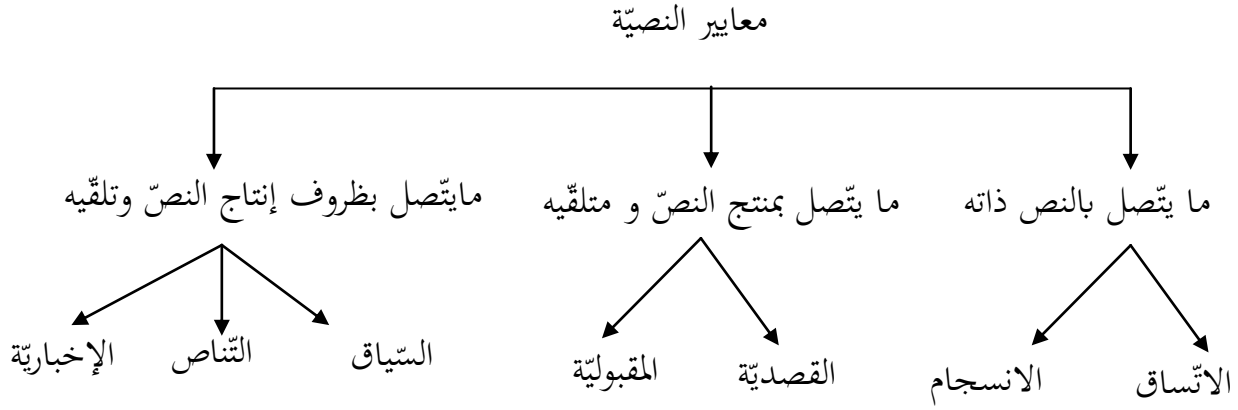

الشّكل رقم (09): أقسام النصّية عند سعد مصلوح

1. ينظر: عفيفي أحمد، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 2001م، ص 76.

وتجدر الإشارة إلى أنّ تحقيق النصّية لا يلزم توفير كلّ هذه المعايير في كلّ نصّ، بل يمكن أن تتشكّل نصوص بأقلّ قدر من هذه المعايير ولكن بوجودها جميعا يتحقّق ما يسمّى بالاكتمال النصّي.

وسوف نتعرّض لهذه المعايير بشيء من التفصيل على النحو التالي:

1.2.الاتّساق:

مفهومه لغة:

نستهلّ تعريف الاتّساق بذكر أهمّ المعاني التي أوردتها القواميس وأمّهات الكتب العربيّة باحثين عن المعنى الذي يمكن أن يأخذه الجذر (و.س.ق)، وممّا جاء في ذلك على لسان ابن منظور (ت711هـ) "وسقت النخلة إذا حملت، فإذا كثر حملها قيل: أوسقت أي حملت وسقا – وسقت الناقة و غيرها تَسقُ أي حملت وأغلقت رحمها على الماء، فهي واسق، واستوسقت الإبل: اجتمعت، والاتّساق: الانتظام" [1].

وفي الصّحاح في اللّغة فإنّ مادّة وَسَقَ التي مصدرها الوَسْقُ تعني الجمع "وَسَقْتُ الشيء: جمعته وحملته" [2].

أمّا في معجم المحيط للفيروز آبادي (ت817هـ): وَسَقَهُ يَسِقُهُ جَمَعَهُ وحَمَلَهُ ومنه (و اللَيل وَمَا وَسَقَ) وطرده ومنه الوِسِيقَةُ وهي من الإبل كالرفقة من النّاس فإذا سرقت طردت معا، والنّاقة حملت وأغلقت على الماء رحمها فهي واسقٌ، واستوسقت الإبل: اجتمعت واتَّسَقَ: انْتَظَمَ والمِيسَاقُ: الطائرُ يصفق بجناحيه إذا طار [3].

فإذا تتبّعنا مادّة (وسق) من خلال ما ذكره ابن منظور والجوهري والفيروز آبادي نجدها تتمحور حول معنى الاجتماع والانتظام والاكتمال، وهذه المعاني تتّصل بمعنى الاتّساق، وهذا لا يبتعد أبدا عن المعنى الذي يدور الآن في كتب علماء لسانيات النصّ.

1. ابن منظور: لسان العرب، مادة (وسق)، ج 10، ص 378.
2. الجوهري: الصّحاح، مادة(وسق)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار القلم للملايين، بيروت، ط3، 1984 م، ص352.
3 .الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (وسق)، دار الكتاب العربي، د ت، ج3، ص 289.

ونجد نفس التوجّه في المعاجم الغربيّة ومنها ما جاء في معجم أكسفورد (oxforde) بأنّ الاتّساق هو "إلصاق الشيء بشيء آخر بالشكل الذي يشكّلان وحدة مثل: اتّساق العائلة الموحّدة وتثبيت الذّرات بعضها ببعض، لتعطي كلّا واحدا..." [1]، ففي هذا التعريف دلالة على شدّة الالتصاق والالتحام، وتثبيت أجزاء الشيء مثل تماسك أفراد الأسرة الواحدة، ويقابل اتّساق معاني النصّ وتجمّعها لتشكّل وحدة دلاليّة.

مفهومه اصطلاحا:

يعدّ الاتّساق(cohesion) من أهمّ المفاهيم الرّئيسة الّتي وظّفتها لسانيات النّص، فهو يخصّ سطح النصّ وظاهره، ويرتبط بالدّلالة النّحوية التي تلقي الضوء على تلقّي المتلقّي، وكيفية انتفاعه بالتّتابعات الشّكليّة وأنماط الاطّراد في استعمال المعنى والمعرفة وكيفية نقلها و تذكّرها، و هو يؤدّي إلى ربط أجزاء النصّ بعضها ببعض بعلاقات معيّنة ويؤكّد ديفيد كرستال أهمية عوامل الاتّساق في توضيح كيفية تعالق الجمل في النصّ، إلا أنّ ذلك وحده لا يكفي فقد تكون درجة الاتّساق في النصّ عالية جدا، ولا يكون النصّ منسجما [2]. وقد عرّفه محمّد خطابي على أنّه ذلك " التّماسك الشّديد بين الأجزاء المشكّلة لنصّ / خطاب ما، ويهتمّ فيه بالوسائل اللّغوية (الشّكلية) الّتي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمّته"[3]. وهو نفس التداخل في المجال المفاهيمي عند مُحَمَّد الشاوش الذي يعرّف الاتّساق: "بكونه مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللّغة لجعل أجزاء النصّ متماسكة ببعضها البعض" [4].

ويذكر دي بوجراند آلية الاتّساق مبيّنا أهمّ أدواته لقوله "السبك يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحيّة على صورة وقائع يؤدّي السّابق منها إلى اللّاحق بحيث يتحقّق لها التّرابط

1Oxford, (Advanced learner’s encyclopedia), Oxford university press, 1989, p137.

2. ينظر: صبحي إبراهيم الفقّي، علم اللّغة النصّي، المرجع السابق، ص 96.

3. محمّد خطّابي، لسانيات النّص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المرجع السابق ،ص05.

4. مُحَمَّد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ج1، 1424هـ، 2001م، ص124.

الرصفي*، وبحيث يمكن استعادة هذا التّرابط، ووسائل التّضام تشتمل على هيئة نحويّة للمركبات والتراخيص، والجمل وعلى أمور مثل التكرار والأدوات والإحالة المشتركة والحذف والرّوابط"[1]. والمقصود من هذا أنّ دي بوجراند صنّف هذه العلاقات إضافة إلى علاقات التّرابط الرصفي تحت أهمّ وسائل السبك المؤدّية إلى الكفاءة النصّية، والسبك أحد المعايير النصّية التي اقترحها وهو ما يقابل مصطلح الاتّساق في الدراسات اللسانية النصيّة الحديثة.

وممّا تجدر الإشارة إليه، أنّ الاتّساق هو" ما يترتّب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحيّة على صورة وقائع يؤدّي السّابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقّق ها التّرابط الرصفي الأمر الّذي يمكّننا من استعادة هذا الترابط"[2]. وانطلاقا من هذا المفهوم فإنّ الاتّساق هو مجموعة من العناصر والعلاقات الّتي تسعى من خلالها تنظيم النصّ، فتجعله يستقرّ في الذّهن.

وقد أشار الدّكتور سعد عبد العزيز مصلوح إلى تسمية الاتّساق بالاعتماد النّحوي، الّذي يتحقّق في شبكة من العلاقات الهرميّة والمتداخلة ويأتي في مستويات صوتيّة وصرفيّة وتركيبيّة ومعجميّة ودلاليّة، كما يتّخذ أشكالا من التّكرار الخالص، والتّكرار الجزئي، وشبه التّكرار وتوازي المباني، وتوازي التعبير، والإسقاط، والاستبدال، وعلاقات الزمن، وأدوات الرّبط بأنواعها المختلفة[3].

ويتمثّل التّرابط السطحي للنّص في مؤشرات لغويّة، مثل علامات العطف والوصل والفصل والتكرار والاستبدال، الترقيم وكذلك أسماء الإشارة وأدوات التعريف والأسماء الموصولة وأبنية الحال والزمان والمكان، وغير ذلك من العناصر الرّابطة الّتي تُعنى لسانيات النّص بتحديدها. وهذه العلامات " إنّما توجد على المستوى الأفقي (السّطحي) للنّص تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل،

---

* يقصد بالتّرابط الرصفي كلّ نشاط وكلّ إجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب حيث يمكن للكلام أو الكتابة أو السماع أو القراءة أن تتمّ في توال زمني، ونستطيع من وجهة النظر إلى التفاصيل أن ندرك السياقات اللفظية المركبة من العناصر الصغرى الصوتية أو الصرفيّة على الترتيب. روبرت دي بوجراند: النصّ و الخطاب و الإجراء، المرجع السابق، ص136.

1. دي بو جراند: النصّ والخطاب والإجراء، المرجع السابق، ص 103.

2. المرجع نفسه، ص103.

3. سعد عبد العزيز مصلوح: في البلاغة العربيّة والأسلوبيات اللّسانية، آفاق جديدة، عالم الكتب، القاهرة، دط، 2006م، ص 237.

والوسائل السّابقة ذكرها والّتي يعتمد عليها الرّبط على المستوى السّطحي هي وسائل لغويّة ذات وظيفة مشتركة"[1] .

ويتّضح ممّا سبق ذكره أنّ الاتّساق له تصورات ومفاهيم متنوّعة تبعا لتنوّع توجّهات الدّارسين، ولكن يمكن أن نعتبره ذلك التّماسك والتّرابط السّطحي الّذي يخصّ سطح النّص وظاهره، ويرتبط بالدّلالة النحويّة والمعجميّة في النّص؛ أي أنّ النّص إذا اتّسم بالاتساق خضعت جمله لعمليّة بناء منظّمة ومترابطة تركيبا ودلاليا، بحيث كلّ جملة تؤدّي إلى الجملة اللاحقة ويتحقّق هذا التّعالق بواسطة أدوات و وسائل لغويّة سنشير إليها لاحقا.

وبالتالي فإنّ معيار الاتّساق يكتسب موقعا مركزيا في التحليل النّصي، ويساهم في عمليات الفهم والتفسير، وذلك من خلال الدور الّذي يقوم به أثناء عمليّة بناء النّصوص، فيكسب الكلمات والجمل صفة تتابع لتبدو في صورة كلّ موحّد ومنظّم، بمعنى هو الّذي يضمن تماسك النّص و يميّزه عن اللانصّ، وتساهم مجموعة من الوسائل والأدوات النحويّة والدلاليّة في هذا التّماسك، ممّا يجعل الاتّساق يكون على المستوى التركيبي والدّلالي معا.

وعلى هذا الشكل يمكن أن نقول الاتّساق يقصد به تلك الطريقة التي بواسطتها يتمّ التحام أجزاء بنية النصّ الظاهرة، وبتعبير آخر هو الرّبط النحوي للجمل والعبارات وما يتعلّق بها، و في هذا الصّدد نستشهد بالثنائي هاليداي ورقية حسن لاهتمامهما بخاصية الاتّساق في نشأة النصّ، إنّما هو توفّر عناصر الالتحام وتحقيق التّرابط بين بداية النصّ وآخره دون الفصل بين المستويات المعنويّة المختلفة، فالتّرابط النصّي هو الذي يخلق بنية النصّ ومن أجل ذلك الترابط لابدّ من توفير مجموعة من الظواهر التي تعمل على تحقيق الاتّساق في مستوى النصّ، وهذه الوسائل هي: الإحالة الضمائر، الاستبدال، الحذف والربط، والاتّساق المعجمي [2].

1. ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص المفاهيم و الاتّجاهات، المرجع السابق، ص 110 و111.

2. عمر أبو خرمة: نحو النصّ، نقد نظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، ط1، 1425هـ، 2004م، ص124.

فالباحثان حين كانا يبحثان عن وسائل وخصائص الاتّساق كانا يبحثان في نفس الوقت عما يميّز النصّ ممّا ليس نصّا، ولهذا وضعا في بحثهما " ثنائية بين الكلّ الموحّد وبين الجمل غير المترابطة، ففي نظرهما لكي يشكّل أيّ مقطع لغويّ كلّا موحّدا و يطلق عليه مصطلح "نصّ" يجب أن تتوفّر فيه خصائص معيّنة تعتبر سمة في النصوص ولا توجد في غيرها" [1]. وهذا ما لمسناه جليّا عند مُحَمَّد خطابي وذلك أنّ كلّ خطاب أو نصّ يتوفّر على خاصّية من خواص الاتّساق يمكن أن نطلق على هذه الخاصية بالنصية.

ومن أبرز هذه الوسائل و الأدوات الّتي تساهم في جعل النصّ متّسقا شكلا، ما يمثّله المخطّط الآتي:

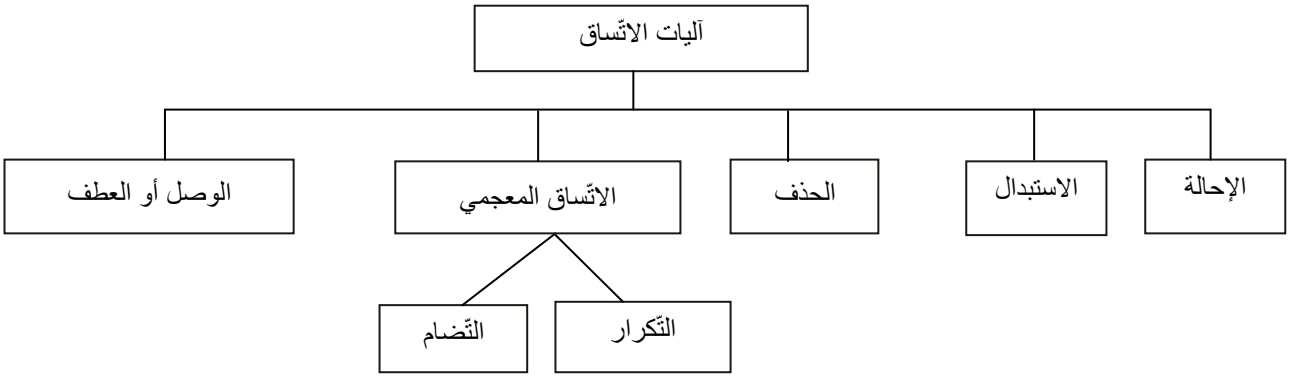

الشّكل رقم (10): آليات الاتّساق

وهو نفس الرّأي الذي ذكره "براون و يول" حين استشهدا بهاليداي ورقية حسن عن ضرورة وجود أدوات ماديّة ظاهرة تحقّق للنصّ تماسكه، حيث "تظهر الرّوابط الأدواتيّة بين الجمل أكثر وضوحا لأنّها المصدر الوحيد لخاصية النصّ" [2]؛ أي لابدّ من وجود عناصر لغوية ظاهرة على سطح الكلام وأدوات ماديّة رابطة بدونها يفقد النصّ وحدته اللغويّة ويصبح مجرّد كلمات وجمل مفكّكة لا تحقّق صفة النصّية. وسنعمد فيما يلي ذكر وسائل الاتّساق النحويّة والمعجميّة.

1. ينظر: مُحَمَّد خطابي، لسانيات النص، المرجع السابق، ص12.
2. براون و يول: تحليل الخطاب، المرجع السابق، ص 234.

أدوات الاتّساق:

لقد اتّجه الباحثان هاليداي و رقية حسن إلى تحديد أدوات الاتّساق وذلك من خلال بحثهما حيث اعتمدا في كتابهما "الاتّساق في اللّغة الانجليزية" على خمس أدوات نجملها كالآتي:

أ–الإحالة:

الإحالة (Reference) هي من أهمّ أدوات الاتّساق النحوي والتي تحقّق للنصّ التحامه وتماسكه، ويقصد بها" وجود عناصر لغويّة لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وإنّما تحيل إلى عنصر آخر، لذا تسمّى عناصر محيلة مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة.....الخ"[1]. وقد عرّفها دي بوجراند بأنّها" العلاقة القائمة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والأحداث والمواقف في العالم الخارجي الذي يدلّ عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نصّ ما إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النصّ" [2]؛ ويفهم من هذا التعريف أنّ الإحالة هي عبارة عن ألفاظ تَرِدُ في نصّ لغويّ لا تفهم إلا بواسطة علاقتها بألفاظ أخرى داخل النصّ أو بعلاقتها بالواقع الخارجي حسب السّياق الذي تَرِد فيه.

والإحالة لغة مصدر الفعل أحال. ويحمل هذا الفعل معنى عاما هو التغيّر والتحوّل ونقل الشيء إلى الشيء، ففي لسان العرب: أحال الرجل يحول مثل تحوّل من موضع إلى موضع، وحال الشيء نفسه يحول حولا بمعنيين: يكون تغيّرا ويكون تحوّلا، وحال فلان عن العهد أي زال، وفي الحديث: من أحال دخل الجنّة يريد من أسلم، لأنّه تحوّل عمّا كان يعبد إلى الإسلام [3].

أمّا في الدّراسات النصّية فيفهم أنّ هناك رابط بين الكلمات أو الأسماء سواء كانت متقدّمة أو متأخرة، فتعرف الإحالة بأنّها " العلاقة القائمة بين الأسماء والمسمّيات، فالأسماء تحيل إلى المسمّيات وهي علاقة دلاليّة تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدّلالية بين العنصر المحيل والعنصر

1. محمّد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص16.
2. روبرت دي بوجراند: النصّ والخطاب والإجراء، ص172.
3. ابن منظور: لسان العرب، ط4، 2005 م، ص187.

المحال إليه [1]؛ أي هي بمثابة علاقة دلاليّة ذات صبغة استرجاعية أو مرجعية تلزم القارئ دائما بالعودة للمعنى الإحالي في النصّ ليبقى دائما في حركة ذهاب وإيّاب داخل النصّ وذلك من أجل استمرارية المعنى أثناء بحثه عن العلاقات الإحاليّة.

وتطلق تسمية العناصر الإحالية عند الأزهر الزنّاد على "قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلّة؛ بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها قائم على النص..." [2]، ومن هنا نجد المعنى العام للإحالة ليس بعيدا عن الاستخدام الدّلالي لها، فهي عبارة عن علاقة قائمة بين عنصرين، يتمّ من خلالها التحوّل من عنصر إلى آخر، وبالتالي الانتقالبذهن المتلقّي في فضاء النصّ، و ذلك بدفعه إمّا إلى الأمام أو إلى الخلف داخل النصّ، كما يمكن الانتقال إلى خارج النصّ. وقد قسّم كل من هاليدي ورقية حسن الإحالة إلى قسمين:

1- **الإحالة المقاميّة:**

الإحالة المقاميّة (Escophorie Reference) هي التي تكون إلى ما هو خارج النصّ ويمكن فهم مرجعها من خلال سياق الموقف[3]، وبمفهوم آخر هي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي أي خارج النص، كأن يحيل ضمير المتكلّم المفرد على ذات صاحبه المتكلّم؛ حيث تعمل على إفهام النصّ وتأويله و تخرج النصّ من حالة الانغلاق إلى حالة الانفتاح على عالم السّياق والتّداولية، "وتساهم في خلق النصّ لكونها تربط اللّغة بالسّياق والمقام، إلا أنّها لا تساهم في اتّساقه بشكل مباشر"[4]. ولكنّها لا ترقى إلى مستوى الإحالة النصّية في اتساق النصّ، ولذلك يوليها الباحثان أهميّة كبيرة.

1. محمّد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص 17.
2. الأزهر الزنّاد: نسيج النصّ، المرجع السابق، ص 118.
3. جمعان عبد الكريم: إشكالات النصّ، المرجع السابق، ص 349.
4. محمّد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص17.

ومن هنا تعدّ الإحالة المقامية عنصرا رابطا في غاية الأهمية بين السّياق والنصّ، بحيث تكتمل بعض الجوانب الناقصة في نصيّة النصّ التي لا يمكن فهمها إلا بواسطة التّداول[1]، وبهذا يجب الاعتماد على أهميّة الإحالة المقاميّة في تماسك النصّ، فهي تضيف للنصّ وضوحا دلاليّا حقيقيّا، وتؤدّي إلى توسيع دلالة النصّ.

2- **الإحالة النصّية:**

الإحالة النصّية (Endophoric Reference) هي الإحالة إلى عنصر لغويّ مذكور في النصّ[2]، وتقوم بدور فعّال في اتّساق النصّ داخليا؛ وذلك لأنّها تقيم علاقات الربط بين الجمل وبين عناصر الجملة الواحدة، ويتّخذ هاليداي ورقية حسن الإحالة النصيّة معيارا للإحالة؛ أي أنّها تسهم في ربط أجزاء النصّ ببعضها ممّا يفضي إلى تماسك النصّ[3]؛ وللتوضيح أكثر نعطي مثالا على ذلك نقول: قرأت القصّة وحلّلتها، فالضمير المتّصل (ها) يحيل إلى الكلمة السابقة (القصة) فلو نزعنا هذا الضمير لاختّل نظام الربط وغاب الانسجام بين الجملتين السابق ذكرهما.

وتنقسم الإحالة النصّية إلى قسمين:

1- **الإحالة القبليّة (Anaphoricreference)**: هي التي تعود على مفسّر سبق التلفّظ به[4]؛ أي تحيل إلى أمر سبق ذكره في النصّ، وفيها يجري تعويض لفظ المفسّر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر[5]، وتعدّ من أكثر الإحالات شيوعا في النصّ اللغوي.

2- الإحالة البعديّة (Cataphoric Reference): وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النصّ ولاحق عليها، من ذلك ضمير الشأن في العربيّة أو غيره من الأساليب وتستخدم

1. ينظر: جمعان عبد الكريم، إشكالات النصّ، ص 350.
2. .جمعان عبد الكريم، إشكالات النص ، المرجع السابق، ص 350.
3. .مُحَمَّد خطابي: المرجع السابق، ص 17 و 18.
4. عبد الله خضر حمد: لسانيات النصّ القرآني، المرجع السابق، ص 139.
5. زاهر بن مرهون بن خصيف الداودي، التّرابط النصّي بين الشعر و النثر، دار جرير للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 1431هـ، 2010م، ص44.

لإيضاح شيء مجهول أو مشكوك فيه، ولهذا فهي تعمل على تكثيف اهتمام القارئ[1]. وإن كانت هذه الإحالة أقلّ بروزا من الإحالة القبليّة.

وللتوضيح نذكر نموذجا عن الإحالة النصيّة في قوله تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (5) ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة السجدة الآية 04و06).

فعند تحليلنا لهذا النصّ القرآني نجد أنّ لفظ الجلالة (الله) في أوّله هو المحال عليه وقد ارتبط أوّل النصّ بمجموعة من الإحالات المتنوّعة وأكثرها الضمائر البارزة والمستترة كما في (خلق، استوى دونه، يدبّر، يعرج). وأسماء الإشارة في (ذلك عالم الغيب) وهو إشارة إلى الله عزّ وجلّ، وأسماء الموصول في (الذي أحسن) وهذه الإحالات المتنوّعة جعلت الآيات الكريمة على قدر كبير من التّماسك والتّرابط النصّي، و يسمّى هذا النوع بالإحالة القبليّة. وتنقسم وسائل التّرابط الإحالية إلى ثلاثة عناصر:

- **الضمائر**: تعدّ من أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلّمون للإحالة وتشمل الضمائر الوجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم... الخ، وإلى ضمائر ملكيّة مثل: كتابي، كتابك كتابهم، كتابه...الخ، وتندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفرادا وتثنية وجمعا مثل: هو، هي، هم، هما هنّ[2]، وينبغي الإشارة هنا إلى أنّ هذه الضمائر تكتسب أهميتها بصفتها نائبة للأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، وتقوم بربط أجزاء النصّ.

- **أسماء الاشارة**: وقد صنّفها هاليداي ورقية حسن إلى عدّة إمكانيات، إمّا حسب الظرفية: الزمان (الآن، غدا، يوم...) والمكان (هنا، هناك...) أو حسب الإشارة المحايدة وتكون بـ (the) أي ما يوافق أداة التعريف أو الانتقاء (هذا، هؤلاء...) أو حسب البعد (ذاك، تلك...) و القرب (هذه، هذا...) [3]، ومّا هو ملاحظ فإنّ أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدي وإذا كانت أسماء الإشارة

1. الأزهر الزناد: نسيج النص، المرجع السابق، ص118.
2. محمّد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص18.
3. محمّد خطابي: المرجع نفسه، ص 19.

بشتّى أصنافها محيلة إحالة قبلية، بمعنى أنّها تربط جزء لاحق بجزء سابق [1]، ومن ثمّ تساهم في اتّساق النصّ و ترابطه.

- **أدوات المقارنة:** هي شكل من أشكال الإحالة وتتحقّق بأدوات عبارة عن كلمات مخصوصة [2] منها مايدلّ على التّطابق والتّشابه والاختلاف، والكمّية والكيفية ومن أمثلتها (مثل، نفس غير، أكثر، أفضل، أجمل، جميل...)[3]، وهذه المقارنة لا تختلف عن الضمائر وأسماء الاشارة في كونها تؤدّي وظيفة اتّساقية تساهم في تماسك النصّ. ونوضّح هذا في المشجّر الآتي:

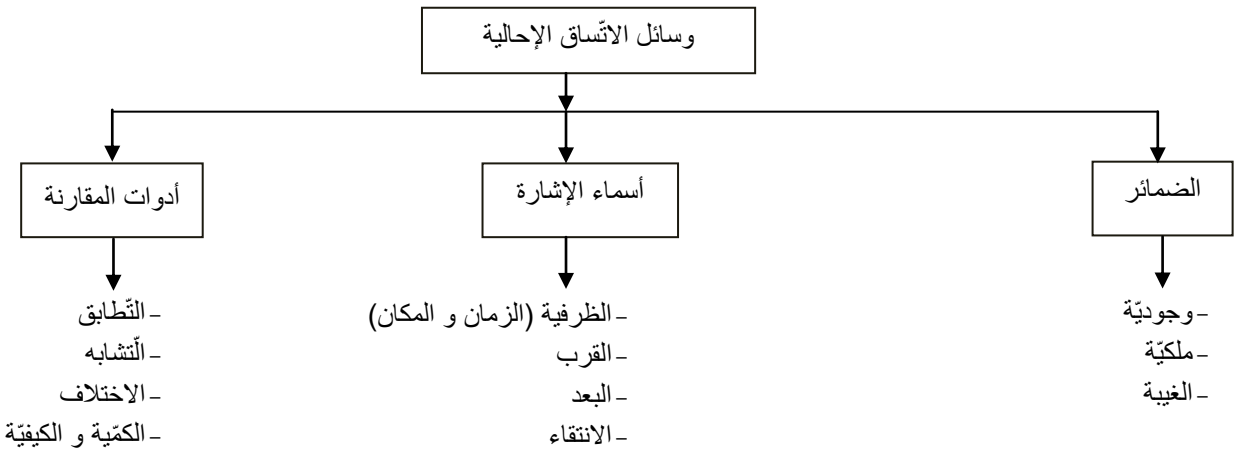

الشّكل رقم (11): وسائل الاتّساق الإحاليّة

ومن هنا نلاحظ أنّ الإحالة النصيّة لها دور فعّال في لحمة النصّ و تماسكه، و هذا لا يتمّ إلا بوسائل الاتّساق الإحالية التي ذكرناها بوصفها وسيلة اتّساق لها دورها المهمّ و المتميّز داخل النصّ.

وأخيرا نلخّص كلّ أنواع الإحالة في المخطط الآتي:

1 المرجع نفسه، ص 19.

2 زاهر بن مرهون الداودي: الترابط النصي بين الشعر و النثر ، المرجع السابق، ص47.

3 مُحَمَّد خطابي: المرجع نفسه، ص 19.

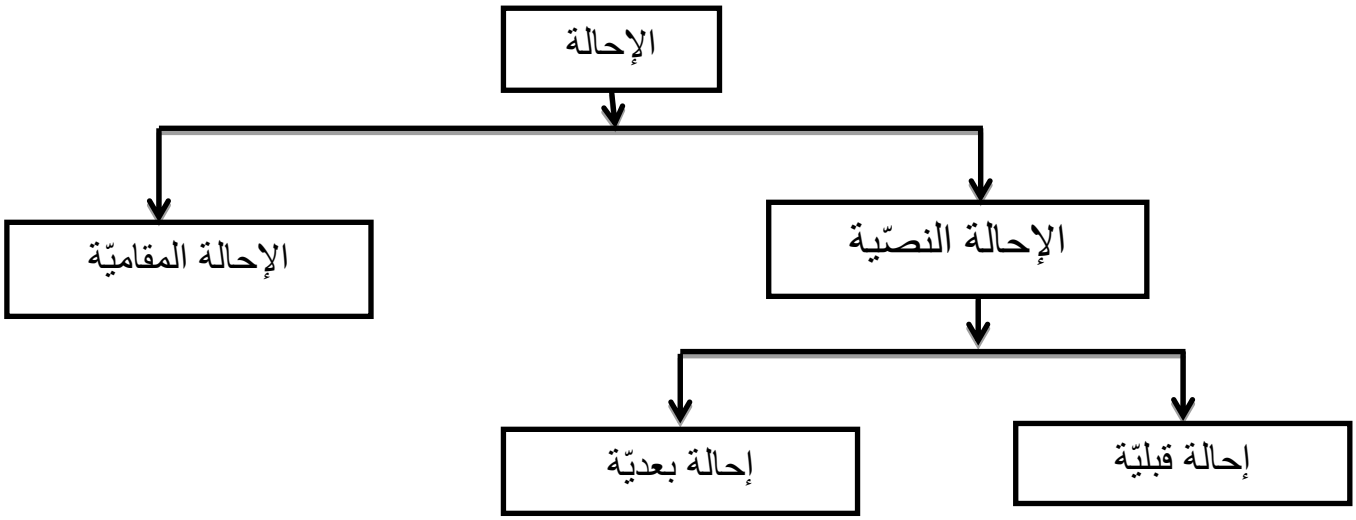

الشكل رقم (12):أنواع الإحالة

وجملة الأمر فإنّ الإحالة بنوعيها المقاميّة والنصّية تقوم على مبدأ واحد هو الاتّفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع[1]، فهي تعدّ من أكثر الظواهر اللّغوية انتشارا في النّصوص، فلا تكاد تخلو منها جملة أو نصّ، ذلك أنّ أدواتها تشكّل جسورا للربط بين أجزاء النصّ من خلال عودة اللفظ المحيل على مفسّره، وهذا ما يجعل جمل النصّ الواحد تشكّل لحمة واحدة، لهذا فهي من أهمّ الوسائل التي تحقّق للنصّ التحامه و تماسكه.

ب–الاستبدال:

يعدّ الاستبدال (Suctitution) وسيلة من وسائل التّماسك النصيّ، وهو عملية تتمّ داخل النص، ويكون باستبدال عنصر في النصّ مكان عنصر آخر، والاستبدال شأنه شأن الإحالة، إلا أنّه يختلف عنها في "كونه علاقة تتمّ في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما تكون الإحالة علاقة معنويّة في المستوى الدّلالي" [2].

1. محمّد خطابي: المرجع السابق، ص118.
2. محمّد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المرجع السابق، ص19.

إنّ ما يميّز الاستبدال هو أنّ أغلب حالات الاستبدال تكون قبليّة؛ أي أنّه يقع بين عنصر معجمي وآخر قبلي وفي هذا الشأن يقول خليل إبراهيم: "والفرق بين الاستبدال والإحالة، أنّ الثاني يحيل على شيء آخر غير لغوي في أيقونات معيّنة، في حين أنّ الاستبدال يكون بوضع لفظ مكان لفظ آخر لزيادة الصلة بين هذا اللفظ وذلك الذي يجاوره، وذلك اللفظ الذي يدلّ على الشيء الذي تقدّم ذكره" [1].

وهنا تحكم الاستبدال قاعدة عامّة، هي أن الكلمة البديلة يكون لها نفس الوظيفة التركيبيّة ونوضّح ذلك بمثال: "سيارتي قديمة يجب أن أشتري أخرى جديدة"، فكلمة (أخرى) وردت استبدالا لكلمة (سيارة) وقامت مقامها، وبالتالي فالاستبدال يساهم في فرض سيطرة الجملة الأولى على الجملة الثانية و يلجأ إليه الكاتب أو المتحدّث من أجل تجنّب تكرار* نفس التعبير، وهذا يعدّ من قبيل الاقتصاد اللّغوي، كما يحافظ على استمرار المعنى بالذاكرة دون أن يلتجأ إلى إعادة الكلمات مرّة أخرى.

وعليه تكمن قيمة الاستبدال في الربط بين أجزاء النصّ، و يمثّل مصدرا أساسيا من مصادر اتّساق النصوص و يتمّ عن طريق علاقة قبلية بين عنصر سابق في النصّ و بين عنصر لاحق فيه[2]. وبمعنى آخر يمكن أن ندرك أنّ هناك علاقة بين طرفي الاستبدال (المستبدِل و المستبدَل). و هي علاقة تقابل. كما يمكننا أن نجمل هذه العلاقة في المخطّط الآتي:

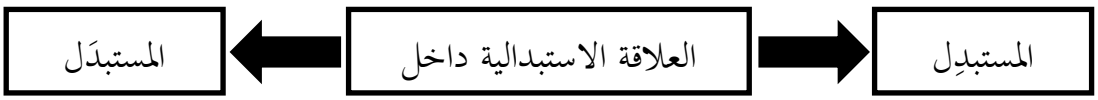

الشّكل رقم (13): عناصر الاستبدال

1. إبراهيم خليل: الأسلوبية و نظرية النصّ، المؤسسة العربيّة للدراسات و النشر، بيروت، دط، 1997م، ص138.

*. التكرار المقصود به هنا ليس هو الذي عدّه الباحثون اللسانيون من أدوات الاتّساق، و إنّما هو التكرار الذي يكسب النصّ ركاكة و ارتباك في الأسلوب.

2 . مُحَمَّد خطابي، المرجع السابق، ص 20.

ينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع هي:

1- **استبدال اسمي (substitution nominale):** ويقصد به استعمال ألفاظ معيّنة مكان أسماء وردت في موضع سابق من النصّ، ومن ألفاظه: آخر، أخرى، نفسه... الخ [1]، ومثال ذلك: ثيابي ممزّقة يجب أن أقتني أخرى جديدة.

2- **استبدال فعلي(substitution verbale):** ويمثّله استعمال الفعل (فعل، عمل، قام) مكان فعل خاص [2] ومثال ذلك: هل تظنّ أنّ حمزة يستمع للمحاضرة؟ أعتقد أنّ كلّ طالب يفعل فكلمة (يفعل) استبدلت بكلام كان يجب أن يحلّ محلّها وهو (يستمع للمحاضرة).

3- **استبدال قولي(substitution clausule):** ويستعمل فيه أدوات مثل: كذلك، أيضا، لا، نعم، أجل... حيث تعوّض هذه المفردات بجملة أو جمل كاملة[3]، ولتمثيل ذلك: حضر مُحَمَّد المحاضرة كاملة، وحمزة كذلك. فنابت كلمة (كذلك) عن حضر حمزة المحاضرة.

وسنضع رسما يوضح هذا التقسيم كالآتي:

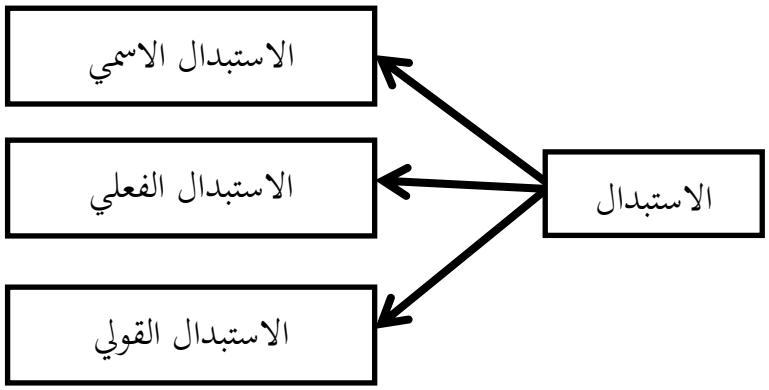

الشّكل رقم (14):أنواع الاستبدال

وعليه فإنّ الاستبدال بوظيفته الاتّساقية يفرض على المتلقّي البحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النصّ السابق، ومن هنا فإنّ الاستبدال يعتبر وسيلة من وسائل التماسك الشّكلي في النصّ، تتمّ على المستوى النّحوي والمعجمي بين كلمات أو عبارات.

1. زاهر بن مرهون الداودي: التّرابط النصّي بين الشعر و النثر، المرجع السابق، ص 50.
2. جمعان بن عبد الكريم: إشكالات النصّ، المرجع السابق، ص354.
3. المرجع نفسه، ص 354.

ج–الحذف:

الحذف (Ellipsis)كغيره من أدوات الاتّساق يمثل ظاهرة نصيّة لها دورها في انسجام النصّ والتحام عناصره، وشرطه في اللّغة أن "لا يتمّ إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدّلالة كافيا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر لأنّ هناك قرائن معنويّة، أو مقاليّة تومئ إليه وتدلّ عليه ويكون في حذفه معنا لا يوجد في ذكره"[1]، والمقصود من هذا القول أنّ المحذوف من الكلام لو بقي فإنّه يشكّل خللا على مستوى النصّ يتمثلّ في الحشو و الزيادة و لا فائدة من ذكره.

ويمكن أن يعرّف الحذف بأنّه "عدول المتكلّم عن ذكر عنصر أو أكثر من الكلام اختصارا"[2]. وهو نفس التّداخل الذي وجدناه عند تمّام حسّان في قوله: "لا ينبغي لنا أن نفهم الحذف على معنى أنّ عنصرا كان موجودا في الكلام ثمّ حذف بعد وجوده ولكنّ المعنى الّذي يفهم من كلمة الحذف ينبغي أن يكون الفارق بين مقرّرات النظام اللّغوي وبين مطالب السّياق الكلامي الاستعمالي" [3].

ويحدّد هاليداي ورقية حسن الحذف بأنّه "علاقة داخل النصّ، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النصّ السابق، وهذا يعني أنّ الحذف عادة علاقة قبلية" [4]. وحتى علماء اللّغة العربيّة القدماء اهتمّوا بظاهرة الحذف اهتماما كثيرا، فاشتهرت عنهم بعض العبارات النمطيّة في هذا الخصوص، لا يزال بعض أتباع المدرسة النحويّة التقليديّة يردّدونها إلى اليوم، حيث يقول الجرجاني في باب الحذف: "الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن..." [5]، فالجرجاني يعتبر الحذف من وسائل التّرابط النصّي؛ إذ أنّه أفضل من الاعتماد عل الذكر ويدرك قيمته السّياقية.

---

1. عبد اللطيف مُحَمَّد حماسة: بناء الجملة العربية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1996م، ص208.
2. رفيق بن حمودة: الوصفيّة مفهومها و نظامها في النظريات اللسانيّة، دار مُحَمَّد علي للنشر، صفاقس و كلية الآداب سوسة، ط1، 2004م، ص 356.
3. تمام حسّان: اللغة العربيّة معناها و مبناها، المرجع السابق، ص 298.
4. محمّد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص21.
5. ينظر: إبراهيم خليل، اللسانيات و نحو النصّ، ص 233.

ونظرا لإدراك أهمية السّياق في الحذف يرى أحد الباحثين بأنّ الحذف يتمّ "عندما تكون هناك قرائن معنويّة أو مقاميّة تومئ إليه وتدلّ عليه ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره، وفي نحو النص يجب أن تراعى القرائن المعنوية والمقاميّة لأنّ السّياق و المقام من أساسيات الحذف، حيث تكون الجمل المحذوفة أساسا للربط بين أجزاء النصّ من خلال المحتوى الدّلالي" [1]، ومن هنا يكمن دور الحذف في الربط بين أجزاء النصّ، ممّا يؤدّي إلى تماسك النصّ. وينقسم الحذف عند علماء لسانيات النص إلى ثلاثة أقسام هي:

1- **الحذف الاسمي (Ellipsis nominal)**: و هو لا يقع إلا في الأسماء المشتركة و يكون المحذوف اسما [2]، مثل: عن أيّ السؤالين ستجيب ؟ هذا هو الأسهل.

2- **الحذف الفعلي (Ellipsis verbale)**: و هو الذي يكون داخل المركب الفعلي؛ بمعنى يكون المحذوف عنصرا فعليّا [3]. و مثال ذلك: فيما كنت تفكّر؟ الامتحان الذي أتعبني. و التقدير أفكّر في الامتحان الذي أتعبني.

3- **الحذف داخل شبه الجملة (Ellipsisclausal):** إنّ أكثر الأنماط التي يتحقّق فيها الحذف هي العناصر التي تحذف من جملة الاستفهام[4]، ومثال ذلك: كم ثمن الكتاب؟ ثلاثون دينارا والتقدير: ثمن الكتاب ثلاثون دينارا.

ونوضّح هذه الأنواع في الشّكل الآتي:

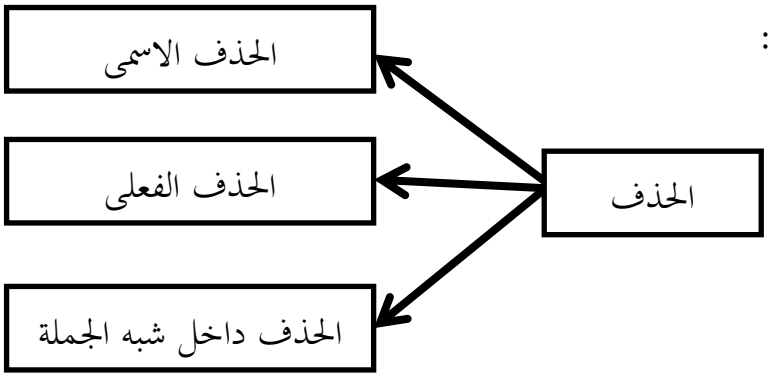

الشّكل رقم (15): أقسام الحذف

1. ياسين سرايعية: مقاربة نحو النصّ في تحليل النصوص، قراءة في وسائل السبك النصّي (مجلة علوم إنسانية، العدد 35،2007م السنة الخامسة)، ص 115.
2. مُحَمَّد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النصّ، المرجع السابق، ص 93.
3. المرجع نفسه، ص 93.
4. عبد الله خضر حمد: لسانيات النصّ القرآني، المرجع السابق، ص147.

انطلاقا من هذه الأمثلة السّابقة نلاحظ أنّ الحذف يقوم بدور اتّساقي على الرغم من أنّ هذا الدور يختلف عن الدور الذي تلعبه الإحالة، لأنّ في الحذف لا يوجد أثر عن المحذوف، فيما يلحق من النصّ إلا ما دلّ عليه من السّياق أو المقام الذي ورد فيه الحذف، ولهذا يعدّ علاقة قويّة من علاقات الاتّصال النحوي ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة.

د–الوصل :

يعتبر الوصل مظهرا من مظاهر الاتّساق ويختلف عن بقيّة وسائل التّماسك التي سبقت الكلام عنها من حيث أنّه يصل وصلا مباشرا وفي هذا الشّأن يقول محمّد خطابي "إنّه تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظّم" [1]. ويفهم من هذا التعريف أنّ هناك علاقة تربط بين الجملتين بواسطة عناصر رابطة متنوّعة تصل بين أجزاء النصّ ليصبح وحدة متماسكة.

ولتوضيح هذه الروابط فإنّ الوصل يكتسب أهميّة بالغة كون النصّ متوالية من الجمل تسير في خطّ تعاقبي يلزمه توفّر أدوات ربط ليصبح النصّ بنية متماسكة، يسمّيها بعض اللّغويين "الأدوات المنطقيّة" وذلك لدورها في تحقيق أنواع التّعالق بين الجمل، ولإسهامها كذلك في بناء النص بناء منطقيا [2]. وتدخل هذه الروابط ضمن ما يسمّى بالروابط النصّية، وسنذكر البعض من هذه الروابط التي يجب أن تتوفّر في النصّ اعتمادا على أبعاده الدلاليّة وهي:

- روابط تفيد الإضافة ومنها: الواو، أو، أيضا، بالإضافة...
- روابط تفيد الزمن مثل: حينئذ، عندما، الآن.
- روابط التّعليل والاستنتاج ومنها: لهذا، إذن، نتيجة لذلك، بالفعل.
- روابط التّعارض مثل: لكن، بالعكس، بينما، بالمقابل.
- روابط التّفسير و منها: نحو، أي، المقصود بذلك، أعني.
- روابط التّمثيل مثل: على غرار، نحو، مثلا.

1. محمّد خطابي: لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 23.
2. الأزهر الزنّاد: نسيج النصّ، المرجع السابق، ص 37.

- روابط الشرح ومنها: لأنّ، بمعنى، بعبارة أخرى.
- روابط تفيد السبب مثل: إذا، وعليه، نتيجة ذلك، بسبب، بما أن، فعلا...
- روابط تفيد التّعداد مثل: أوّلا، ثانيا، أخيرا، بالنهاية...

هذه هي معظم أدوات الرّبط التي تمكّننا من تنظيم الموضوع المعبّر عنه في نصّ ما، وتعمل على بناء العلاقة بين معاني النصّ، بالرّبط بين عناصره وأجزائه، ولكن نسبة توظيف هذه الأدوات تحدّدها طبيعة النصّ وموضوعه، وهذا الرّبط بين عناصر جمله بإحكام يظهر نصّا مترابطا ومنسجما.

هـ-الاتّساق المعجمي (Lexical cohesion):

يعدّ آخر مظهر من مظاهر اتساق النصّ الّتي أقرّها كلّ من الباحثين "هاليداي و رقيّة حسن ودي بوجراند" كعنصر من العناصر الّتي تحقّق تماسك النّص و ترابطه؛ أي أنّ الاتّساق المعجمي هو ربط يتمّ على مستوى المفردات المعجميّة التي تكون في النصّ إمّا متكرّرة أو متضامنة [1]، فمصطلحه مأخوذ من الوظيفة الّتي يقوم بها؛ إذ يتمّ عبر استمراريّة المعنى، فيكون كالخيط الذي يربط ذهن القارئ ويذكّره دائما بالفكرة الرّئيسة الّتي يدور حولها النصّ. " ولا يمكن الحديث في هذا المظهر عن العنصر المفترِض و العنصر المفترَض كما هو الأمر سابقا، ولا عن وسيلة شكليّة (نحويّة) للرّبط بين عناصر في النّص"[2]؛ فهو بمعنى ربط معجمي ليس غير، يتمّ على مستوى البنيّة السطحيّة؛ حيث تعمل على الالتحام بين أجزائه معجميا، وينقسم إلى نوعين: التّكرار والتّضام.

1- التّكرار.(Reiteration)

جاء في معجم الكلّيات بأنّ " التكرار في البديع هوّ أن يكرّر المتكلّم اللّفظ الواحد باللّفظ والمعنى...لغرض من الأغراض"[3]. وعرّفه ابن الأثير بقوله "هو دلالة لفظ على المعنى المردّد"[4]. ويتّضح

1. جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النصّ، المرجع السابق، ص 359.
2. محمّد خطابي: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 24.
3. أبو البقاء الكفوي: الكلّيات، تح: عدنان درويش، ومحمّد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1992م، ص 297.
4. ابن الأثير: المثل السّائر، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج2، 1999م، ص146.

من هذين التّعريفين الدقّة في الطرح.والملاحظ أنّ علاقة التّكرار لا تقتصر على الكلمة في حدّ ذاتها؛ أي لا تتحقّق على مستوى واحد ولكنّها تمتدّ لتشمل جميع مستويات الكلام، مثل تكرار الحروف والكلمات، والعبارات والجمل، والفقرات، والقصص، أو المواقف كما هو واقع في النّص القرآني وهذا ما أشار إليه ابن قيّم الجوزيّة بقوله "وحقيقة التّكرار أن يأتي المتكلّم بلفظ ثمّ يعيده، سواء كان اللّفظ متّفق المعنى، أو مختلفا، أو يأتي بمعنى ثمّ يعيده"[1].

كما يعدّ الجاحظ من أوائل العلماء القدامى الذين تحدّثوا عن التّكرار و أشاروا إلى أهميته، وبيّنوا محاسنه ومساوئه حيث يقول في هذا الصّدد " ليس التّكرار عيّا ما دام لحكمة كتقرير المعنى أو خطاب الغبي أو الساهي، كما أنّ ترداد الألفاظ ليس بعيّ ما لم يجاوز مقدار الحاجة و يخرج إلى العبث، وهذا القرآن قد ردّد قصّة موسى وهود وهارون، وشعيب وإبراهيم، ولوط وعاد وثمود، كما ردّد ذكر الجنّة و النّار وغيرهما لأنّه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم وأكثرهم غبيّ غافل أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب"[2]. فالجاحظ هنا أشار في كلامه إلى التّكرار بأنّه نوع من أساليب الفصاحة، وهو أسلوب متداول عن العرب، لا يستعمل إلاّ عن الحاجة وبالقدر الّذي يليق بالمقام، وله ضوابط تحكمه، وإذا لم يخضع لها فإنّه يصبح عيّا دون وظيفة تذكر.

أمّا التكرار في تعريفات المحدثين أكثر دقّة ووضوحا، فقد جاء في معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب "التّكرار هو الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفنّي، التّكرار هو أساس الإيقاع بجميع صوره، فنجده في الموسيقى بطبيعة الحال كما نجده أساسا لنظرية القافية في الشعر" [3]، إذا فالتكرار يأخذ أبعادا مختلفة ويتشكّل بأنواع متنوّعة، فهو يبدأ بالحرف ويمتد إلى الكلمة ثمّ الجملة إلى الشعر فالقصيدة، وحتّى الجانب الشّكلي للشعر يتألّف من الإيقاع الذي يشكّل في حدّ ذاته صورة من صور التّكرار.

1. ابن الأثير: المثل السائر: المصدر نفسه، ص146.
2. ابن قيّم الجوزيّة، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، دار الكتب العلميّة، لبنان، دت، ص 111.
3. ينظر: مجدي وهبة و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربيّة والأدب، مكتبة لبنان، 1984م، ص 118.

والتّكرار عند علماء النصيّة كوسيلة من وسائل التّماسك النصّي لها دورها في توحيد النصّ وتلاحمه، هو شكل من أشكال السبك المعجمي يتطلّب " إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما" [1]؛ إذا فالتكرار هوّ إعادة مباشرة للكلمات، وبهذا يساهم في الرّبط المستمر بين الجمل والمعلومات السّابقة واللّاحقة، وإعادة كلمات محدّدة تساعد القارئ على فهم المقصود بسرعة واستيعاب القضيّة الأساسيّة الّتي يتحدّث عنها النّص تأكيدا على معنى معين، وبواسطته يتم إدراك الكلمات المفاتيح لتسهّل عمليّة الدخول إلى النصّ.

ومن هنا يتّضح لنا أنّ التكرار يؤدّي إلى تحقيق التّماسك والتّرابط النصّي وذلك من خلال تكرار عنصر ما في النّص، أو امتداده من بدايته حتّى آخره، ويكون هذا العنصر إمّا كلمة، أو جملة أو فقرة، وهذا التّكرار أو الامتداد يحدث تماسكا وربطا بين وحدات النّص على اختلاف وتباين صوّرها.إذا فالتكرار يعدّ من أهمّ أركان التركيب اللّغوي الذي يعطي الجملة فوائد جماليّة وأخرى دلاليّة تساهم في رفع كفاءة التركيب، لتغطي أكبر قدر ممكن من المعاني [2]، ويمكن لنا أن نقول عنه هو الملمح اللساني النصّي الأكثر بروزا و فاعليّة في تلاحم النصّ و اتّساقه بكلّ أنواعه وجميع درجاته.

زيادة على ذلك فإنّ التّكرار يوظّف من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكوّنة للنصّ وإحداث ردود عاليّة في النصّ تميّزه عن نظائره، ويساعدنا رصده على فكّ شفرة النصّ و إدراك كيفية أدائه لدلالته [3]، وفي هذا يقول الباحث صبحي إبراهيم الفقّي: "إنّ التكرار هو إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة و ذلك باللفظ نفسه أو بالتّرادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة" [4].

وقد جعل علماء لسانيات النصّ هذا التّكرار يتحقّق بأشكال أربعة مميزة كالآتي:

-تكرار العنصر المعجمي (The directe repletion): يشير إلى أنّ المتكلّم يواصل الحديث على الشيء نفسه، بما يعني استمراره عبر النصّ، سواء كان لفظا أو جملة نفسها، و يسمّى بالتّكرار

1. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 08و09.
2. عبد الله خضر حمد، لسانيات النصّ القرآني، المرجع السابق، ص163.
3. نعيمة سعدية: لسانيات النصّ و الخطاب الشعري، المرجع السابق، ص 266.
4. صبحي إبراهيم الفقّي: علم اللغة النصّي، المرجع السابق، ص20.

التّام أو المحض [1]، ويحقّق هذا التّكرار أهدافا تركيبيّة و معنويّة كثيرة و مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنعام، الآية 71). نجد في الآية الكريمة أنّ لفظ الجلالة (الله) تكرّر ثلاث مرات، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على استمرار الكلام في قضايا طرحتها الآية وقد ارتبطت ببعضها، وجاء التّأكيد فيها بالإسناد إلى الله تعالى، فمن جانب ارتبطت دلاليّا و من جانب آخر تماسكت نصيّا عبر التكرار[2]، وبالتالي تكرار لفظ (الله) ساعد في عملية التّرابط النصّي.

–التّرادف أو شبه الترادف (a synonyme or near-synonyme): يعدّ وسيلة من وسائل تماسك النصّ عن طريق استخدام كلمات لها معنى مشترك، ويرجع استخدام التّرادف بدلا من التّكرار المباشر للكلمة، ويعرّفه السّيوطي هو "ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة...وأُخذ من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف الآخر، كأنّ المعنى مركوب واللفظين راكبان، كالليث والأسد"[3]، فاتّفاق اللفظين في المعنى واختلافهما في الشّكل هو المراد بالتّرادف عنده، ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (سورة يوسف الآية 84)، ففي الآية وصف لحالة سيدنا يعقوب عليه السلام بعدما فقد ابنه وفلذة كبده يوسف عليه السلام، فجاءت كلمة (كظيم) التي تعني ممتلئ من الغيض أو الحزن، يكتمه ولا يبديه دون غيرها من المترادفات نحو الأسى واللّهف [4]؛ إذ ساعدت في عمليّة الاتّساق النصيّ في الآية.

–التّكرار بالكلمة الشّاملة (repetition by the super-ordinateword): وهي طريقة أخرى للربط بين الكلمات في النصّ تخلق التّماسك، فالكلمة أكثر تعميما يطلق عليها كلمة شاملة،

1. عبد الله خضر حمد: لسانيات النصّ القرآني،المرجع السابق، ص 166 .
2. ينظر: صبحي إبراهيم الفقّي، علم اللّغة النصّي، المرجع السابق، ص 29.
3. السّيوطي: المزهر في علوم اللّغة العربيّة و أنواعها، تح: مُحَمَّد أحمد جاد المولى ومُحَمَّد أبوالفضل إبراهيم و علي مُحَمَّد البجاوي، منشورات الكلية الأصليّة، بيروت، ط1، 1986م، ص316.
4. عبد الله خضر حمد: لسانيات النصّ القرآني، المرجع السابق، ص 172.

والكلمة الأكثر تحديدا يطلق عليها كلمة مضمونية أو مشمولة [1]. ويقول عنه أحد الباحثين" أنّ إحدى الكلمات تشير إلى فئة، و الكلمة الأخرى تشير إلى عنصر في هذه الفئة" [2]. ومثال ذلك: أن يصل بك العصيان إلى إنكار جميل والديك، الأمر خطير جدا، فكلمة (أمرا) عنصر شامل جاء تكرارا لكلمة (إنكار).

-التكرار بالكلمة العامّة (repetition by the general word):الكلمات العامّة هي كلمات أكثر شمولا من الاسم الشّامل كالفكرة، العمل، المكان، المهمّة...الخ؛ أي مجموعة صغيرة من الكلمات لها إحالة عامّة، وتستخدم كوسائل للربط بين الكلمات في النصّ[3]. مثل: قضيت السنة كلّها في حفظ كتاب الله، مع ذلك كان العمل ممتعا، فكلمة (العمل) هنا عنصر عام جاء تكرارا لكلمة (حفظ) و هذا التّكرار أفاد السبك و التّرابط النصّي للجملة.

كلّ هذه الأشكال التي ذكرناها تكرارت تساهم في تماسك النصّ، فالكلمات المتكرّرة بين الجمل تسهم في الربط بين محتوى الجمل في أجزاء مختلفة من النصّ، ومن ثمّ يتحقّق توحّد النصّ واتّساقه.

2- التّضام(collocation):

يقصد بالتّضام المعجمي ذلك الّذي يقوم على التّلازم بين الكلمات في سياق ما؛ أي مجيء أزواج من الكلمات متصاحبة دائما، فذكر أحدهما يستدعي ذكر الآخر لوجود علاقة ما بين اللفظين[4]، وهذا التجاور المتضام بين اللفظين يؤدّي إلى علاقة أشدّ تماسكا في النّص، وهذا ما أشار إليه مُحَمَّد خطابي "التضام هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوّة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[5].

1. نعيمة سعدية: لسانيات النصّ و الخطاب الشعري، ص268.
2. عزّة شبل مُحَمَّد: علم لغة النصّ، المرجع السابق، ص 107.
3. نعيمة سعدية، المرجع نفسه، ص 268.
4. جمعان عبد الكريم: إشكالات النصّ، المرجع السابق، ص366.
5. محمّد خطابي:المرجع السابق، ص 25.

وإضافة إلى ذلك هناك علاقات أخرى للتّضام ذكرها علماء لسانيات النصّ وهي:

1- التّضاد بجميع درجاته: سواء كان بين الكلمتين تضاد كامل مثل: (ولد و بنت) أو بينهما تخالف أو تناقض مثل: (أَحَبّ و كَرِه) أو كان بينهما تعاكس مثل: (أَمَرَ و أَطَاعَ) [1].

2- الدخول في سلسلة مرتّبة مثل: السبت، الأحد.

3- علاقة الكلّ بالجزء ويعني بها أن تتركز العلاقة بين شيئين غير منفصلين كعلاقة اليد بالجسم.

4- علاقة الجزء بالجزء [2] : مثل علاقة النافذة بالباب.

5- الاندراج في قسم عام مثل: كرسي، طاولة (و هما عنصران من عناصر التجهيز) و قد يتّسع التّضام ليشمل مجموعة من الكلمات لا زوجا واحدا مثل: شعر، أدب، الكاتب، القارئ، الأسلوب...[3] وبهذا فإنّ التضام وسيلة من وسائل تيسير طول الكلام.

هذه هي أدوات الاتّساق التي أوردها الباحثان هاليداي ورقية حسن، ويتّفق عليها أغلب الباحثون اللسانيون مع بعض التقسيمات الإضافية، و التي تعتمدها النّصوص في تماسكها جملة فجملة؛ إذ تكفل للنصّ تماسكه وترابطه وتسهّل للقارئ متابعة الخطاب و فهمه.

2.2.الانسجام:

قبل الحديث عن وسائل وآليات انسجام النصّ سنقف على أهمّ معانيه في اللّغة.

أ-لغة: جاء في لسان العرب "سَجَمَتِ العَيْنُ الدمع والسحَابةُ الماء تَسْجِمُهُ وتَسْجُمُهُ سَجْمًا وسُجُومًا وسَجَمَانًا: وهو قَطَرَانُ الدّمع وسَيَلَانِهِ، قليلا كان أو كثيرا وكذلك السَّاجِمُ من المطر، والعرب تقول دَمْعٌ سَاجِمٌ. وانسَجَمَ الماء والدّمع فهو مُنْسَجِمٌ إذا انْسَجَمَ أي انصَبَّ" [4].

فإذا تتبعنا معاني مادة (سجم) نجدها تتمحور حول معنى الانصباب والصبّ والسيلان واستمرار المطر، وهذه المعاني تتّصل بمعنى الانسجام؛ حيث أنّ انصباب الماء وسيلانه يتمّ في انسجام

1. جمعان بن عبد الكريم: إشكالات النصّ، ص 366.
2. مُحَمَّد خطابي: المرجع السابق، ص 25.
3. جمعان بن عبد الكريم: المرجع نفسه، ص 367.
4. ابن منظور: لسان العرب، مادة (سجم)، ج2، ص 1762 و 1763.

قطراته التي تكونه في كلّ متناغم، يقابل انصباب وانسجام معاني النصّ وتجمعها لتشكّل وحدة دلاليّة.

ب–اصطلاحا: أُستعمل مصطلح الانسجام (coherence) للتعبير عن المستوى الدلالي؛ أي وصف المستوى العميق في النصّ (البنية الكبرى)؛ حيث يرى فان دايك أنّ الانسجام أو التماسك الدّلالي "عبارة عن خاصية سيمانطيقية للخطاب قائمة على تأويل كلّ جملة مفردة متعلّقة بتأويل جملة أخرى" [1].

ومن هنا فإنّ الانسجام يمثّل المستوى الثاني من مستويات التّرابط النصّي ولا يتحقّق إلا من خلال وسائل دلاليّة في المقام الأوّل، ويتمثّل في بنية عميقة على المستوى العميق للنصّ تقدم إيضاحا لطرق التّرابط بين تراكيب ربّما تبدو غير متّسقة أو مفكّكة على السطح؛ فهو ذو طبيعة دلاليّة تجريديّة تظهر من خلال علامات تعكسها العناصر اللّغوية في النصّ، وهذا النوع من الرّبط هو ما يصحّ إطلاق مصطلح الانسجام عليه [2]؛ أي أنّ الانسجام جزء من عملية فهم النصّ، لأنّ القارئ عندما يعالج النصّ يبني تمثيلا للمعلومات التي يحتويها النصّ في ذهنه و بالتالي فهو يتعلّق بتلك الرّوابط الدّلالية التضمنية في باطن النصّ والتي تضمن استمرارية الدّلالة.

وممّا يجدر الإشارة إليه أنّ الانسجام يتمحور حول تلك العلاقات التي تربط معاني الجمل في النصّ؛ أي أنّه يهتمّ بالرّوابط الدلاليّة المتحقّقة في عالم النصّ بخلاف الاتّساق الذي يهتمّ بالرّوابط الشكليّة المتجسّدة في ظاهر النصّ[3]. هذا يعني أنّه يمثّل أساسا مهمّا في أسس الدرس النصّي، لكونه يختصّ في الاستمرارية الدّلالية التي تتجلّى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينها، ولكن هذه العلاقات تحتاج من القارئ جهدا في التفسير والتّأويل وتوظيف ما في مخزونه من معلومات ومكتسبات سابقة من عالم النصّ للكشف عن آليات الانسجام وتحقيق عمليّة التّواصل.

1. فان دايك: النصّ و السياق، المرجع السابق، ص 162.
2. سعيد حسن بحيري: علم لغة النصّ، المرجع السابق، ص122 و 123 .
3. ينظر: صبحي إبراهيم الفقّي، علم اللغة النصّي، المرجع السابق، ص95 .

وعلى هذا الأساس يؤكّد مُحَمَّد خطابي أنّ المتلقّي يجب أن ينطلق من افتراضين من أجل اكتشاف انسجام النصّ أو عدم انسجامه وهما:

1- لا يملك الخطاب في ذاته مقومات انسجامه، وإنّما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقوّمات.

2- كلّ نصّ قابل للفهم و التأويل فهو نصّ منسجم و العكس صحيح [1].

ويفهم من هذا الذي تقدّم حسب ما أكّده مُحَمَّد خطابي أنّ القارئ يعدّ في قلب عملية التّواصل؛ بمعنى أنّ المتلقّي هو الذي يحكم على نصّ بأنّه منسجم وعلى آخر بأنّه غير منسجم، وبالتالي يتحتّم علينا أن نأخذ بعين الاعتبار دور القارئ وجهده التأويلي الذي يبذله لربط أجزاء النصّ دلاليّا في الحكم على انسجام النصّ و تماسكه.

وعليه فإنّ تحليل أيّ نصّ ووصف انسجامه يستدعي وجود مجموعة من المبادئ و الآليات التي تساهم في تحقيق الانسجام و هي:

أ- مبدأ السّياق: يؤدّي دورا فعّالا في تأويل الخطاب، ويرتبط بعلاقة النصّ مع القارئ [2]، ممّا يمكّنه من تحدّي ظروف القضية وزمانها ومكانها... ويمكن أن نصنّف خصائص السّياق حسب هايمس (1964م) [3] والتي أجملها في النقاط الآتية:

- المرسل: وهو المتكلّم أو الكاتب الذي ينتج القول.
- المتلقّي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقّى القول.
- الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.
- الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.
- المقام: وهوزمان ومكان الحدث التّواصلي، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه...
- القناة: كيفية التّواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي، كلام كتابة، إشارة...

1. محمّد خطابي: لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص 52.
2. بن يحي طاهر ناعوس: تحليل الخطاب القرآني، المرجع السابق، ص 212.
3. محمّد خطابي: المرجع نفسه، ص 52.

- النّظام: اللّغة أو اللّهجة أو الأسلوب اللّغوي المستعمل.
- شكل الرسالة المقصود: دردشة، جدال، خرافة، رسالة...
- المفتاح: ويتضمّن التّقويم،إن كانت الرسالة موعظة حسنة، شرحا مثيرا للعواطف.
- الغرض: وهو ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التّواصلي [1].

هذه أهمّ الخصائص التي ذكرها محمّد خطابي وبإمكان محلّل الخطاب أن يختار الخصائص الضروريّة لوصف أيّ حدث تواصلي خاص؛ بمعنى أنّ هذه الخصائص لا يعتمد عليها المحلّل في جميع الأحداث التّواصلية.

ب– مبدأ التّأويل المحلّي: ويرتبط بقرائن النصّ التي يؤوّل بعضها بعضا فنعرف موضوع النصّ والعلاقات و القرائن التي تربط بين عناصره [2]، ويكون دائما مقيّدا بالسّياق وخصائصه.

ج – مبدأ التّشابه: يعدّ أحد الاكتشافات الأساسيّة التي يتبناها المستمعون والمحلّلون في تحديد التّأويلات في السّياق ويتمّ ذلك عبر تشابه النصّ مع نصوص أخرى في القضية التي يقاربها.

د– مبدأ التّغريض : ويقصد به الموضوع الرّئيسي الذي يتمحور حوله الخطاب المدروس.

هـ– مبدأ المناسبة : ويكون مرتبطا بالقرآن الكريم ويوزّعه العلماء إلى قسمين : المناسبة الداخليّة والمناسبة الخارجيّة [3]. وسنتطرق إلى شرح هذه المناسبة في الجانب الإجرائي من هذه الدّراسة.

والمخطّط الآتي يختصر هذه المبادئ على هذا المنوال:

1. محمّد خطابي: لسانيات النصّ،المرجع السابق، ص 53.
2. بن يحي طاهر ناعوس: المرجع السابق، ص 212.
3. محمّد خطابي: المرجع نفسه، ص 58.

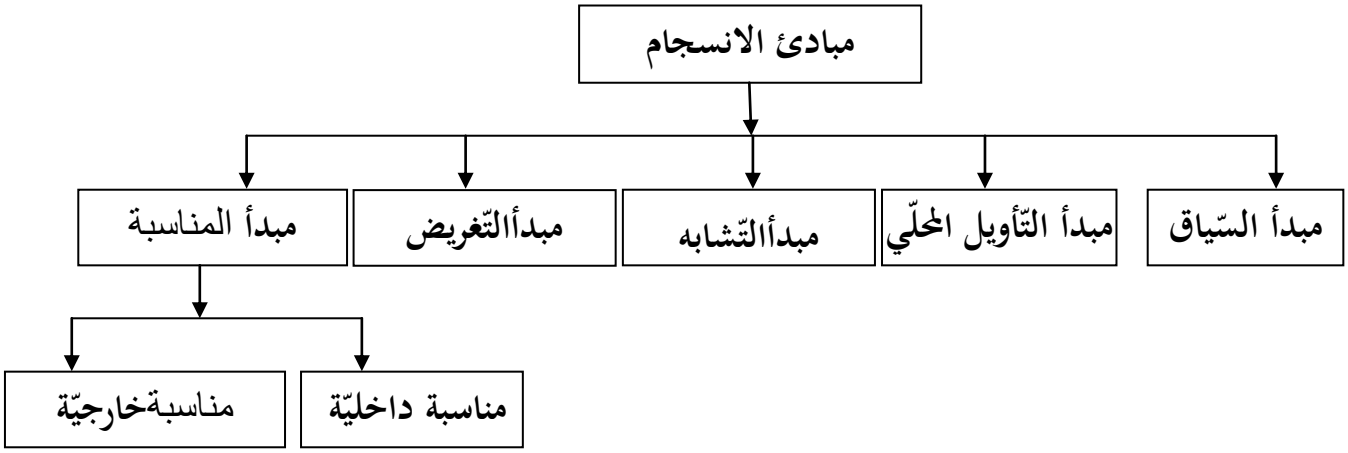

الشّكل رقم (16): مبادئ الانسجام

وهذه المبادئ التي ذكرناها ساهمت في تحقّقها عمليات أساسيّة ساهمت في بناء انسجام النصّ من عدمه ، وفق ما بيّنه علماء لسانيات النصّ.

أ- **المعرفة الخلفيّة** : ونشير هنا إلى أنّ "المستمع/القارئ حين يواجه خطابا مالا يواجهه وهو خاوي الوفاض وإنّما يستعين بتجاربه السّابقة؛ بمعنى أنّه لا يواجه وهو خالي الذهن " [1]؛ أي ما يحمله المتلقّي من معلومات ومعارف تمكّنه من التّأويل والتّفسير والتّحليل.

ب-**الأطر**: وهي طريقة تمثّل بها المعرفة الخلفيّة، وهذه النظرية وضعها "مينسكي"؛ حيث يذهب إلى أنّ معرفتنا مخزّنة في الذاكرة على شكل بنيات معطيات يسمّيها (الأطر) تمثّل وضعيات جاهزة وقد حدّد مينسكي الطريقة التي تستعمل بها الأطر على نحو خاص، فحين يواجه شخص ما وضعية جديدة فإنّه يختار من الذاكرة بنية تسمّى إطارا، وهو إطار متذكر للتكيّف مع الواقع عن طريق تغيير التّفاصيل حسب الضّرورة[2].

1. مصطفى النحاس : نحو النصّ في ضوء التحليل اللّساني للخطاب، المرجع السابق، ص 61.
2. محمّد خطابي : لسانيات النصّ، ص 63.

ج- **الخطاطة:** اعتبرت الخطاطة في البداية بنيات معرفية، تضمّ توجيهات حتميّة "تهيئ المجرّب لتأويل تجربة ما بطريقة ثابتة وكمثال على ذلك الأحكام العنصريّة المسبقة التي يصدرها جنس بشري معيّن على جنس آخر بناء على خطاطة موجودة سلفا من أفراد ذلك الجنس، والمثال الأقرب إلينا هو صورة العربيّ التي تشكّلت لدى الأمريكيين، ومن ضمن مكوناتها أنّ العربيّ إنسان جاهل، كسول إرهابي، لا منطق يحكم أفعاله ، متهتك...."[1].

د- **الخلفية التنظيميّة:** وهي ما تستحضره من تمثّلات حول النصّ مرتبة بانتظام كتحديد مجال النصّ وجنسه ونمطه،وخلفيته النّظرية [2]، ممّا يساعد على فهم النصّ والانسجام مع معطياته .

ويفهم ممّا سبق أنّ الانسجام له تصوّرات ومفاهيم متنوّعة تبعا لتنوّع توجّهات الدارسين،ولكن يمكن أن نعتبره ذلك التّماسك والتّرابط الدّلالي الذي يتحقّق على مستوى المعاني والأفكار(الواردة فيه) وذلك بالكشف عن التّلاحم القائم بين الجمل والفقرات والنصّ بكامله، كما يرتكز على علاقات داخليّة خفيّة وعناصر مقاميّة متعالقة يتمّ من خلالها فهم النصّ، والتي تكتشفها من خلال معارفنا السابقة، وكذا سياقات النصّ المختلفة .

3.2.المقصديّة(intentionality):

هي أحد المقومات الأساسيّة للنصّ، باعتبار أنّ لكلّ منتج خطاب غاية يسعى إلى بلوغها،أو نيّة يريد تجسيدها، ولهذا تعتبر القصديّة من أهمّ المفاهيم الرئيسة التي تساهم في إنتاج النّصوص " فاللّغة ليست نظاما من العلامات فحسب، بل إنّما في الأساس نشاط تواصلي "[3]، وبما أنّ غاية الحدث الكلامي الأوّل هي إحداث التّواصل والتّفاعل بين أفراد المجتمع ، فالمتكلّم لا يمكن له أن يتكلّم مع غيره إلاّ إذا كان لكلامه قصد وغاية .

1. محمّد خطابي: المرجع السابق، ص 67.
2. بن يحيى طاهر ناعوس، المرجع السابق ص 212 .
3. زتسيسلاف وأور زنياك:مدخل إلى علم النصّ، مشكلات بناء النصّ، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2003م، ص 125 .

أمّا دي بوجراند فيرى أنّ القصد وبمساهمته في تماسك النصّ "يتضمّن موقف منشئ النصّ من كونه صورة ما من صور اللّغة قصد بها أن تكون نصّا يتمتّع بالسّبك والالتحام، وأنّ مثل هذا النصّ وسيلة من وسائل متابعة خطة معيّنة للوصول إلى غاية بعينها"[1] .

وعلى هذا الأساس فإنّ القصد يحمل في ثناياه تأثيرا في بنية النصّ وأسلوبه، فالكاتب عندما يختار لنصّه شكلا معيّنا، ويستخدم وسائل لغويّة محدّدة فهو يسعى من وراء ذلك إلى تحقيق قصده وغايته وكلّ هذا يدلّ على أنّ الكاتب يسير وفق خطة معيّنة رسمها مسبقا تجسّد قصده،وتساعده كي يظهر تماسك نصّه وترابطه.

4.2.المقبولية (acceptability):

إنّ الكاتب/ المؤلّف عندما ينتج نصّا ما فهو يقصد من ورائه قارئا /متلقّيا محدّدا،وبهذا تلازم المقبوليّة الفعل القصدي، فبما أنّ للكاتب قصدا من وراء إنتاجه للنصّ، فمن حقّ القارئ أو المتلقّي أن يكون له موقفا جرّاء هذا الحدث، ولهذا تتحقّق المقبوليّة من حيث استجابة القارئ للنصّ وقبوله له.و"يتضمن موقف مستقل النصّ إزاء كون صورة ما من صور اللّغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نصّ ذو سبك والتحام" [2].

وفي هذا الصّدد يحاول بعض الباحثين إيجاز بعض العوامل المؤثّرة في المتلقّي، والتي تدفع به إلى تقبليّة النصّ وهي على النحو الآتي :

- معرفة المتلقّي بنوع النصّ، ومعرفة من هو المنتج ؟
- معرفة المتلقّي لقصد المنتج؛ أي دلالة النصّ العامّة التي سمّاها فان ديك بـ "البنية الكبرى" .
- تعتمد نسبة قبول النصّ على مدى أهمية النصّ بالنسبة إلى متلقّيه .
- تعتمد نسبة قبول النصّ على الخلفيات الفكريّة والإيديولوجية التي يتمتّع بها مستقبل النصّ.

1. دي بوجراند : النصّ والخطاب والإجراء، المرجع السابق، ص 103 .
2. المرجع نفسه، ص 104 .

– تعتمد نسبة قبول النصّ على الخصائص النفسيّة التي يتمتّع بها المتلقّي؛ ذلك أنّ الحالة النفسيّة تؤثّر في الحالة الذهنيّة[1] .

وبالتالي فالقارئ يمنح النصّ صفة الاستمرارية والديمومة من خلال تفاعله الدائم معه، وقراءاته المختلفة والمتجدّدة لخلق سياق عامّ يفسّر من خلاله المعلومات وبهذا يساهم في خلق نصّية النصّ وهنا تتجسّد القصدية والمقبولية بصفتهما ظاهرتين تساهمان في تماسك النصّ كونهما حدث تواصليّ لتكتمل الثلاثية (المؤلّف، النصّ، القارئ) .

5.2.السّياق:

يعتبر السّياق (context)من أهمّ عناصر النصيّة و ذلك بما يحويه من مساهمته كعنصر فعّال في إنشاء النّصوص ،"فدراسة النصّ لن تكون كافية بالوقوف عند بنيته النّحوية، أو الدّلالية الدّاخلية بل لابدّ من دراسته على مستوى الخطاب، وهذا بالاهتمام ببنية السّياق والعلاقات بينها وبين النصّ"[2]، فجلّ علماء النصّ يؤكّدون على ضرورة أن نأخذ بعين الاعتبار البعد التّداولي للنصّ؛ من منطلق أنّ لكلّ نصّ رسالة معيّنة يريد إيصالها للمتلقّي، ويتمّ ذلك في ظروف معيّنة، كما يرون أيضا أنّ أحد معايير الحكم على النصّ بالقبول هي مدى ملاءمته للسّياق الذي يرد فيه[3].

ومصطلح السّياق في الدّراسات اللّغوية المعاصرة يمثّل نظرية دلاليّة من أكثر نظريات علم الدّلالة (semantics) تماسكا وأضبطها منهجا [4]. ومن ثمّ فهو يشغل حيّزا واسعا في الدّراسات اللسانيّة خاصّة ذات المنحى الوظيفي، ويستأثر باهتمام الباحثين نظرا لما له من أهمية في رصد المعنى المراد من التركيب، ولا يتوقّف ذلك على العناصر اللّغوية فحسب؛ بل يعتمد أيضا على مجموع الظروف التي تحيط بالكلام من قبيل شخصية المتكلّم والمخاطب، وطبيعة الموضوع... وهلمّ جرا .

1. ينظر: حسام أحمد فرج، نظرية علم النصّ رؤية منهجية في بناء النصّ النثري، ص 55 و 56.
2. محمّد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النصّ، ص 99.
3. دي بوجراند: النصّ و الخطاب و الإجراء، المرجع السابق، ص 91.
4. ينظر: محمّد يوسف حبلص، البحث الدّلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، ط1، 1411هـ، 1991م، ص 28.

وعلى هذا الأساس فإنّ محلّل النصّ أو الخطاب يجب عليه دائما مراعاة الظروف السّياقية التي أنشأت هذا النصّ وهنا فضّل فان دايك على أن يتّسع مجال التحليل ليشمل الأبعاد التّداولية ويعلّق مُحَمَّد خطابي على هذا الاقتراح قائلا: "إنّ إضافة هذا المستوى سيمكّن من إعادة بناء جزء المقتضيات التي تجعل الأقوال مقبولة تداوليا، وبتعبير آخر مناسبتها بالنظر إلى السّياق التواصلي الذي تنجز فيه وهذا افتراض أوّل يتعلّق بتوسيع مجال الوصف بإضافة مستوى ثالث وهو المستوى الدّلالي"[1]، وهذا أصبح محلّل النصّ ملزما بأن يهتم بأبعاد سياقية للنصّ، خاصّة وأنّ بعض الأشكال اللّغوية لا يمكن فهمها إلا بالعودة لسياق تلفظها.

ولما أصبح التحليل النصّي لا يكتفي بتحليل البنية الداخليّة (النحويّة والدّلالية) ليتجاوزها إلى علاقات أخرى، صار السّياق يحتلّ مكانة كأحد مقوّمات النصيّة "فهو المرجع الذي يحال إليه المتلقّي كي يتمكّن من إدراك القول ويكون لفظيا أو قابلا للشرح اللفظي" [2]، و عليه فإنّ نصيّة النصّ لا تكتمل و لا تستقيم إلا إذا راعى صاحب السّياق في إنجازه الظروف المحيطة التي يظهر فيها النصّ.

وعلى الرغم من اختلاف الاتجاهات النظريّة لأصحابها، فإنّها تتّفق في أنّ السياق يفسّر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللّغة في وظيفتها التّواصلية والإبلاغيّة لدى كلّ من منتج الكلام والمتلقّي[3] وأنّه ركن أساس في فهم الرسالة اللغويّة، ويأتي السّياق في نوعين:

أ- السّياق اللّغوي (السّياق الداخلي): وهو"المعنى الذي يفهم من الكلمة بين الكلمات السّابقة واللاحقة لها في العبارة أو الجملة، ويتمثّل ذلك في العلاقات الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والدلاليّة بين هذه الكلمات على مستوى التركيب" [4]. وهذا السّياق يتضمّن الصوت في تعلّقه بالنظم اللفظي في إطار الأصوات الأخرى على مستوى الكلمة أو الجملة، ومن الظواهر الصوتيّة التي تخضع

1. محمّد خطابي: لسانيات النصّ، المرجع السابق، ص29.
2. عبد الله الغذامي: الخطيئة و التفكير، من البنيويّة إلى التشريحيّة نظريّة و تطبيق، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط 6 ، 2006م، ص 11.
3. خلود العموش: الخطاب القرآني، المرجع السابق، ص26.
4. جمعان بن عبد الكريم: إشكالات النصّ، المرجع السابق، ص401.

للسّياق اللّغوي: النبر والتنغيم والوقف [1]. فالسّياق إذن هو النّسيج اللّغوي الذي يحيط باللفظة عند ورودها في العبارات والتراكيب، أو هو الموقع الذي ترد فيه اللفظة في الجملة فتكتسب دلالات مختلفة في السّياق.

ب- السّياق غير اللّغوي (السّياق الخارجي): وهو "جملة العناصر المكوّنة للموقف الكلامي (أو الحالة الكلامية)" [2]، كما أنّه يزيل اللبس عن الجمل والنّصوص. والسّياق بهذا المفهوم يتجاوز ما هو معروف من حيث إنه تتابع للأصوات والألفاظ ليشمل جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي من المتكلّم والسامع وثقافتهما وشخصيات من يشهدون الكلام إن وُجدوا و بيان دورهم في الحدث الكلامي، ومنها أيضا العوامل الطبيعيّة والظواهر الاجتماعيّة التي لها تأثير على السلوك اللّغوي للمشاركين في الموقف الكلامي [3].

وعليه فإنّ السّياق بشقّيه يعدّ من أهمّ القرائن المساعدة على كشف المعنى، فهو يرشد إلى تحديد الدّلالة المقصودة من الكلمة في الجملة، وهو ما يستوجب مقالا مناسبا له تعكسه المقولة الشّهيرة "لكلّ مقام مقال" وتبرز أهميته على مستوى الكلمات المفردة في الوقوف على مختلف الدّلالات المصاحبة للسّياق.

وهكذا أصبحت العلاقة بين النصّ و السّياق جد وثيقة من حيث نصية النصّ عند بعض الباحثين و من حيث الإسهام في بنائه و القدرة على تحليله تحليلا مكتملا عند آخرين [4]، و بالتالي أصبح الباحثون ينظرون إلى المقامية كأحد المقوّمات الفاعلة في اتّساق النصّ، ولكن هذا يرتكز فقط على وصف بنية النصّ النحويّة أو الدلاليّة الداخليّة، وإنّما لابدّ من دراسته على مستوى الخطاب وهذا ما يعني الاهتمام ببنية السّياق والعلاقات بينها وبين النصّ.

1.ينظر: عبد النعيم عبد السلام خليل، نظرية السّياق بين القدماء و المحدثين، رسالة دكتوراه مقدّمة لكلية الآداب، قسم اللّغة العربيّة و اللغات الشرقية، جامعة الإسكندرية، إشراف د.حلمي خليل، 1991م، ص23.

2.محمود السعران: علم اللّغة (مقدّمة للقارئ العربي)، دار الفكر، دط، 1992م، ص 311.

3. ينظر : خلود العموش، الخطاب القرآني، المرجع السابق، ص 26.

4. جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النصّ، المرجع السابق، ص 406.

6.2.الإعلاميّة (الإخباريّة):

تمثّل الإعلاميّة (informativity) أحد معايير النصيّة وهي أنّ كلّ نصّ يحوي قدرا من المعلومات وتختلف درجة الإعلاميّة من نصّ إلى آخر، ويتجلّى موضوعها في "مدى التّوقع الذي تحضى به وقائع النصّ المعروض في مقابل عدم التوقّع، أو المعلوم في مقابل المجهول" [1]، علما أنّ كسر التّوقع يؤدّي إلى إعلامية النصّ "فكلّما كان هناك ابتعاد عن التّوقع و تجنّب المعتاد والمألوف زادت الكفاءة الإعلاميّة" [2]، وفي هذا تطابق مع ما جاءت به نظرية التلقّي في كسر أفق التّوقع، فالأسلوب البسيط المعتاد يساعد القارئ على المعالجة السهلة والسريعة، في حين يؤدّي الخروج عن المألوف إلى جعل المعالجة تحدّيا مثيرا يجعل القارئ دائما يعيش حالة انتظار (أفق التوقّع).

7.2.التّناص:

يذهب العديد من علماء النصّ أنّ التّناص (intertextuality) يمثّل محور العلاقة بين النصوص؛ حيث يساهم في تفسير النصوص بناء على ما تشتغل عليه ظاهرة النصيّة، و في هذا المجال يقول مُحَمَّد عبد المطلب: "ففي فضاء النصّ تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى ممّا يجعل بعضها يقوم بتحييد البعض الآخر ونقضه" [3]، فهو يشير في شرحه أنّ التّناص عملية استبدال بين النصوص على المستويين اللفظي والمعنوي معا، بحيث يستفيد نصّ من نصوص سبقته.

أما إذا رجعنا إلى تعريف التّناص على وجه الدقّة والتّحديد فإنّنا نجد اختلافات جوهريّة على مستوى بناء التعريف وحتى على مستوى الجهاز المفاهيمي والقاعدة المعرفيّة التي ينطلق منها كلّ من تصدّى لهذا التعريف. فنجد دي بوجراند يرى بأنّه "يتضمّن العلاقات بين نصّ ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة، سواء بوساطة أم بغير وساطة" [4]. أمّا بالنسبة لجوليا كريستيفا، فالتّناص ترحال للنصوص وتداخل نصّي، في فضاء نصّ معيّن تتقاطع ملفوظات عديدة

1. عزّة شبل محمّد: علم لغة النصّ، المرجع السابق، ص 68.
2. ينظر: المرجع نفسه، ص 68.
3. محمّد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، ط1، 1995م، ص152.
4. دي بوجراند: النصّ و الخطاب و الإجراء، ص 10.

مقتطفة من نصوص أخرى [1]، والمقصود بذلك تداخل وتقاطع النصوص في أشكالها و مضامينها فلا يوجد نصّ يخلو من حضور أجزاء أو مقاطع من نصوص أخرى.

وعليه فإنّ الباحث بشير إبرير يحاول التّوفيق بين كلّ هذه التعاريف الاصطلاحية إلى قوله: "وإنّما المقصود بالتّناص أنّ النّصوص السّابقة تشكّل خبرة لتكوين نصوص لاحقة و الكشف عنها وتؤسّس النّصوص اللاحقة- هي بدورها- لنصوص أخرى تأتي بعدها" [2]. هذا يعني أنّه لا يوجد نصّ بريء إن صحّ القول أو كما يعبّر عنه رولان بارت بأنّه لا يوجد نصّ أوّل، فلكي يخرج الكاتب نصّه يجب أن تكون لديه مجموعة أفكار تتخزّن في الوعي الفعلي لديه ثمّ تخرج هذه الأفكار للوعي لتشكّل نصّا ليكون هو بدوره مرجعية وأفكارا لكاتب آخر.

وقد قام الباحثون بتقسيم التناص إلى نوعين:

-تناص يحدث من غير قصد من الكاتب وهو الذي تتسرّب فيه إلى النصّ الأصلي ملامح أو مقتطفات من نصوص أخرى.

-تناص صادر عن الوعي والقصد، وهو الذي يعمد فيه الكاتب إلى الإشارة للنصّ المستعار إشارة واضحة. وقد يكون لذلك غايات عديدة، كالاستشهاد أو المناقشة...[3].

ومن هنا يمكن القول بأنّ التّناص يأخذ أبعادا مختلفة، منها ما يمكن رصده بسهولة و منها ما يقتضي كثير من التفكير وإمعان النظر لكشف مختلف مظاهره في النصّ. فهو ظاهرة نصيّة عامّة لا يخلو منها أيّ جنس أدبي قديم أم حديث، وفي هذا الصّدد نختم بقول محمّد مفتاح إذ يقول: "إنّ التّناص لا مناص منه لأنّه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانيّة والمكانيّة ومستوياتهما، ومن تاريخه الشخصي أي من ذاكرته، فأساس إنتاج أيّ نصّ هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النصّ من قبل المتلقّي أيضا" [4]. وهنا تأتي أهمية التّناص من أنّه يمثّل عملية إثراء وإغناء للنصوص

1. محمّد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النصّ، ص 161.
2. ينظر: عزّة شبل محمّد، علم لغة النصّ، المرجع السابق، ص79.
3. ينظر: عبد المطلب، قضايا الحداثة، المرجع السابق، ص 145.
4. محمّد مفتاح: استراتيجية التّناص، المرجع السابق، ص 121.

بعضها بعضا بقيم دلاليّة وشكليّة متعدّدة ومتنوّعة، ولما كان أحد أهداف علم لسانيات النصّ تحديد مقوّمات الخطاب، فلا يمكن بأيّة حال من الأحوال التغافل عن هذه الظاهرة النصيّة الهامّة سواء في الدّراسات النقديّة أو في التّعامل المدرسي مع النصوص.

بعد هذا التتّبع المنهجي الذي طرحنا من خلاله جوانب البحث اللّساني ضمن محور تعريف النصيّة ومعاييرها تأكّد لنا أنّ النص ليس تركيبا لغويا عشوائيا، وإنّما هو بناء حصيف يخضع لآليات ومعايير نصيّة عديدة تضمن له الربط بين أجزائه ليصبح كلّا موحّدا، منها ما يتّصل بالنصّ وذاته ويشمل معياري الاتّساق والانسجام، ومنها ما يتّصل بمنتجه ومتلقّيه ويشمل معياري المقصدية والمقبولية ومنها ما يتّصل بسياقيه وتلقّيه ويشمل السّياق والتّناص، وإنّ من شأن الإخلال بأحد هذه المعايير يجعل هذا البناء مختلا بسبب فقدانه لأحد مقومات ترابطه و انسجامه.

" أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات و الرّوابط "

الزّركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص36.

الفصل الرابع

مظاهر النصّية عند الزركشي (الجانب الإجرائي)

تمهيد:

يعدّ التّماسك النصّي مقولة جوهرية في مفاهيم لسانيات النص، فهو يحتلّ موقعا مركزيا مهمّا في الأبحاث والدّراسات التي تعنى بتحليل النصوص[1]؛ لأنّ غايته توظيف الآليات النحويّة في الربط بين أجزاء النصّ، ومن ثمّ فهم المعنى عبر رؤية متماسكة لا تقتصر في تحليلها على الجملة أو مجموعة من الجمل. وعلوم القرآن تعدّ بداية أصيلة لما أصبح يعرف بلسانيات النصّ، وذلك لاحتوائها على دراسة بعض القضايا النصيّة مثل:التّماسك والتّكرار والانسجام الاتّساق والتّناسب، وهي قضايا جوهريّة وأساسيّة في مجال لسانيات النصّ.

ومن هنا فإنّ هذه الدراسة تسعى إلى محاولة فهم آليات ووسائل التّماسك النصّي كما جاءت في علوم القرآن؛ بحيث يمكن أن يكون هذا التّماسك وجها من وجوه الإعجاز القرآني، فإنّ الاهتمام المتزايد باللسانيات النصيّة في الآونة الأخيرة يغري بتناول ما قدّمه التّراث العربي والإسلامي في هذا المجال، بحيث انتقل باللسانيات من حيّز الجملة إلى فضاء النصّ، ولم تعد الجملة كافية لكلّ مسائل الوصف اللّغوي.

وما يهمّنا في هذا التّحليل النصّي هو التماسك النصّي الذي يعنى بالعلاقات التي تربط أجزاء النصّ لتجعل منه كلّا موحّدا من حيث المفهوم والمضمون، غير أنّ الاهتمام بهذا التّرابط بالنصّي هو وليد الدّراسات الحديثة، فالملاحظ أنّ المشتغلين بعلوم القرآن والمفسّرين البلاغين للقرآن الكريم كان لهم النصيب الأوفر في مقاربة النصّ القرآني، وكذلك بتوظيف كثير من الآليات والأدوات بغية استجلاء مظاهر النصيّة في الخطاب القرآني وإعجازه.

ولاكتشاف مدى اهتمام علماء القرآن بتماسك النصّ القرآني وسياقه قمنا برحلة عبر الزمن والتي قادنا فيها البحث إلى إحدى الكتب العتيدة في علوم القرآن آلا وهو "كتاب البرهان في علوم القرآن" للزّركشي إلى فضاءات نصيّة وسياقيّة واسعة، والإمام الزركشي واحد من هؤلاء

1. محمّد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق، ص 5.

المفسّرين الذين يستخدمون مصطلحات تنتمي إلى مجال النصّية مثل: المناسبة بين الآيات وكيفية الاتّصال والنظم، وكيفية التناسب، والسياق، والاتّساق...الخ وسنحاول رصد أهمّ هذه المظاهر.

1.مفهوم النصّ عند الزركشي

إنّ المتفحّص لكتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي، يستطيع أن يشكّل صورة لمفهوم النصّ من خلال عدد من أنواع علوم القرآن المبثوثة فيه خاصّة النوع الخامس عشر لمعرفة أسمائه واشتقاقاتها (أسماء القرآن)، فنجده قد أحصى حوالي خمسين اسما للقرآن الكريم، وهي في الواقع أوصاف له، وقدّم دلالات كلّ اسم، وسبب تسميته بذلك الاسم وسنحاول من خلال النظر في هذه الأسامي استنباط مفهوم النصّ عنده.

إذا تصفّحنا كتاب البرهان نجد لفظين فيه فقط: القرآن والكتاب وهما من الأسماء وفي دلالاتهما يقول الزّركشي عن القرآن إنّه "الوحي المنزّل على محمّد صلّى الله عليه وسلّم للبيان والإعجاز"[1]، وفي سبب تسميته بالقرآن فقد اختلفوا فيه العلماء، وساق من بين الأقوال قول أبو عبيد "سمّي القرآن قرآنا لأنّه جمع السور بعضها إلى بعض" [2]، وذهب آخرون أنّه جمع أنواع العلوم كلّها بمعانٍ، لكنّ بعض المتأخرين يقولون أنّ الزركشي رفض كون معنى القرآن هو الجمع إذ " لا يكون القرآن و (قرأ) مادّته بمعنى جمع لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (سورة القيامة، الآية 17)، فغاير بينهما، وإنّما مادّته (قرأ) بمعنى أظهر و بيّن، و القارئ يظهر القرآن ويخرجه، والقرء الدم لظهوره وخروجه والقرء الوقت، فإنّ التوقيت لا يكون إلا بما يظهر "[3].

أمّا عن سبب تسميته كتابا فلأنّه "يجمع أنواعا من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة، كما سميت الكتابة لجمعها الحروف، كما علّل الزركشي سرّ تسمية القرآن بالكلام لأنّه يؤثّر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده" [4]، وسمّى تنزيلا لأنّه " منزّل من عند الله على لسان

1. الزّركشي: البرهان، المصدر السابق، ج1، ص 318.
2. المصدر نفسه، ص 216.
3. المصدر نفسه، ص 213.
4. الزركشي، البرهان، المصدر السابق، ص 212 و 214.

جبريل لأنّ الله تعالى أسمع جبريل كلامه، وفهمه إيّاه كما شاء من غير وصف ولا كيفية، نزل به عل نبيّه، فأدّاه هو كما فهمه وعلمه" [1].

وقد سمّى الكلام الإلهي قرآنا لقرانه بين السور والآيات والحروف فيه، وجمعها في كتاب واحد وعلى ذلك جاءت تسميته بالكتاب لجمعه أنواعا من الآيات و الأحكام، و حتى الكتابة بهذا الجمع تحفظ الكلام المكتوب وتجعله ظاهرا جليّا راسخا ومن هنا جاء وصف القرآن بالمجيد والمجيد الشريف؛ لأنّه "من شرفه أنّه حفظ عن التغيير و التبديل و الزيادة و النقصان، و جعله معجزا في نفسه على أن يؤتى بمثله" [2].

ومن هنا فإنّ الزركشي جعل سبب تسميته قرآنا بمعنى الإظهار والإبانة، وأنّ القارئ للقرآن الكريم يظهره وهو يدلّ معنى الكلام الإلهي؛ لأنّ الغاية منه هي الإبلاغ وأداء الرّسالة والتبيين لعموم المخاطبين به، وإظهاره للعالمين تلاوة، مع العلم أنّ التلاوة والقراءة علم قائم بذاته فيه.

ويمكن القول أنّ تسمية الخطاب الإلهي بالقرآن والكتاب جاءت أدلّ على المراد منه؛ لأنّ تسميته كتابا أعمّ من تسمية النصّ، فالكتاب يشمل من النصوص المكتوبة، في حين أنّ النصّ قد يكون متوالية من الجمل، وتسميته قرآنا تلتقي مع مفهوم الخطاب من حيث إنّه كلام، ومن حيث طبيعته الشفاهية أثناء القراءة و التلاوة.

2.أدوات الاتّساق في كتاب البرهان في علوم القرآن:

يرتكز الاتّساق من خلال دراستنا لمدونة البرهان في علوم القرآن للزركشي على عدّة وسائل ومظاهر لغويّة محدّدة تنسج البنى الخارجية بكلّ علاقاتها و وظائفها، نذكر من بين هذه الأدوات:

1.2.الإحالة:

إنّ القرآن الكريم خطاب متعدّد الجوانب، ونصّ متماسك ومتجانس يتضمّن أدوات إحاليّة تقوم بوظيفة الإحالة الداخليّة ومنها آليات الإحالة الخارجيّة، فأسماء الإشارة وظروف الزمان والمكان

1. المصدر نفسه، ص 216.
2. المصدر نفسه، ص 216.

والضمائر وأسماء الموصول وأزمنة الفعل، وكلّ الأدلّة التعيينيّة والوصفية والإشارية تعمل على ربط الخطاب القرآني بالواقع الزماني المكاني الذي أحاط بنزوله باعتباره خطابا [1].

فالضمائر من بين الوسائل التي تحقّق التّماسك الدّاخلي والخارجي للنصّ، وعندما نتصفّح كتاب البرهان في علوم القرآن نجد الزركشي قد تحدّث في الجزء الرابع عن الضمائر؛ حيث ذكر تحت عنوان قاعدة في الضمائر ضمن مبحث للعدول إلى الضمائر أسباب فقال:

– أنّ ضمير الغيبة يعود على شيء سبق ذكره في اللفظ بالمطابقة [2]، والشاهد نحو قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ (سورة طه الآية 121)، فنلاحظ أنّ هذه الإحالة المقامية تحقّقت في ضمير الغيبة (هو) وتعود على سيدنا (آدم)؛ حيث أنّ آدم خالف أمر ربّه بالأكل من الشجرة فضلّ عن المطلوب الذي هو الخلود في الجنة و اغتر بقول العدوّ.

– أو يعود على مذكور في سياق الكلام مؤخّر في اللفظ مقدّم في النيّة [3]، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾(سورة طه، الآية 67)، فذكر ضمير الغيبة (هو) يعود على سيدنا موسى وما يربط الضمير (ه) بما يحيل عليه يعود كذلك على موسى، وتفسير ذلك أنّ موسى عليه السلام أحسّ بالخوف في نفسه بمقتضى الطبيعة البشريّة، لأنّه رأى شيئا هائلا [4].

– أن يدلّ اللفظ على صاحب الضمير بالتضمّن وذلك في قوله تعالى:﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾(سورة المائدة، الآية 08)، فالإحالة تحقّقت بضمير الغائب (هو)ويحيل إلى ما سبق (العدل) الذي يفهم من الفعل (اعدلوا)، وكذلك ضمير المخاطب (أنتم) الذي يحيل إليه في الفعل (اعدلوا) وهو خطاب موجّه للمؤمنين.

1. ينظر: بن يحي طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النصّ، ص 258.
2. الزّركشي: البرهان، المصدر السابق، ج4، ص20.
3. الزّركشي، المصدر نفسه، ص21.
4. محمّد علي الصابوني، صفوة التّفاسير، المصدر السابق، ص 219.

– أن يدلّ عليه بالالتزام [1]، في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (سورة ص، الآية 32)، فعندما نتأمّل هذه الآية القرآنيّة نجد فيها مجموعة من الإحالات المتنوّعة أكثرها الضمائر البارزة أو المستترة،كما في (فقال) فضمير الغيبة (هو) يعود على النّبي سليمان.ثمّ ضمير الملكيّة (أنا) في لفظ (أحببت) إشارة كذلك إلى النبي سليمان، و أخيرا ضمير الغيبة في لفظ (توارت) و يعود إلى الشّمس حين غابت و اختفت عن الأنظار [2]. وهذه الإحالات المتنوّعة جعلت الآية الكريمة على قدر كبير من التّرابط النصّي.

– وقد يعود الضمير على بعض ما تقدّم كقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾(سورة البقرة، الآية 228). فلو نظرنا إلى الآية لوجدنا الضمير (هنّ) بما يحيل عليه يتطابق تطابقا كليّا مع الاسم المعرّف (المطلّقات)، فالضمير مؤنّث جمع، والعنصر المعرّف مؤنث جمع، وعلى هذا الأساس يقوم الاختلاف بين عناصر المركّب الاسمي بدور هامّ في توجيه العلاقة [3] دون أن نكون بحاجة إلى الاستعانة بمعطيات السّياق [4]،والضمير (هنّ) ورد في الألفاظ الآتية (يتربّصن، أنفسهنّ، يكتمن، أرحامهنّ، بعولتهنّ، بردهنّ) فالضمير يحيل على المطلّقات مع أنّ الغرض من الرجعة الإصلاح لا الإضرار وهذا خاصّ بالطلاق الرجعي [5]. وهذه الإحالة المتنوّعة ساهمت في ترابط و التحام أجزاء الآية القرآنية.

– ألا يعود الضمير على مذكور، ولا معلوم بالسّياق أو غيره، وهو الضمير المجهول الذي يلزمه التّفسير بجملة أو مفرد، فالمفرد في نعم، و بئس، والجملة ضمير الشأن، والقصّة[6]،نحو: هو محمّد رسول، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾(سورة الإخلاص، الآية 01)، ومن هنا فإنّ الضمير (هو)

1. الزّركشي، المصدر السابق، ج1، ص 21.
2. محمّد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج 3، ص 53.
3. ينظر: مفتاح بن عروس، الاتّساق و الانسجام في القرآن، مكتبة كلية الآداب و اللّغات، جامعة الجزائر، دط، ص 281.
4. بن يحي طاهر ناعوس، المرجع السابق، ص 260.
5. الزّركشي، المصدر نفسه، ص 23.
6. الزّركشي: البرهان، المصدر السابق، ص24.

يحيل إلى لفظ الجلالة (الله)، و الضمير المستتر (أنت) في لفظ (قل) إشارة إلى سيدنا محمّد عليه الصلاة والسلام، والمقصود: قل يا محمّد لهؤلاء المشركين المستهزئين إنّ ربّي الذي أعبده والذي أدعوكم لعبادته هو واحد أحد لا شريك له [1]. ومن هنا فمجيء هذه الإحالات متنوّعة جعلت الآية مرتبطة ارتباطا محكما ممّا يجعلها تمثّل كلا متكاملا.

– وقد يكون الضمير مؤنّثا إذا كان عائده مؤنّثا [2]، والشّاهد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾(سورة الأنعام، الآية 29)، فذكر ضمير الغيبة (هي) يحيل إلى اللفظ المؤنث (الدنيا)،كما يوجد إحالات أخرى في الآية كالضمير المستتر (هم) الذي يحيل في الفعل (قالوا) إلى أولئك الكفّار الفجّار، وضمير المتكلّم (نحن) إشارة إلى هؤلاء الكفرة لا بعث ولا نشور يوم الحساب [3]، وذكر هذه الإحالات جعلت الآية على قدر كبير من الاتّساق النصّي بين أجزاء الآية.

هذه بعض النماذج التي كانت تبيّن الإحالة بالضمير على مستوى الآية الواحدة وهذا اتّساق محلّي يربط بين جميع أجزاء الآية ونوضّح ذلك في الجدول الآتي:

1. مُحَمَّد علي الصابوني، المصدر السابق، مج3، ص 594.
2. الزركشي، المصدر نفسه، ص 24.
3. محمّد علي الصابوني، المصدر نفسه، ص 357.

الجدول رقم (04): الضمائر الإحاليّة في النصّ القرآني.

الشّاهد	الضّمير	نوع الضّمير	المحال عليه
الآية 121 من سورة طه	هو	ضمير الغيبة (الغائب)	آدم عليه السلام
الآية 67 من سورة طه	هو	ضمير الغيبة	موسى عليه السلام
الآية 8 من سورة المائدة	هو	ضمير الغيبة	العدل
	أنتم	ضمير المخاطب	المؤمنون (اعدلوا)
الآية 32 من سورة ص	هو	ضمير الغيبة	النّبي سليمان
	أنا	ضمير الملكيّة (المتكلّم)	النّبي سليمان
	هي	ضمير الغيبة	الشّمس
الآية 228 من سورة البقرة	هنّ	ضمير الغيبة	المطلّقات
الآية 1من سورة الإخلاص	هو	ضمير الغيبة	الله تعالى
	أنت	ضمير المخاطب	محمّد صلّى الله عليه وسلّم
الآية 29 من سورة الأنعام	هم	ضمير الغيبة	الكفّار الفجّار
	نحن	ضمير المتكلّم	الكفّار الفجّار

ومن هنا فإنّ هذه الضمائر الإحاليّة لها دورا مهمّا في ربط عناصر أجزاء الآية الواحدة أو بين آيات وسور متعدّدة وفي كثير من السياقات القرآنيّة لتشكّل بنية متّسقة الأجزاء ويصبح النصّ القرآني كلا موحّدا كالكلمة الواحدة، كما وضحّ ذلك الإمام الزّركشي، ولهذا يعدّ الضمير من أهمّ العناصر التي تربط أجزاء النصّ بعضها ببعض؛ إذ يقوم بتعويض أكثر من عنصر أو عدد من الجمل ممّا يفيد في الإيجاز و الاختصار.

2.2.الوصل (العطف):

لقد احتلّ موضوع الوصل مكانة رفيعة عند الكثير من البلاغيين لما له من فوائد جمّة، وكان له شأن عند الضالعين من أهل اللغة، ولكونه دقيق المسلك، لطيف المأخذ، جعله بعضهم حدّا للبلاغة وقصرها عليه، حينما سئل: ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل والوصل[1]، وتظهر أهميّة الوصل في

1. ينظر: فضل عبّاس، البلاغة فنونها و أفنانها، علم البيان، دار الفرقان، عمّان، ط2، 1996م، ص392.

الوقوف على المعاني وترابطها وائتلافها وبالتالي تعيين حقيقة المراد والتّأويل الصحيح الذي يتطلّب الدّراية العميقة لهذا العلم.

وقد قسّمه الإمام الزركشي في مدونته ضمن مبحث قواعد تتعلّق بالعطف إلى عطف مفرد وعطف جمل، وردّ الفائدة في عطف المفرد إلى "تحصيل مشاركة الثاني للأوّل في الإعراب، ليعلم أنّه مثل الأوّل في فاعليته، أو مفعوليته، ليتّصل الكلام بعضه ببعض، أو حكم خاص دون غيره [1].

والشّاهد في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾(سورة المائدة، الآية6)، فحرف العطف (الواو) قام بوظيفة الرّبط بين مسح الرؤوس وغسل الأرجل، فمن قرأ بالنصب عطفا على الوجوه كانت الأرجل مغسولة، ومن قرأ بالجر عطفا على الرؤوس كانت ممسوحة، لكن خولف ذلك لعارض يرجح، وهنا لابدّ من ملاحظة المشاكلة بين المتعاطفين [2]، لدفع الظنّ لمن يحسبها ممسوحة لأنّ المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وفي الحديث "وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ". وهذا الحديث يردّ على الإماميّة الذين يقولون بأنّ الرجلين فرضهما المسح لا الغسل، والآية هنا جاءت صريحة بالنصب (وَ أَرْجُلَكُمْ) فهي معطوفة على المغسول (وُجُوهَكُمْ) و جيء بالمسح بين المغسولات لإفادة التّرتيب [3]. فأداة العطف أسهمت وبشكل كبير في جعل النصّ القرآني متّسقا ممّا ساعد على إيصال معنى الوضوء للقارئ بوضوح تامّ، و التّرسيمة التّالية توضّح ذلك:

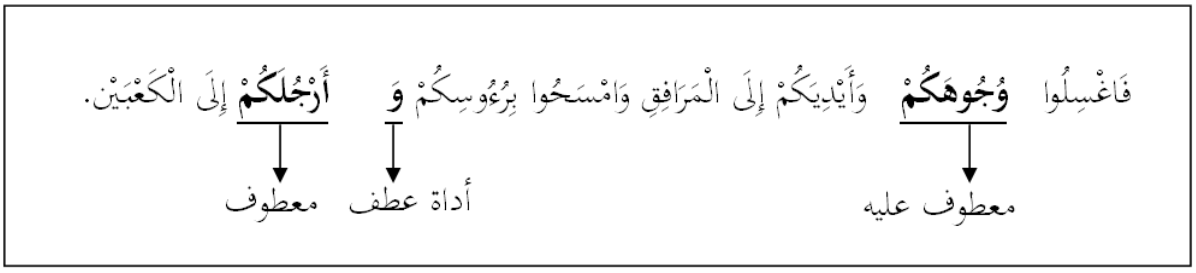

الشّكل رقم (17) : وظيفة الرّبط بأداة العطف.

فأداة العطف (الواو) قامت بربط المعطوف عليه (وُجُوهَكُمْ) بالمعطوف (أَرْجُلَكُمْ).

1. الزّركشي: البرهان، المصدر السابق، ج4، ص75.
2. المصدر نفسه، ص76.
3. محمّد علي الصابوني: المصدر السابق، مج 1، ص 303.

وفي عطف الجمل يقول الزّركشي: إنّ الجمل في العطف نوعان:

أ- **جمل لها محل من الإعراب:** كأن تكون فاعلا أو مفعولا أو نعتا... وهي تحلّ محلّ المفرد "[1]، وبذلك كان عطف الثّاني عليها جاريا مجرى المفرد فاحتاجت إلى الواو، وأشركت الجملة الأولى في الحكم الإعرابي و عامل الرّبط هنا نحويّ. و مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(سورة البقرة، الآية 43)، فأداة العطف (الواو) أدّت وظيفة اتّساقية في ربط أجزاء الآية ربطا محكما، فجاءت الجملة الثانية (آتوا الزكاة) معطوفة على الجملة الأولى و(أقيموا الصلاة)؛ حيث يبيّن الرّازي بأنّ الله "لما أمر عباده بالإيمان أوّلا ثمّ نهاهم عن لبس الحقّ بالباطل وكتمان دلائل النبوّة ثانيا، ذكر بعد ذلك بيان ما لزمهم من الشرائع وذكر من جملة الشرائع ما كان كالمقدم والأصل فيها وهو الصلاة التي هي من أعظم العبادات البدنيّة والزكاة التي هي أعظم العبادات الماليّة "[2]. فجاء الرّبط بين الصّلاة والزكاة بأداة العطف (الواو) لتحدث تشاكلا نحويّا.

ب- **جمل ليس لها محل من الإعراب:** وهو موضع إشكال لأنّه لا يوجد اشتراك في الحكم، ولا يعلم الدّاعي إلى العطف أو عدمه، وهنا يوضّح الزركشي في هذا المبحث إذ يقول: "ففائدة العطف الاشتراك في مقتضى الحرف العاطف، فإذا كان العطف بغير الواو ظهر له فائدة من التعقيب كـ (الفاء)، أو التّرتيب كـ (ثمّ) أو نفي الحكم عن الباقي كـ (لا)" [3]، فالعطف هنا لكون المعطوفين كالنظيرين والشريكين، وتكون الجملة الثّانية مؤكّدة للأولى أو مبيّنة لها أو واصفة لها.

والشاهد في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾(سورة الحديد، الآية 4)، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(سورة البقرة، الآية 245)، فهذه الألفاظ (يلج ويخرج وينزل ويعرج ويقبض ويبسط) كلّها نظائر جاءت معطوفة وحقّقت الاتّساق النصّي داخل أجزاء الآية بواسطة حرف العطف (الواو).

1. الزّركشي: المصدر السّابق، ص 76.
2. فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير مفاتيح الغيب، المصدر السابق، ص 69.
3. الزّركشي: المصدر نفسه، ص 76.

وبعد هذا الاستهلال النّحوي يستنبط الزّركشي قانونا يطرد في أغلب آيات القرآن ويشكّل أساسا في تعليل تجاور الآيات، وهو أنّ ذكر الأحكام في القرآن يأتي بعد وعد ووعيد ليكون ذلك باعثا على العمل بما سبق، ثمّ يذكر آيات التّوحيد والتّنزيه ليُعلِمَ عظم الآمر والنّاهي وتأمّل سورة البقرة والنساء والمائدة وغيرها تجده كذلك [1].

ثمّ ينتقل الزّركشي إلى أنّ مثل هذه الجمل تكون على ثلاثة أحوال منها:

الحالة أولى: أن يكون ما قبلها بمنزلة الصفة من الموصوف، والتّأكيد من المؤكّد، فلا يدخلها عطف لشدة الامتزاج [2]. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(سورة يوسف الآية 31). فالجملة الثانية (ملك كريم) معطوفة على الجملة الأولى: (ما هذا بشرا) دون استعمال أداة الربط والمعنى، فإنّ كون يوسف ملكا ينفي كونه بشرا؛ أي ليس هذا من البشر، ما هو إلا ملك من الملائكة، فإنّ هذا الجمال الفائق، و الحسن الرائع ممّا لا يكاد يوجد في البشر [3]. فالجملة الثّانية جاءت مؤكّدة للأولى وشديدة التّعالق فيما بينهما.فهي ملتحمة معنويا ومستغنية عن الرابط ويوصف هذا الارتباط بكمال الاتّصال، والتّأكيد هنا وسيلة من وسائل المعنويات في غياب الرّوابط الشكليّة.

أمّا الحالة الثّانية: فهو "أن يغاير ما قبلها، و ليس بينهما نوع ارتباط بوجه، فلا عطف أيضا إذ شرط العطف المشاكلة وهو مفقود" [4]، كقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾(سورة البقرة، الآية 6)، جاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(سورة البقرة، الآية 5)، فنجد الآية الثّانية غير متعلّقة بالأولى بأي حال من الأحوال، فالحال بينهما هو الانقطاع و الانفصال إلى الغاية، فلا وجود للوصل برابط الواو والحال وهو حال فصل لعدم وجود المشاكلة، فصيغة الآية الأولى تدلّ على الذين يجحدون بآيات الله وكذّبوا رسالة محمّد صلىّ الله عليه وسلّم، وصيغة الآية الثّانية تدلّ على

1.الزّركشي:البرهان، المصدر السابق، ج1، ص 38.
2. المصدر نفسه،ج4، ص78.
3. محمّد علي الصابوني، ص 45.
4. الزّركشي: المصدر نفسه، ص 79.

الفائزين بالدرجات العالية في جنّات النعيم، ويقول الزّركشي في هذه الحالة: إن ترك العطف يوهم المطابقة [1]، فالآية الثّانية جاءت مطابقة للآية الأولى وهنا يكمن وجه التّماسك والتّرابط النصّي بين الآيتين.

والحالة الثّالثة للجملة هي "أن يغاير ما قبلها لكن بينهما نوع ارتباط، وهذه هي التي يتوسّطها العاطف" [2]، نحو قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(سورة البقرة الآية 5)؛ فهنا الجملة الثّانية (أولئك هم المفلحون) مختلفة عن الجملة الأولى (أولئك على هدى) في طبيعتها إلا أنّها تشاركها في الحكم، ويعطف بينهما بالواو، وهذا النوع من الجمل يكون واسطة بين كمال الاتّصال وكمال الانفصال، ومبرّر العطف أنّ معنى الجمع هو أمر معنوي وحاجة السامع إلى معرفة حال الثاني بعد معرفته لحال الأوّل لكونهما كالنظيرين أو الشريكين، أو النقيضين هي تقتضي العطف، وهو أمر متعلّق بالجانب التّداولي، فجاء حكم الجملة الثانيّة للفائزين بالدرجات العاليّة في جنّات النعيم، أمّا حكم الجملة الثانيّة للمتصفين بما تقدّم من الصفات الجليلة على نور وبيان و بصيرة من الله [3]، وهذا ما أدّى إلى حدوث التّماسك بين الجملتين نصيّا بواسطة أداة الربط (الواو).

هذه بعض النماذج التي كانت محلّ شاهد الإمام الزركشي لخاصية الوصل سواء بواسطة حروف العطف أو عن طريق المعنى و التي تبيّن دورها في اتّساق أجزاء الآية أو جملة من الآيات، ممّا يجعلها تمثّل كلا متكاملا.

3.2.الحذف:

ذكر الزّركشي الحذف لغة في مدونته هو: الإسقاط، ومنه حذفت الشعر، إذا أخذت منه [4]، واصطلاحا: إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل، وقد فرّق الزركشي بين الحذف و الإضمار بأنّ الإضمار لابدّ من ملاحظة المقدّر، وبقاء أثره أمّا الحذف فهو يشعر بالطرح و قطع الشيء كليّة.

1. الزّركشي: البرهان، المصدر السابق، ص 79.
2. المصدر نفسه، ص79.
3. محمّد عي الصابوني، صفوة التفاسير، مج 01، ص 26.
4. الزّركشي: المصدر نفسه، ج3، ص76.

وفي هذا الصدّد يقول الزركشي: "إنّ من شروط الحذف أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف إمّا من لفظه أو من سياقه، وإلا لم يتمكّن من معرفته، فيصير اللفظ مخلا بالفهم" [1] وأضاف النحاة لهذه الشروط أبوابا وضّحوا فيها فوائد الحذف، وأسبابه، وأقسامه، وأمثلة متعدّدة على حذف الاسم و الفعل و الحرف في كلّ أبواب النحو العربي [2].

ويذكر الزركشي أنّ الدّلالة إمّا تكون مقاليّة أو حالية، فالمقاميّة قد تحصل من إعراب اللفظ وذلك إذا كان منصوبا و إذا لم يكن ظاهرا لم يكن بدّ من أن يكون مقدّرا [3]، نحو قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾(سورة النساء، الآية 1)، و التّقدير في الآية حذف الفعل؛ أي (احفظوا الأرحام)، وكذلك نحو: أهلا وسهلا ومرحبا أي: وجدت أهلا وسلكت سهلا وصادفت مرحبا.

أمّا الدّلالة الحالية فقد تحصل من النظر إلى المعنى والعلم، فإنّه لا يتمّ إلا بمحذوف وهذا يكون أحسن حالا من النظم الأوّل لزيادة عمومه، ومثال ذلك: فلان يحلّ و يربط أي: يحلّ الأمور ويربطها، أو قوله تعالى:﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (سورة القيامة، الآية 1)، والتقدير: لَأَنَا أُقْسِمُ[4]. والمحذوف هنا اسم (أنا).

وقد وضّح علماء النصّ الأثر البارز لظاهرة الحذف في التّماسك النصّي، وخاصّة مع ظهور نحو النصّ؛ وذلك أنّ المعنى يتحدّد من خلال النصّ لا من خلال الجملة، ويمكن لمحلّل النصّ تفسير جملة ما بجملة لاحقة لها أو سابقة عليها، من منطلق القول بكلّية النصّ؛ حيث ارتبط نحو النصّ منذ نشأته ارتباطا وثيقا بتحليل الخطاب، والنظر إلى النصّ على أنّه بنية كليّة لا على أنّه جمل فرعية، وقد تطوّر النّحو بظهوره من نحو يحلّل الجملة إلى نحو يحلّل النصّ، فيتعامل معه بوصفه جملا و سياقات وظروفا وفضاءات تتعالق فيها المعاني وتترابط بما قبلها وما بعدها، فهو الأكثر اتصالا بمجال تحليل

1. المصدر نفسه، ص 83.
2. بن يحي طاهر ناعوس، المرجع السابق، ص 279.
3. الزركشي: المصدر نفسه، ص 84.
4. المصدر نفسه، ص 84.

النصّ[1]. فهو يسعى لدراسة الوظيفة الدّلالية لبعض العناصر النحويّة وربطها بشبكة الدّلالة في النصّ[2].

ونجد الزركشي يلحّ على فائدة الحذف فذكر منها التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام "لذهاب الذهن في كلّ مذهب، وتشوّفه إلى ما هو المراد فيرجع قاصرا عن إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النّفس مكانه، ألا ترى أنّ المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد، وخلص للمذكور" [3]. وتظهر فائدته في التّرابط النصّي من حيث إنّ القارئ للنصّ يشحذ ذهنه في محاولة العثور على العنصر المحذوف بتفكيك جزئيات النصّ وتحليل عناصره السابقة في السّياق اللّغوي ليفهم ويستنبط من خلال العثور على قرائن لفظيّة و سياقيّة، لأنّه لا يلجأ إلى الحذف إلا إذا اقتضى الأمر دون الإخلال بالمعنى.

وسنذكر بعض النماذج التي اشتملت على ظاهرة الحذف في مدوّنة البرهان ومنها:

جاء في حذف الخبر قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾(سورة الرعد، الآية 35). ففي الآية الكريمة حذف الخبر (دائم) و التقدير: " أكلها دائم و ظلّها دائم"[4]، وهذا يعود إلى صفة الجنّة التي وعد بها الله عباده المتّقين بأنّ ثمرها دائم لا ينقطع و ظلّها دائم لا تنسخه الشّمس[5]. فحُذف الخبر لتجنّب التّكرار و هذا ما أسهم في التحام أجزاء الآية الكريمة.

وفي حذف المبتدأ يقول عزّ و جلّ: ﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (سورة غافر، الآية 24)، ففي الآية حذف المبتدأ (هذا) والتّقدير:"هذا ساحر كذّاب"[6]، فأوحى حذف المبتدأ إشارة إلى موسى عليه

1. ينظر: بن يحي طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني، ص 280.
2. مصطفى النحاس: نحو النصّ في ضوء التّحليل اللساني للخطاب، ذات السلاسل، الكويت، ط1، 1422هـ، 2001م، ص 04.
3. الزّركشي: المصدر السابق، ص 78.
4. المصدر نفسه: ص 103.
5. محمّد علي الصابوني: المصدر السابق، مج2، ص79.
6. الزّركشي: البرهان، ص 101.

السلام فقالوا عنه أتباع فرعون أنّه ساحر فيما أظهر من المعجزات، كذّاب فيما ادّعاه أنّه من عند الله، و صيغة كذّاب للمبالغة [1]. فهذا العنصر المحذوف ساهم في الرّبط بين أجزاء الجملة.

وقد يحذف الفعل في قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ10 فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾(سورة القمر، الآيتان 10 و11). والتقدير: "فنصرناه ففتحنا أبواب السّماء"، لأنّ ما ظهر من الكلام يدلّ على ما حذف[2]، وبحذف هذا الفعل (فنصرناه) يتمّ التّماسك بين الآيتين وفي ذلك اختصار مع إعطاء معنى التّوكيد.

وقد يكون المحذوف أكثر من جملة نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾(سورة يوسف، الآيات 45 و 46)، فالكلام محذوف في الآيتين دلّ عليه السّياق وتقديره: "فَأَرْسِلُونِ إلى يوسف لأستعبره الرؤيا"، فأرسلوه إليه لذلك دخل على يوسف وقال له: "يا يوسف أيّها الصّديق". وسمّاه صدّيقا لأنّه كان قد جرّب صدقه في تعبير الرؤيا التي رآها في السجن. والصدّيق مبالغة من الصدق [3]، لهذا فإنّ لفظ (فأرسلون) يدلّ لا محالة عن المرسل إليه، فثبت أنّ (إلى يوسف) محذوف، ثمّ إنّه لما طلب الإرسال إلى يوسف عند العجز الحاصل للمعبّرين عن تعبير رؤيا الملك دلّ ذلك على أنّ المقصود من طلب الإرسال إليه استعباره الرؤيا التي عجزوا عن تعبيرها الكهنة [4]. ويكون هذا الحذف في الجملة للاختصار والإيجاز، وقد تحذف أكثر من جملة و يدلّ عليها السياق.

والمتأمّل لمدوّنة الزركشي يلحظ بوجود ظاهرة الحذف في القرآن الكريم كثيرا، فلا تكاد تخلو منها سور القرآن، وفيما يأتي جدول يوضّح عمليّة الحذف عن النماذج التي سبق ذكرها ومدى تأثيرها على التّرابط النصّي على النحو الآتي:

1. محمّد علي الصابوني، المصدر السابق، مج3، ص 91.
2. الزّركشي: المصدر نفسه، ص 153.
3. محمّد علي الصابوني: المصدر نفسه، مج 2، ص 50.
4. الزّركشي: المصدر نفسه، ص 145.

الجدول رقم (05): أنماط الحذف في النّص القرآني.

الشّاهد	المحذوف	نمط الحذف	نوع التّماسك
الآية 1 من سورة النساء	احفظوا	حذف فعلي	بين عناصر آية واحدة
الآية 1 من سورة القيامة	أنا	حذف اسمي	بين عناصر آية واحدة
الآية 35 من سورة الرعد	دائم	حذف اسمي	بين عناصر آية واحدة
الآية 24 من سورة غافر	هذا (موسى)	حذف اسمي	بين عناصر آية واحدة
الآيتان 10 و 11 من سورة القمر	فنصرناه	حذف فعلي	تمّ التّماسك بين آيتين
الآيتان 45 و 46 من سورة يوسف	إلى يوسف	حذف شبه جملة	بين آيتين

4.2.الاتّساق المعجمي:

يعدّ وسيلة من وسائل الاتّساق النصّي ينقسم إلى التّكرار والتّضام، فالتكرار يتطلّب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف، أو عنصرا مطلقا، أو اسما عامّا، أمّا التّضام فهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوّة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك. وقد فصلنا ذلك في الجانب النظري.

أ–التّكرار:

أشار الزّركشي في معرض حديثه عن التكرار" هو مصدر كرّر إذا ردّد وأعاد، هو "تفعال" بفتح التاء... وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى، خشية تناسي الأوّل لطول العهد به" [1]، وقد ردّ الزركشي على بعض الباحثين الذين ينكرون التكرار بأنّ لا فائدة منه إذ يقول: "وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظنّا أنّه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسنها، لاسيما إذا تعلّق بعضه ببعض؛ وذلك أنّ عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدّعاء عليه كرّرته توكيدا..." [2].

1. الزّركشي: البرهان، المصدر السابق، ج3، ص 8.
2. الزركشي: المصدر السابق، ص8،9.

والتّكرار بوصفه خاصيّة أسلوبيّة مميّزة تعمل على زيادة ترابط النصّ، فلابدّ من الإشارة إلى أغراضه ومقاماته؛ بحيث يتعذّر الفصل بينهما (الغرض و المقام) و لن نكون مجانبين للصواب إذا قلنا بأنّ الغرض هو عنصر من عناصر المقام[1]. وقد أكدّ ابن جنّي هذه العلاقة التي تربط بين المقام والغرض في باب سمّاه "باب في الاحتياط" حيث يقول في هذا الصّدد: " وأعلم أنّ العرب إذا أرادت المعنى مكّنته واحتاطت له" [2]، وهناك أغراض بلاغيّة وأسلوبيّة كثيرة في القرآن الكريم يتطلّبها السياق ويدعو إليها المقام كالتّأكيد والتّقرير والتنبيه والتعظيم والتوبيخ والتعجّب وما إلى ذلك، وسنكتفي بذكر نماذج منها وردت في مدوّنة الزّركشي.

والجدير بالذكر أنّ للتكرار فوائد جليلة تأتي مع كونه علاقة نصيّة تربط بين وحدات النصّ وأجزائه، وقد أدرك الزركشي موضّحا أنّ فائدة التّكرار التقرير، وقد قيل الكلام إذا تكرّر تقرّر، وقال على وجه التّأكيد " وأعلم أنّ التّكرار أبلغ من التأكيد؛ لأنّه وقع في تكرار التّأسيس، وهو أبلغ من التأكيد، فإنّ التأكيد يقرّر إرادة معنى الأوّل" [3]، نحو قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(سورة التّكاثر، الآيتان 3 و4)، فتكرار الجملة الثّانية تأسيس لا تأكيد؛ لأنّ الثانية أبلغ في الإنشاء، فذكر (ثمّ) في المكرّر تنبيه على أنّ الإنذار الثاني أبلغ من الأوّل، كما يقول العظيم لعبده: أقول لك ثمّ أقول لك لا تفعل، و لكونه أبلغ نُزّل منزلة المغايرة، فعطف بـ (ثمّ)[4]. والغرض من هذا التكرار التّهديد و الإنذار.

وقد عرّف الزّركشي التّوكيد " بأنّه الحمل على ما لم يقع ليصير واقعا، وعلى هذا الأساس فإنّه لا يجوز تأكيد الماضي ولا الحاضر لئلا يلزم تحصيل الحاصل، وإنّما يؤكّد المستقبل" [5] ومن أجل توضيح التّوكيد و تحديده قسّمه إلى قسمين:

1. ينظر: مجدي وهبة و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربيّة و الأدب، المرجع السابق، ص118.
2. ابن جنّي: الخصائص، المصدر السابق، ج3، ص101.
3. الزركشي: المصدر نفسه، ص 10.
4. محمّد علي الصابوني: المصدر السابق، مج 3، ص 572.
5. ينظر: الزركشي، المصدر السابق، ج2، ص 263.

1- **توكيد لفظي**: وهو تقرير معنى الأوّل بلفظه، كقوله تعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (سورة المؤمنون، الآية 36)، فتكرّرت الكلمة الثّانية (هيهات) تأكيدا للأولى وهي اسم فعل أمر بمعنى "بَعُدَ" [1] ، أو تقرير معنى الأوّل بمرادفه و مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾(سورة الأنبياء، الآية 31)، ففي الآية تكرار بالمرادف، حيث أنّ كلمة (فِجَاجًا) ترادف كلمة (سُبُلًا) وهو المسلك و الطريق الواسع [2].

ويكون التّوكيد اللّفظي كذلك في الاسم النكرة بالإجماع، نحو قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (15) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾(سورة الإنسان، الآيتان 15 و 16).فتكرار اللفظ النكرة (قوارير) الثّانية تأكيدا للأولى، و المراد به التكثير و يكون التّوكيد بالجملة [3] نحو قوله عزّ و جلّ:﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾(سورة الشرح، الآيتان 15 و 16)، فالجملة الثّانية تكرّرت لتأكيد الجملة الأولى؛ أي لتقرير معناها في النفوس و تمكينها في القلوب، وليعلم الإنسان أن بعد الضيق يأتي الفرج واليسر بعد العسر.

2- **توكيد معنوي**: وهو تابع يحدّد و يقرّر أمر المتبوع في النسبة أو الشمول، ويكون بكلمتي (كلّ) و (أجمع)، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾(سورة الحجر، الآية 30)؛ أي سجد لآدم جميع الملائكة لم يمتنع منهم أحد، و هذا يفهم من السّياق و القرينة، فلفظ (كلّهم) يفيد الشّمول والإحاطة، فلابد أن يفيد (أجمعون) قدرا زائدا على ذلك، وهو اجتماعهم في السّجود هذا في اللفظ، وأمّا المعنى فلأنّ الملائكة لم تكن ليتخلف أحد منهم عن امتثال الأمر وهو لا يتأخّر عنده، ولاسيما وقد وقّت لهم بوقت وحدّ لهم بحدّ، وهو التسوية ونفخ الروح، فلما حصل ذلك سجدوا كلّهم عن آخرهم في آن واحد [4]، فمجيء لفظ أجمعون تأكيدا لسجود الملائكة كلّهم.

1. المصدر نفسه، ص 264.
2. مُحَمَّد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج2، ص 238.
3. الزركشي: المصدر نفسه، ص264 و 265.
4. الزركشي: البرهان، المصدر السابق، ج2، ص266.

وهناك نمط من التّكرار لطول الفاصل ويكون ذلك إذا كان هناك متّسع كبير بين بداية الكلام ونهايته [1]، فيحسن في هذه الحالة التّكرار تفاديا لنسيان الأوّل ، وفي هذا الصدّد يقول الزرّكشي: "إذا طال الكلام وخشي تناسي الأوّل أعيد ثانيا تطرية له وتجديدا لعهده" [2]. ونذكر على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(سورة آل عمران، الآية 188)، فنجد في نفس الآية تكرّرت جملة (فَلَا تَحْسَبَنَّهُم) تأكيدا للجملة الأولى (لَا تَحْسَبَنَّ)، رغم أن هناك فاصل بين الجملتين وهذا تفاديا لنسيان الأوّل.

ويعلّق ابن الأثير على هذه الظاهرة من التكرار فيقول بشأنها "وهذه الآيات يظنّ أنّها من باب التّكرار وليس كذلك، وقد أمعنت نظري فيها فرأيتها خارجة عن حكم التّكرير، وذلك أنّه أطال الفصل من الكلام وكان أوّله يفتقر إلى تمام لا يفهم به، فالأولى في باب الفصاحة أن يعاد اللفظ الأوّل مرّة ثانية ليكون مقارنا لتمام الفصل كي لا يجيء الكلام مبتورا"[3]. ويشاطره البّاحث نصر الدين بن زروق الرأي وهو يتّفق مع ما توصّل إليه الدّارسون في مجال علم لسانيات النصّ الذي لا يختصر في تحليله للخطاب على مستوى الجمل، و إنّما يتعدّاها إلى النصّ ككلّ متكامل و إن إعادة اللّفظ هنا لا تعدّ تكرارا من حيث الدلالة؛ لأنّ الكلام لا يكون متكاملا ومتماسكا ومحقّقا للغرض الدّلالي إلا به [4].

هذه بعض النماذج عن خاصيّة التّكرار والأمثلة كثيرة في كتاب البرهان، فالزركشي اهتمّ بالتّكرار بوصفه خاصيّة أسلوبيّة مميّزة، تعمل عل زيادة ترابط النصّ وتماسكه، ونختم بقول تمّام حسّان فيما

1. نصر الدين بن زروق: الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم، دار هوما للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2015، ص62.
2. الزركشي: المصدر نفسه، ج3، ص12.
3. ابن الأثير: المثل السائر، المصدر السابق، ج2، ص 155.
4. ينظر: نصر الدّين بن زروق، الخصائص الأسلوبيّة للتكرار، ص 73.

يخصّ وظيفة التّكرار فهي " إنعاش الذاكرة وهو يوضّح علاقة السّابق باللاحق" [1]، فيشير إلى دعم التّماسك النصيّ، كما يوظّف التّكرار لتحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنصّ.

ب–التّضام:

قلنا بأنّ التّضام من التقنيات المهمّة للترابط النصّي الذي يساهم كثيرا في عمليّة التّماسك والتّرابط، ونودّ أن نؤكّد هنا على أنّه كلّ زوج من الكلمات تربط بينهما علاقة إمّا التّرادف أو التّضاد أو تجاور أو غير ذلك من العلاقات التي يحدّدها القارئ أو السّياق. ويبرز بشكل علاقات متنوّعة وسنختصر على ذكر بعض النماذج للزركشي لتوضيح ذلك و منها:

–الجناس:

وهو أن يتفقا اللّفظان في المبنى ويختلفان في المعنى، والجناس من المحسنات اللفظيّة التي لها تأثير كبير على نفسية المتلقّي؛ وذلك لما يشتمل عليه من إيقاع محبّب يحدث في النفس استحسانا للكلام وميلا للاستماع[2] ، ويقول عنه عبد القاهر الجرجاني "أمّا التجنيس فإنّك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا..."[3]، ويفهم من هذا الكلام أنّ قيمة الجناس تكمن في المعنى الذي يؤدّيه لا في إعادة اللفظ من غير أن يكون لذلك فائدة.

ويطلق عليه الإمام الزّركشي بالتّجنيس وهو إمّا أن تتساوى حروف الكلمتين كقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾(سورة الروم، الآية 55)، فالمراد بالسّاعة الأولى يوم القيامة، أمّا الثّانية فالمراد بها الوقت؛ أي المدّة الزمنيّة [4]، فبينهما جناس تام، وهنا تحقّق الربط بين هاتين الكلمتين في الآية من خلال فهم القارئ لسياق الآية، وبذلك ظهر الاتّساق في النصّ القرآني.

1. تمّام حسّان : البيان في روائع القرآن، دراسة لغويّة و أسلوبيّة للنصّ القرآني، عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 1413 هـ، 1993م، ص 109 و 113.
2. نصر الدين بن زروق: المرجع السابق، ص 121.
3. الجرجاني: أسرار البلاغة، المصدر السابق، ص 6.
4. الزركشي: المصدر السابق، ج3، ص 325.

وقوله تعالى ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾(سورة الشعراء، الآيتان 79 و 80)، ففي هذه الآيات تحقّق الربط بواسطة تقنية التّجنيس بين"يسقين و يشفين" وهما كلمتان متشابهتان خطا لا لفظا و يطلق عليه بتجنيس الخط [1].

كما نلحظ تكرار آيات بأكملها في بعض السور وقد أشار إليها الزركشي؛ و ذلك كتكرار الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(سورة الرحمن، الآية 13)، إذ تكرّرت هذه الآية إحدى وثلاثين مرّة لتعدّد المتعلّق [2]؛ أي كلّ واحدة تتعلّق بما قبلها و الاستفهام فيها للتقريع والتوبيخ، "وإنّ الله تعالى خاطب بها الثقلين من الإنس و الجنّ و عدّد عليهم نعمه التي خلقها لهم، فكلّما ذكر فصلا من فصول النعم طلب إقرارهم و اقتضاءهم الشّكر عليه..." [3]. وتكرار هذه الآية ساعد في عمليّة التّرابط النصيّ في السورة.

ومنه قوله تعالى:﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾(سورة القمر، الآية 16)، فقد تكرّرت الآية أربع مرّات في سورة القمر وهو استفهام تهويل وتعجّب؛ أي فكيف كان عذابي وإنذاري لمن كذب رسلي، ولم يتّعظ بآياتي ؟ والغرض منه تجديد التنبيه والاتّعاظ ولكي "لا يغلبهم السهو والغفلة"[4]؛ حيث ساعد هذا التّكرار بالرّبط بين آيات السورة دلاليّا، و من جانب آخر تماسكت نصيّا.

ومن أمثلة تكرار الجمل و دورها في الترابط النصّي ما جاء في مقام التعجّب قوله تعالى:﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾(سورة المدثر، الآيتان 19 و 20)، فتكرّرت الجملة تعجّبا من تقديره وإصابته الغرض على حدّ، قاتله الله ما أشجعه[5]؛ أي قاتله الله وأخزاه (الوليد بن المغيرة) على تلك الكلمة الحمقاء التي أجالها في نفسه؛ حيث قال عن القرآن إنّه سحر، وقال عن محمّد إنّه ساحر وفي الآية استهزاء به و تهكّم [6]، فتكرار العبارة جاء تأكيدا لذمّه وتقبيحا لحاله.

1. ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص 326.
2. المصدر نفسه، ص 15.
3. السّيوطي: الإتقان، المصدر السابق، ص 408.
4. الزّركشي: المصدر السابق، ص 17.
5. الزركشي: البرهان، المصدر السابق، ص 15.
6. محمّد علي الصابوني، المصدر السابق، مج 3، ص 452.

ولتوضيح ذلك يقول أحمد بن إبراهيم الغرناطي فيما يخصّ هذه الآية "بأنّ التعجّب مناط بمن يصحّ منه هذه الفعل (العجب) والله سبحانه متعال عن ذلك" ويضيف قائلا: " وكأنّ قد قيل لهم هذا ممّا تتعجبون منه وتقولون هذا الكلام، وأنّ قوله تعالى:﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾(سورة المدثّر، الآية 20)، هو تأكيد للتعجب من حال الوليد بن المغيرة من إصابته في نفي الجنون والتكهّن والشعر عن الرسول صلّى الله عليه وسلم لولا السابقة في قوله تعالى ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾(سورة المدثر، الآية 17)، التي حملته على إدباره و استكباره[1] في قوله تعالى ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾(سورة المدثّر، الآية 24).

-التّضاد:

وهو الجمع بين الشيء وضدّه مع مراعاة التّقابل مثل الجمع بين اللّيل والنّهار والبياض والسواد... الخ [2]، ويشمل الطباق و المقابلة ومثله قوله تعالى ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾(سورة الكهف، الآية 18)، ففي الآية الكريمة تضاد بين كلمتي (أيقاضًا و رقودٌ)؛ أي لو رأيتهم أيّها الناظر لظننتهم أيقاضا لتفتّح عيونهم و تقلّبهم والحال أنّهم نيام [3]، وبذلك تحقّق التّرابط النصّي في الآية بواسطة علاقة التّضاد.

وقوله تعالى:﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾(سورة الكهف، الآية 17)، فالتّضاد بين كلمتي (يهد و يضلل) يشير إلى علاقة التّرابط بين الجملتين، فمن يوفّقه الله بالإيمان و يرشده إلى طريق السعادة فهو المهتدي حقّا، ومن يضلله الله بسوء عمله فلن تجد له من يهديه [4].

كما ويتحقّق الربط في النصّ بواسطة تقنية التقابل و ذلك من خلال توقع القارئ للفظة المقابلة، فيفاجئه أسلوب القرآن بالإبحار داخل النصّ، عن طريق سلاسل مترابطة من الوحدات التي

1. أحمد بن إبراهيم الغرناطي: ملاك التأويل، تح: سعيد الفلاح، دار المغرب الإسلامي، ج2، ط1، 1983، ص 11.
2. الزركشي: المصدر نفسه، ص 329.
3. محمّد علي الصابوني: المصدر السابق، مج 2، ص 171.
4. مُحَمَّد علي الصابوني: المصدر السابق، ص 171.

تخلق الاتّساق في النصّ، ويستخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب كثيرا، ومن ذلك قوله تعالى:﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾(سورة الرحمن، الآية 17)، ففي الآية الكريمة مقابلة ضدّية من حيث المكان والجهة، المشرق جهة شروق الشّمس والمغرب جهة غروبها، كما وتثنية المشرقين والمغربين باعتبار الشّمس تطلع في فصلي الشتاء والرّبيع من جهة وفي فصلي الصيف والخريف من جهة أخرى، وبمراعاة وقت الطول ووقت القصر، وكذلك غروبها و هي فيمابين هذين المشرقين و المغربين ينتقل طلوعها وغروبها في درجات متقاربة، فقد يعتبر ذلك فيقال: المشارق و المغارب...وربّ إشارة إلى ربوبية الله تعالى للمشرقين و المغربين و هي الخلق و التصرّف" [1].

وقوله عزّ و جلّ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾(سورة التوبة، الآية 82)، ففي الآية الكريمة جملتين متضادتين " فليضحكوا قليلا " مع و" ليبكوا كثيرا "، فقد جمعت بينهما علاقة المقابلة، وبذلك تحقّق الترابط النصّي في الآية من خلال ذكر هذه الألفاظ المتعاكسة وقد عرّف الزركشي المقابلة هي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخاله في بعضها، والفرق بين الطباق والمقابلة أنّ الطباق لا يكون إلا بين الضدّين غالبا، كما وضّحنا ذلك من قبل، و المقابلة تكون لأكثر من ذلك غالبا، والطباق لا يكون إلا بالأضداد، و المقابلة بالأضداد وغيرها [2]. فالزّركشي ربط المقابلة بين عدّة أطراف وجعلها متقابلة مع أطراف أخرى في السّياق الكلامي ليجعل الكلام متماسكا و المعاني متقابلة؛ إذ نجدها في النصّ القرآني تربط بين عدد من الجمل في مقابلات معنويّة بليغة، تجعلها عنصرا فاعلا في الاتّساق مثل قوله تعالى ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾(سورة التوبة، الآية 82)، ففي الآية الكريمة أمر يراد به الخبر معناه: "فسيضحكون قليلا وسيبكون كثيرا"[3] فهما متضادان وجمعت بينهما علاقة المقابلة، وبذلك تحقّق التّرابط النصّي في الآية من خلال ذكر هذه الألفاظ المتعاكسة.

1. محمّد الطاهر بن عاشور: تفسير التّحرير و التّنوير، ج27، ص 247.
2. الزّركشي: المصدر السابق، ص 331.
3. محمّد علي الصابوني: المصدر السابق، مج2، ص 514.

-ردّ العجز على الصّدر وعكسه:

وهو كذلك من مظاهر الاتّساق المعجمي قائم على تكرار الكلمة، إذ يتجسد في هذا المحسن البديعي شدّة الارتباط بين شطري البيت الشعري؛ بحيث نجد الكلمة في صدر البيت تتكرّر في عجزه على اختلاف مواضع ورودها في الشطرين، وفائدة هذا التكرار تتجلّى في الارتباط الذي يقوّي تماسك عناصر البيت.

وقد ذكر الزركشي هذا الفنّ البديعي ضمن النوع السادس والأربعين من علومه المخصّص لأساليب القرآن وفنونه البليغة تحت عنوان رد العجز على الصدر وعكسه، ولم يقدّم تعريفا له وإنّما اكتفى بسوق آيات قرآنية للدّلالة عليه، أمّا العكس فهو أن يقدّم في الكلام جزء ثمّ يؤخّر[1]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾(سورة الممتحنة، الآية 10)؛ أي لا تحلّ المؤمنة للمشرك ولا يحلّ للمؤمن نكاح المشركة، وقد قيل: "والتّكرير للتّأكيد والمبالغة في الحرمة وقطع العلاقة بين المؤمنة و المشرك[2] "، وقد تحقّق التّرابط في الآية من خلال ذكر هذه الكلمات (حِلٌّ و يَحِلُّونَ) والآية صرحت بنفي الحلّ من الجهتين، وهذه العلاقة تخلق في النصّ مايسمّى بالعكس والتبديل، وتصنع تماسكا نصيّا بدلالاتها المتناقضة.

وقوله تعالى ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾(سورة الأنبياء، الآية 37). فَوُجِدَ التخالف في الآية بلفظتي (عجل، فلا تستعجلون)؛ أي رُكب الإنسان على العجلة فخُلق عجولا يستعجل كثيرا من الأشياء وإن كانت مضرّة، بمعنى يبالغ في الاستعجال ثمّ خاطبه الله بأن لا يتعجّل الأمر قبل أوانه؛ سأوريكم انتقامي واقتداري على من عصاني فلا تتعجّلوا الأمر قبل أوانه[3] . فجاءت اللفظتان متعاكستان في الآية على قدرٍ كبيرٍ من التّرابط النصّي.

1. الزركشي: المصدر السابق، ص 337.
2. محمّد علي الصابوني: المصدر نفسه، مج3، ص 344.
3. مُحَمَّد علي الصابوني: المصدر السابق، مج 2، ص 240.

5.2.مصطلح الالتفات:

مصطلح الالتفات من المصطلحات البلاغيّة التي تدلّ على الإحالة بصفة غير مباشرة؛ حيث كان لعلماء القرآن الفضل في رصدها عبر الخطاب القرآني نظرا لما تكتنفه من بعد جمالي و نفسي وإعجازي ولما هذه الظاهرة من أسرار تميّز به الخطاب القرآني، وهو في عمومه يدلّ على كلّ تحوّل أسلوبي أو انحراف غير متوقّع على نمط من أنماط اللغة، و فيه تظهر عناية الخطاب القرآني بالمتلقّين إذ ينقل به الكلام من أسلوب إلى آخر ومن خطاب إلى آخر، وهذا ما يؤكّده الإمام الزرّكشي حيث يقول " للتكلّم والخطاب والغيبة مقامات، والمشهور أنّ الالتفات هو الانتقال من أحدهما إلى الآخر بعد التعبير بالأوّل" [1].

والالتفات مصطلح يحدث بين الخطاب بغرض المبالغة وحسن الكلام فهو أن يكون الشاعر في كلام فيعدل عنه إلى غيره قبل أن يتمّ الأوّل، ثمّ يعود إليه فيتمّمه، فيكون فيما عدل إليه مبالغة في الأوّل و زيادة في حسنه" [2]. و تحدث النقلة في صيغة الضمائر من المتكلّم إلى صيغة الخطاب، أو من هذا الأخير إلى الغيبة، أو منها إلى المتكلّم لإبراز وظيفته في الخطاب و" هو الانتقال بالأسلوب من صيغة الخطاب أو الغيبة إلى صيغة أخرى من هذه الصيغ بشرط أن يكون الضمير المتنقّل إليه عائدا على المتكلّم عنه الملتفت عنه" [3].

وقد أكدّ الزركشي حقيقة الالتفات على أنّه نقل الكلام من أسلوب إلى آخر تطرية واستدرارا للسامع وتجديدا لنشاطه وصيانة لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد عل سمعه [4]. كما ذكر بعض أساليب الالتفات و تحديد أغراضه أثناء دراسته للخطاب القرآني كالالتفات من التكلّم إلى الخطاب في قوله تعالى:﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(سورة يس، الآية 22)،

1 الزركشي: المصدر السابق، ص 232.

2 البغدادي محمّد بن حيدر: قانون البلاغة في نقد النثر و الشعر، مؤسّسة الرسالة، بيروت،1401 هـ، 1981م، ط1، ص 110.

3 عبد القادر حسين: فنّ البلاغة، عالم الكتب، 1405هـ، 1984م، ط2، ص 280.

4. الزّركشي: المصدر السابق، ص 232.

والأصل "وإليه أرجع"،فالتفت من التكلّم إلى الخطاب، وفائدته أنّه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفا وإرشادا أنّه يريد لهم ما يريد لنفسه، ثمّ التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم و دعوتهم إلى الله [1]. والهدف من ذلك هو الوصول إلى الغرض القصدي كالتلطّف والترفّق مع المخاطب، و هنا تظهر عناية الزّركشي بالمتلقّي و حرصه على انتباهه.

وقد تعدّدت أغراض الالتفات تبعا لتعدّد أساليبه كغرض الاختصاص بالانتقال من الغيبة إلى التكلّم في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاكَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾(سورة فاطر، الآية 9)، و فائدته إبراز قدرة الخالق على إرسال الرّياح التي لا يختصّ بها إلا هو وحده دون سواه، مبشّرة بنزول المطر، وهذا دالا على القدرة الباهرة والآية العظيمة التي لا يقدر عليها غيره عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلّم؛ لأنّه أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه وأفخم [2]، وكغرض التّوبيخ في قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (88) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾(سورة مريم، الآيتان 88 و 89)، و فائدته أنّ اليهود و النصارى ومن زعم أنّ الملائكة بنات الله؛ أي لقد أتيتم أيّها المشركون بقول منكر عظيم تناهى في القبح و الشّناعة [3]. والمقصود من هذا الغرض القصدي توبيخ المشركين.

وفي حديث الزّركشي عن الالتفات من التكلّم إلى الغيبة يقول: "ووجهه أن يفهم السّامع أنّ هذا نمط المتكلّم وقصده من السامع، حضر أو غاب، وأنّه في كلامه ليس ممّن يتلوّن و يتوجّه، فيكون في المضمر ونحوه ذا وجهين، وأراد بالانتقال إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب من قرعه في الوجه بسهام الهجر، فالغيبة أروح له، وأبقى على ماء وجهه أن يفوت" [4]. كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ (سورة الكوثر، الآيتان 1 و 2)، حيث لم يقل "إنّا أعطيتك"؛ بل

1. المصدر نفسه، ص 233.
2. الزركشي، المصدر نفسه، ص 236.
3. محمّد علي الصابوني، المصدر السابق، مج2، ص 207.
4. الزّركشي: المصدر نفسه، ص 234.

جاءت بصيغة الجمع والغرض منها التّعظيم والخطاب موجّه للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، تكريما لمقامه الرفيع و تشريفا؛ أي نحن أعطيناك يا محمّد الخير الكثير الدائم في الدنيا والآخرة.

وقد يتكرّر الالتفات في موضع واحد في قوله تعالى:﴿سُبْحَانَ الّذِي أَسْرَىَ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىَ الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ البَصِيرُ﴾(سورة الإسراء، الآية 1)، فنجد الالتفات قد تكرّر في أربعة مواضع، فانتقل عن الغيبة في قوله: (سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) إلى التكلّم في قوله: (بَارَكْنَا حَوْلَهُ)، ثمّ عن التكلّم إلى الغيبة في قوله: (لِنُرِيَهُ) ثمّ عن الغيبة إلى التكلّم في قوله: (آيَاتِنَا) ثمّ التكلّم غلى الغيبة في قوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) [1]. والغرض من هذا الالتفات التّقديس والتّعظيم لأنّه لما كان أمرا خارقا للعادة استهلّه الله بلفظ يشير إلى كمال القدرة وتنزّه الله عن صفات النقص، وبالتالي فقد ارتبط الالتفات بالنصّ القرآني بمجموعة من الإحالات المتنوّعة بين ضمائر التكلّم وضمائر الغيبة، وجعلت الآية الكريمة على قدرٍ كبيرٍ من التّرابط النصّي. وقد أشار "ابن جني" إلى أنّ مصطلح الالتفات هو أعمق من ذلك بكثير، فوقف عند أسراره في القرآن الكريم؛ حيث يقول عنه في سورة الفاتحة: "فالقرآن الكريم قد عبّر أوّلا عن لفظ الجلالة بأسلوب الغائب فيقول فيها "الحمد لله" ثم يعبر ثانيا بأسلوب الخطاب فيقول "إيّاك نعبد وإيّاك نستعين" وترك أسلوب الغائب إلى أسلوب الخطاب، ليس المجرّد الاتّساع في اللّغة أو التصرّف في اللّفظ بل لأمر أعلى وغرض أسمى، وذلك أنّ الحمد أقل درجة من العبادة، فالإنسان يحمد نظيره ولا يعبده لذلك استعمل أنّ العبادة قمّة الطاعة و التقرّب بها غاية النهاية و لذلك استعمل لفظ "الحمد" ولم يقل "إيّاك نعبد" واستعمل لفظ العبادة مع المخاطب فقال "الحمد لك" وهو الأقلّ درجة من الغائب فقال "الله نعبد"[2]. ويؤكّد هذه الفكرة بن عائشة حسين؛ حيث يرى أنّ الخطاب الذي اشتمل على ظاهرة الالتفات كان أسلوبا ملتفتا للمخاطب من حيث الشّكل والمضمون، بفعل ما أحدثته لغة الالتفاف من تغيّر في الخطاب القرآني، أين استطاع أن يضفي عليه بعدا نفسيّا ودلاليّا وتداوليّا؛ لأنّ

1. المصدر نفسه، ص 238.

2. ابن جنّي: المحتسب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، تح: علي النجدي ناصف و عبد الفتّاح اسماعيل شلبي، دار سيزكين للطباعة و النشر، القاهرة، 1431هـ، 2010م، ج1، ص46.

القصد من ذلك ليس دفع الملل عن المتلقّي فقط، وإنّما ليزداد تعلّقا بالنصّ القرآني انتباها وحبّا و انغماسا وتأهّلا في مكنوناته وأسراره و دلائل إعجازه [1].

وعلى هذا الأساس فإنّ مصطلح الالتفات يعدّ نوعا من أنواع الإحالة الضميرية التي لها علاقة بسياق المقال والمقام بمختلف أبعاده شكلا ومضمونا، ولما تشكّله الإحالة الالتفاتية أو الضميرية من تعالق شديد بين اللّسانيات الوظيفيّة والبلاغة العربيّة وحتى النّحو العربي، و هذا ما يستدعي القول بأنّ الالتفاف يشكّل ظاهرة بلاغيّة ولسانيّة وظيفيّة ونحويّة.

3.الانسجام النّصي في كتاب البرهان:

1.3.السّياق القرآني:

لقد اهتمّ علماء اللّغة منذ القدم بالسّياق واعتبروه من أهمّ العوامل الّتي تسهم في عمليّة الانسجام النصّي، وهذا من خلال مقولتهم الشهيرة "لكلّ مقامٍ مقالٍ" فانطلقوا في مباحثهم من فكرة ربط الصياغة بالسّياق، وأصبح مقياس الكلام في باب الحسن والقبول بحسب مناسبة الكلام لما يليق به، أي مقتضى الحال[2]؛ بمعنى لا يكون الكلام منسجما إلاّ إذا كان مناسبا وموافقا للظروف التي قيل فيها.

يلعب السّياق دورا أساسيا في ترابط النصّ القرآني وانسجامه، انسجاما يجعل آي القرآن مرتبطا "بعضه ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني منتظمة المباني"[3]. ويكون السياق القرآني مكوّنا من ثلاثة عناصر أساسيّة تميّزه عن باقي السياقات بمزيد من الخصوصيّة والانفراد لارتباطه بالقرآن الكريم، وهذه العناصر هي:

- الأغراض والمقاصد الّتي بُني عليها النّص.

1 .بن عائشة حسين: المقاربة النصيّة بين التّداخل اللّساني الوظيفي و البلاغي، مجلّة الموروث، جامعة مستغانم، مج 8، العدد 2، 2020م، ص 18 و 19.

2. خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النّص و السيّاق، ص 54.

3. مصطفي صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، ضبطه مُحَمَّد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط5، 1952، ص 270.

- النظم والأسلوب القرآني المؤتلف من مجموع الكلام و التعبير فيه.
- الأسباب والأحوال التي نزلت فيها الآية، وتنوّع المخاطبين بها.

فقد اجتمعت في هذه العناصر الأغراض إلى جانب القرائن اللّفظية المستمدّة من النظم بالإضافة إلى القرائن الحالية والّتي مرجعها أسباب النزول وأماكنه، وهي مكونات كلّها راجعة إلى عموم معنى السياق وعناصره الأساسيّة العامّة.

وممّا أشار إليه الزركشي أنّ أفضل وأحسن طريقة للتفسير هي تفسير القرآن بالقرآن[1]، وتعدّ هذه الملاحظة بمثابة الإشارة إلى منهج قويم في علم الدّلالة، وهو اليوم يعرف بالمنهج السيّاقي، وقد توزّع مفهوم السّياق وشمل عدّة مناحي تجمّعت كلّها في كتاب البرهان ومنها:

أ-السياق اللّغوي (السياق الدّاخلي):

ذكر الزركشي أنّ دلالة السياق من الأمور التي تعين على المعنى عند الإشكال، فهي ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، و تقييد المطلق، وتنوّع الدّلالة وهذا ما ورد في قوله تعالى ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (سورة الدّخان، الآية 49)، فالسياق عنده هو من أعظم القرائن الدّالة على مراد المتكلّم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته، والسّياق هنا يدلّ على أنّه الذليل الحقير[2].

فقد عبّر الزركشي بدلالة السّياق اللّغوي على ما ينتجه التركيب اللّفظي للآية الكريمة من دلالات تتضمّن قرائن نصيّة (اللّفظيّة و المعنويّة)، حيث ربط السيّاق بالجانب اللّغوي، واستعمله لفظا عامًا صريحًا في كتابه البرهان، إلاّ أنّ بعض المفسّرين وعلماء القرآن استخدموا عبارات مرادفة لمعنى السيّاق منها: نظم الآية، روح الآية، ظاهر الآية، ملاءمة الكلام، نسق الآية، الإطار العام، المعنى العام... وغيرها، وهذه المصطلحات كلّها معتمدة على مرجعيّة نصيّة تصبّ في مدلول السّياق.

1. الزّركشي، المصدر السابق، ج2، ص127.
2 . الزركشي: البرهان، المصدر السابق، ج2، ص 144.

ويعلّل الزركشي في حديثه عن تفسير القرآن، أنّ طريق التوصّل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، و هذا ما أشار إليه الرّاغب في كتابه "المفردات" في تفسير مدلول اللّفظ القرآني باقتناصه من السيّاق[1].

كما بيّن الزّركشي في دلالة السياق على نظم الآي في حديثه عن بعض الحكم التي تعلّل أخذ بعض الآيات المسببة ترتيبا وتموضعا معيّنا، حيث يقول: "وقد تنزل الآيات على الأسباب خاصّة، وتوضع كلّ واحدة منها مع ما يناسبها من الآي رعاية لنظم القرآن وحسن السّياق"[2].فدلالة العطف هنا هي من باب التكرار بالمرادف، واتصاف السّياق بالحسن لا يتأتّى إلاّ من خلال نظم الآيات، فأصبح النظم و السّياق بمعنى واحد.

وذكر الزركشي في أقسام معنى الكلام دلالة السّياق على القرينة في موضع الأمر لقوله تعالى ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (سورة البقرة، الآية 233)، فإنّ السياق يدلّ على أنّ الله تعالى أمر بذلك لأنّه خبر" [3] بمعنى أنّ هذه الدّلالة البلاغيّة استفادت من القرينة العقليّة الّتي هي ذاتها السّياق الخبري للآية.

ويشرح صاحب البرهان دلالة السّياق على فحوى الكلام في حديثه عن موضع حذف "الياء" أنّه مرتبط بالهداية الملكوتيّة الباطنة في قوله تعالى﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ (سورة الكهف، الآية 24)، ومردّ ذلك أنّ : "سياق الكلام في أمور محسوسة، والهداية فيه ملكوتية"[4]. فدلالة الآية توحي بالنهي عن المراء والاستفتاء والتوصية بعدم نسيان التوكّل على الله والإكثار من الذّكر و كلّها أمور محسوسة مرتبطة بالنوع المذكور من الهداية وهذا ما يناسب حذف الياء.

1 . المصدر نفسه، ج2، ص 125.
2 . الزركشي، المصدر نفسه، ج1، ص 27.
3 . الزركشي: المصدر السابق، ج2، ص 221.
4 . المصدر نفسه: ج1، ص 292.

وانطلاقا من هذا التصوّر يمكن أن نقول إنّ المنحى اللّغوي لمصطلح "السيّاق" ظهر بوضوح في التفسير، الّذي يعدّ أولى الدراسات التحليليّة التي خضع لها النصّ القرآني، و الزركشي واحد من المفسّرين الذين ساروا عن هذا النهج حيث أسهم هذا السياق في إدراك تماسك النصّ وانسجامه.

ب–السياق المقامي (السياق الخارجي):

ويتمثّل في ظروف الخطاب وملابساته الخارجيّة والّتي تشتمل على الطبقات المقاميّة المختلفة المتباينة التي ينجز ضمنها الخطاب، ويشمل ذلك الزمان والمكان وحال الأشخاص والمخاطبين[1]، و هذا النوع يشتمل على القرائن الحالية التي تسهم في الكشف عن انسجام النصّ وتناسقه.

وقد اهتم علماء العرب القدامى بفكرة السّياق و أهميّة الظروف المحيطة بالكلام فلجأوا إليه ليفسّروا القرآن الكريم، و جعلوا توضيحه جزءا من تفسير الآيات القرآنية[2]، فاهتموا بما تعلّق بمحيط النّص أو ما نسمّيه بسياق الحال، وتجلّى ذلك في حديثهم عن أسباب النزول، والمكّي والمدني مع مراعاة أحوال المخاطَب و غرض المتكلّم.

ويرى صاحب البرهان أنّ علماء التفسير قد نظروا إلى كتاب الله وتطرّقوا إليه من جهة التفسير، مع مراعاة حياة الشريعة وظروف أهلها وهذا يعود لكونه علما يعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللّغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ و المنسوخ[3].

هذا يعني أنّ الزركشي اهتمّ بدراسة السيّاق اللّغوي للنّص (القرآني) وبإمكانية فصل العناصر المحيطة بالنزول (الأسباب والظروف) أو ما يعرف بسياق الحال، أي جعل السيّاق بنوعيه أساسا للتحليل النصّي؛ حيث أنّ عدم الإحاطة بالسّياق تقطع تواصلية الخطاب وانسجامه، وبالتالي فإنّ

1 . بن يحي طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، المرجع السابق، ص 217.
2 . ينظر : أبو الفرج محمّد أحمد، المعاجم اللّغوية في ضوء دراسات علم اللّغة الحديث، دار النهضة العربية، ط1، ص 98.
3 . الزركشي، المصدر السابق، ج1، ص 20.

الانسجام النصّي يرتبط ارتباطا وثيقا بالسياقات المختلفة، سواء الداخليّة أو الخارجيّة، تشترك وتتضافر مع غيرها من أدوات التماسك لتحقيق النصيّة.

2.3.المناسبة بين اللّغة والاصطلاح:

أ– المناسبة لغة:

ذكر ابن فارس المناسبة في معجم مقاييس اللّغة بقوله: النون والسين، والباء. كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، سُمي لاتّصاله وللاتصال به، تقول: نسب أنسب، وهو نسيب فلان، والنسيب الطريق المستقيم لاتصال بعضه من بعض"[1]. فإذا تتّبعنا معاني المناسبة في اللغة، تعني الاتّصال والمماثلة والمقاربة، ومنه يقال إنّ فلان يناسب فلانا أي يقاربه ويشاكله، والنسب القريب المتّصل اتصالا وقربا بمن يناسبه وهو كالوصف لثبات قرابته واتّصاله.

وقد عرّف الزركشي المناسبة في اللّغة هي: المشاكلة والمقاربة، وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتّصل كالأخوين وابن العمّ ونحوه، و كذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها في الآيات والنصّ القرآني إلى معنى ذلك ما رابط بينها:"عامّ أو خاصّ، عقليّ أو حسيّ أو خياليّ، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التّلازم الذهني، كالسبب والمسبّب، والعلّة والمعلول والنظيرين والضدّين و نحوه..." [2].

ب– المناسبة اصطلاحا:

تعدّ المناسبة في اصطلاح علماء القرآن هي بيان "وجه الارتباط بين الجملة والجملة التي في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعدّدة أو بين السورة والسورة" [3]، ويعرّفها البقاعي بأنّها "علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن"[4].

---

1. ابن فارس بن أحمد: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1392هـ، 1972م، ص423، 424.

2 . الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج01، ص35.

3. القطان بن خليل مناع: مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة،ط22، د ت، ص97.

4. البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،دار الكتاب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1، 2006م، ص6.

وهذا التعريف الاصطلاحي للمناسبة نجده يتوافق مع التّعريف اللّغوي، كما يربط النسب بين المتناسبين فلابدّ من وجود ارتباط بين الآيات والسور، سواء كان ظاهرا هذا الربط أم خفيّا، ولا يشترط أن يكون التّقارب بين المتناسبين تماثلا كاملا، فربّما كان التقارب عن طريق التّضاد أو تباعد في المعنى، المهمّ أنّ هناك صلة من نوع ما بين المتناسبين[1].

نخلص من ذلك أنّ علم المناسبة يعدّ من أبرز علوم القرآن التي يستعين بها المفسّر في فهم القرآن الكريم، ولعلّ الباحثين في علوم القرآن قد لمسوا أخطر جوانب النصّ حيث درسوا وجوه المناسبة بين الآيات، وخصّصوا لها علما قائما برأسه هو علم المناسبة كأنّهم بذلك أكدّوا في بحث شروط التخلّص من وصل وتنظير وتلازم وتقابل وملائمة[2].

وعليه فإنّ علم المناسبة بحث في أبرز وجوه الإعجاز القرآني، فالقرآن الكريم على الرغم من نزوله منجّما في مدّة تتجاوز العشرين سنة، تبدو فيه ملامح التّماسك على مدار آياته وسوره، فهو يعنى بالكشف عن الرّوابط بين آيات القرآن الكريم وسوره من أجل إبراز وحدة النصّ القرآني والعمل على تحقيق الانسجام والالتحام بين عناصره، فعلم المناسبة من هذه الجهة هو أكبر ردّ على شبهات المستشرقين ومزاعمهم بأنّ القرآن يخلو من وحدة تماسكيّة تربط آياته وسوره، وقد ظهر الوعي بقيمة التّناسب وأثره في بلاغة الكلام لدى الأدباء والبلاغيين وعلماء الإعجاز[3]. وعليه فإنّ المناسبة بين الآيات والسور تقدّم على أساس أنّ النصّ القرآني وحدة مترابطة الأجزاء، ومهمّة المحّل الذي يتعامل معه محاولة اكتشاف العلاقات أو المناسبات التي تربط الآيات ببعضها وبين السور والأخرى.

1. عمران رشيد: آليات التماسك النصي: الزركشي والسيوطي أنموذجان، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول- السنة الثانية، ص16.

2. مراد وليد، النص القرآني من الجملة الى العالم، أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2003، ص63.

3. ينظر: أبو زيد أحمد، التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي و الصوتي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، د ط، د ت، ص 213.

ج-أهميّة المناسبة في القرآن الكريم:

إنّ وحدة النصّ القرآني بوصفه بناء مترابط الأجزاء هي الغاية التي يبحث عنها علم المناسبة، لما له من فوائد جمّة أهمّها:

-فهم التناسب يجعل الكلام آخذًا بعضه بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط و يصير التّأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[1].

-دفع إيهام الاختلاف عن الآيات الكريمة، فقد يظنّ بعضهم أنّ الآيات نزلت في أوقات متباعدة ، في موضوعات متعدّدة فلا رابط بينها، بل إنّ هذا التّرابط بين الآيات و السور لون من ألوان البيان المعجز على الرغم من تباعد الزمان واختلاف الموضوعات، فالوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم حقيقة ثابتة في كلّ سورة منه .

- إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم للوصول إلى الحقيقة المطلقة، وهي أنّ القرآن الكريم كلام الله المنزّل، وليس من تأليف البشر[2] تصديقا لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (سورة النساء، الآية 82).

-المناسبة بين الآيات والسور دلالة لغويّة قويّة في التعرّف على المراد من الآيات ورفع اللبس عن مقاصدها، ومرجّح قويّ من مُرجّحات بعض المعاني على بعض عند تزاحمها، سواء منها ما جاء في آيات الأحكام، أم آيات القصص القرآني، أم الوعظ و التّوجيه وغيرها.

ومن خلال هذه الفوائد التي ذكرناها تبرز لنا وتتّضح معالم المناسبة والآليات التي تحكم هذا التّناسب عند الزركشي الذي لم يكتفِ بتقديم تعريف المناسبة؛ بل تعدَّى ذلك إلى تبيان فائدتها وتعداد أنواعها، وصدق الدكتور مصطفى شعبان عبد الحميد عندما قال: "ومن فائدتها أيضًا أنّها تعمل على ربط الكلام بعضهُ ببعض من جهة الألفاظِ أو المعاني أو من جهتهما جميعًا، بحيث لا

1. الزركشي: المصدر السابق، ج1، ص 35.

2. عمران رشيد : آليات التماسك النصي: الزركشي و السيوطي أنموذجان، ص 17.

نستطيع أن نستبدل أجزاء أخرى من الكلام بأجزائه الموجودة فيه أو تغيير وضعهِ الذي جَاءَ عليه وإن حدث ذلك تنافر الكلام شكلا و معنى" [1].

وعلى الرغم من أهمية علم المناسبة و فوائده، فقد لقي إهمالا من طرف العلماء وذلك لصعوبته ودقّة مسالكه، فقد ذكر ابن العربي بأنّ المناسبة "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرّض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثمّ فتح الله عزّ وجلّ لنا فيه فلما لم نجد له حملة و رأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله، و رددناه إليه" [2]. ومن بين السبّاقين إلى اكتشاف علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيساوي، وكان غزير العلم في الشّريعة والأدب، يقول على الكرسي إذا قرأ عليه: لما جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة، وفي هذا السّياق يقول الزركشي: " وقد قلّ اعتناء المفسّرين بهذا النوع لدقّته، وممّن أكثر منه الإمام فخر الدّين الرازي؛ حيث قال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في التّرتيبات والرّوابط" [3].

ونخلص من ذلك أن المناسبة تأتي ضمن المهمّة التي يؤسّس من خلالها الخطاب القرآني لتحقّق الانسجام النصّي والتّوافق الدّلالي بين أجزاء النصّ القرآني، فهي من أبرز علوم القرآن التي يستعين بها المفسّر في فهم القرآن الكريم.

د–أنواع المناسبة:

لقد تعدّدت تشكّلات المناسبة في النصّ القرآني لتعدّد مواضيع السور في القرآن الكريم؛ حيث استطاع الزركشي أن يلتمس وجها آخر في الإعجاز عن طريق التّماسك بين الآيات والسور، فخصّص بابا مستقلا في كتابه البرهان، فصل فيه آليات الانسجام النصّي بين الآيات والسور وربط

1. ينظر : مصطفى شعبان عبد الحميد، المناسبة في القرآن الكريم، ص 37.
2. الزركشي، المصدر السابق، ج1، ص 35.
3. الزركشي: المصدر السابق، ص 35 و 36.

بين الأجزاء النصيّة، فارتبطت السور بعضها ببعض برباط خارجي، وارتبطت المقاطع والمطالع والآيات داخل هذه السور على اختلاف مواضعها برباط داخلي.

ولتوضيح ما سبق سنسوق بعض النّماذج النصيّة من كتاب البرهان و التي أشار إليها الزركشي لبيان دور المناسبة في تحقيق الانسجام الدّلالي والتّوافق في السياق المفهومي للنصّ القرآني على النحو الآتي:

-المناسبة بين السور:

تحدّث الإمام الزركشي عن المناسبة بين السور، وحاول إيجاد روابط عامّة بين السور من حيث المضمون أوّلا، وكان وجه اهتمامه بسورة الفاتحة باعتبارها مقدّمة القرآن أو المدخل إليه، وأنّها أمّ الكتاب وتحتوي على أقسام القرآن، وعلى سبيل الإشارة، وفي هذا الصّدد يقول الزركشي: " أمّ علوم القرآن ثلاثة أقسام: توحيد وتذكير وأحكام، فالتّوحيد تدخل في معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق لأسمائه وصفاته وأفعاله، والتّذكير، ومنه الوعد والوعيد، والجنّة والنّار، وتصفية الظّاهر والباطن، والأحكام ومنها التّكاليف كلّها وتبيين المنافع والمضار والأمر والنّهي والندب"[1]... ولهذا المعنى صارت فاتحة الكتاب أمّ الكتاب؛ لأنّ فيها الأقسام الثّلاثة: فأمّا التّوحيد في قوله تعالى﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ (سورة الفاتحة، الآية 4)، وأمّا الأحكام في قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (سورة الفاتحة، الآية 5)، وأمّا التّذكير فمن قوله عزّ وجلّ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (سورة الفاتحة، الآية 6)،إلى آخرها فصارت بهذا، أمّا لأنّها مقدّمة على القرآن بالقبلية، والأمّ قبل البنت، و قيل أيضا: سميت فاتحة لأنّها تفتح أبواب الجنّة على وجوه مذكورة في مواضعها [2]، و يندرج ضمن المناسبة بين السور كلّ من:

1. الزركشي: البرهان، ج1، ص 22.
2. المصدر نفسه، ص 23.

1-بيان وجه المناسبة بين فواتح السور و خواتمها:

حاول الزركشي أن يجد علاقة خاصّة بين ختام كلّ سورة ومقدّمة السورة التي تليها في ترتيب المصحف، وهو مبني – التناسب – على أنّ ترتيب السور توقيفي*، وهو الراجح كما سيأتي، وإذا اعتبرت افتتاح كلّ سوره وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها [1]، فتحدّث عن العلاقة التي تربط سورة البقرة بالفاتحة فقال: وافتتاح سورة البقرة في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة البقرة، الآية 2)، إشارة إلى "الصراط" في قوله تعالى:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (سورة الفاتحة، الآية6)، كأنّهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب[2]، و هذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة.

فالإمام الزركشي تحدّث عن مناسبة فواتح السور وخواتمها، وحاول إيجاد روابط عامّة بين السّور؛ إذ يقول: "تأمّل سورة القصص وبداءتها بقصّة مبدأ أمر موسى ونصرته، لقوله تعالى:﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ (سورة القصص، الآية 17)، وخروجه من وطنه ونصرته وإسعافه بالمكالمة، وختمها بأمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بألا يكون ظهيرا للكافرين، وتسليته بخروجه من مكّة والوعد بعودته إليه[3] في قوله تعالى في أول السورة:﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ (سورة القصص، الآية 85).

يبيّن الزركشي وجه المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها في تشابه قصّة موسى مع الرّسول صلّى الله عليه و سلّم في أنّ الاثنين خرجا من وطنيهما ثمّ نصرهما الله عزّ وجلّ وعادا مرّة ثانية، وأنّ الله قد نهى موسى أن يكون عونا لأحد من المجرمين، ونهى رسوله بألاّ يكون ظهيرا للكافرين،

---

*. ذكر السيوطي أن هناك رأيين في ترتيب سور المصحف، الأول: أن ترتيب السور باجتهاد الصحابة، و الثاني: أن الترتيب تم بتوقيف من الرسول صلى الله عليه و سلم، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 107.

1 الزركشي، المصدر نفسه، ج1، ص 37.

2. المصدر نفسه، ص 37.

3.الزركشي: المصدر السابق، ص 144.

وأّنه سيرجع إلى مكة ليفتحها بعدما هاجر منها، وهذه الأحداث يظهر فيها وجه الانسجام في شأن مناسبة فاتحة هذه السورة لخاتمتها. وقد يتجاوزُ التَّماسك بين السُّور هذا الارتباط الدَّلالي إلى:

– **تماسك شكلي عن طريق علاقات نحويّة:** كارتباط "سورة الفيل" بـ"سورة قريش" [1] وهي علاقة ارتباط لغوي تحوّلهما إلى سورة واحدة إذا كانت السورة الأولى (الفيل) تنتهي بقوله تعالى:﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ (سورة الفيل، الآية 05)، فإنَّ السورة الثّانية (قريش) تبدأ باللام في قوله تعالى:﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ (سورة قريش الآيتان، 1 و 2)، بدلاً من أن تكون هذه اللام متعلّقة بالمحذوف العامل في: "رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ" تكون متعلّقة بنهاية السورة الأولى (الفيل) "فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ"، وبذلك تكون السورتان سورة واحدة، ويكون المعنى: إنَّ الله قضى على أصحاب الفيل وكان ثمرة ذلك وعاقبته أنّ قريشا تآلفت، وهذه القصّة تدلّ على كرامة الله للكعبة وإنعامه عل قريش بدفع العدوّ عنهم، فكان يجب عليهم أن يعبدوا الله ويشكروه على نعمه، وفيها مع ذلك عجائب وغرائب من قدرة الله تعالى على الانتقام من أعدائه[2]، وتكون هذه اللّام في أوّل سورة قريش لام العاقبة استنادًا إلى الأخفش الذي ذهب إلى أنَّ اتصالهما من باب[3] قوله تعالى:﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (سورة القصص الآية، 08)، وهنا يقال: اللام في "ليكون" لام العاقبة ولام الصيرورة، لأنّهم إنّما أخذوه ليكون لهم قرّة عين، فكان عاقبة ذلك أن صار لهم عدوّا وحزنا، فذكر الحال بالمآل[4]؛ أي أنّ أعوان فرعون أخذت موسى وأصابته لتكون عاقبة الأمر أن يصبح لهم عدوّا ومصدر حزن وبلاء وهلاك.

– **علاقة التّماسك بالتّقابل:** وهو نمط آخر من العلاقات بين السور، وقد ذكر الزّركشي في هذا النوع التّقابل بين سورتي الماعون والكوثر، ففي سورة الماعون صفات أربعة نقيضه لأنّ السّابقة

1. الزركشي: المصدر نفسه، ص 37.
2. .مُحَمَّد علي الصابوني، المصدر السابق، مج3، ص 579.
3. ينظر: نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ، ص 168.
4. مُحَمَّد علي الصابوني، المصدر السابق، مج 2، ص 391.

(الماعون) قد وصف الله فيها المناطق بأمور أربعة هي: البخل، ترك الصّلاة والرّياء فيها ومنع الزكاة، فذكر في مقابلة البخل في قوله تعالى:﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ (سورة الكوثر، الآية 01) أي الكثير، فالخطاب موجّه للرسول صلّى الله عليه وسلّم تكريما لمقامه الرّفيع وتشريفا؛ أي نحن أعطيناك يا مُحَمَّد الخير الكثير الدائم في الدنيا و الآخرة. وفي مقابلة ترك الصلاة قال "فَصَلَّ "، أي دُمْ عليها وصلّ لربّك الذي أفاض عليك بالخير خالصا لوجهه الكريم، وفي مقابلة الرّياء قال: "لربك"؛ أي صلّ لرضاه لا للناس، وفي مقابلة منع الماعون قال: "و أنحر" وأراد به التصدُّق بالأضاحي[1]؛ أي انحر الإبل التي هي خيار أموال العرب شكرا له على ما أولاك ربّك من الخيرات والبركات. فكلّ هذه التقابلات اعتبرت مناسبة عجيبة.

2-مناسبة السورة للصوت الذي بنيت عليه:

إنّ المتأمّل لسور القرآن الكريم يجد أنّ معظمها مبني على حروف الهجاء، وكثير ما نجد الحرف الذي بنيت عليه السورة جِدُّ متوافق ومتناسب مع مضمون الذي احتوته السّورة؛ والمقصود بمناسبة السورة للحرف الذي بنيت عليه " أنّ كثيراً من السور مسمّاة أو مفتتحة بحرف من حروف اللّغة، وإنّ معظم الكلمات تتألّفُ منها السور يتراكمُ فيها هذا الحرف ويتكرّر، وربّما كانت دلالة الكلمات معضّدة للسمات الصوتيّة لهذا الحرف[2]، ففي هذه المناسبة يقول الزّركشي: "وتأمَّل السورة التي اجتمعت على الحروف المفردة كيف تجد السورة مبنيّة على كلمة ذلك الحرف، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ (سورة ق، الآية 1)، فإنّ السورة مبنية على الكلمات، القافية من ذكر القرآن، وذكر الخلق، وتكرار القول، ومراجعته مرارًا، والقرب من ابن آدم، وتلقّي الملكين، وذكر المتَّقين، وقول العتيد، وذكر الرَّقيب، والتّنقيب في البلاد، وذكر القتل مرّتين، وتشقّق الأرض، وإلقاء

1. ينظر: الزركشي، البرهان، ج 1ص 37.
2. ينظر : خلود العموش، الخطاب القرآني من دراسة في العلاقات بين النص و السياق، ص 110.

الرّواسي فيها...، وسرّ آخر هو أنّ كلّ معاني السورة مناسبة في حرف القاف من الشدّة والجهر والقلقلة والانفتاح"[1].

فقد ذكر الزركشي سبب تسمية هذه السورة بـ (ق) لما تكرّر فيها من ذكر الكلمات بلفظ (ق)، وحرف القاف من الحروف المقطعة للتّنبيه على إعجاز القرآن، ولما يتمتّع به من مميزات صوتيّة جعلته الحرف الأنسب لمضمون السورة.

وهكذا استطاع الزركشي ببراعة كبيرة أن يرصد علاقات المناسبة بين السور رصدا كشف فيه إمكانات أسلوبيّة وإعجازيّة في النصّ القرآني المقدّس، كما أشار إلى التّماسك الموضوعي بين السور الذي لم يبرز بشكل واضح إلا مع السيّد قطب في ظلاله [2]، وبيان الوحدة الدلاليّة أو الشكليّة النحويّة واكتشاف العلاقات أو المناسبات الرابطة بين الآية والآية من جهة، وبين السورة و السورة من جهة أخرى، لتؤكّد ذلك البناء المتماسك بالنصّ القرآني الذي يبدو كالكلمة الواحدة.

ويمكن القول أنّ المناسبة في النصّ القرآني تعدّدت تشكّلاتها بتعدّد مواضيع السور داخل الخطاب القرآني، شأنها في ذلك شأن العديد من سور القرآن الكريم، لكن هذا التعدّد لم يحل بين انسجامها وتوافقها شكليا ودلاليا؛ بل أكّده وهذا سرّ من أسرار النصّ القرآني الإعجازي، فارتبطت السور بعضها ببعض برباط خارجي، كما ارتبطت الآيات داخل هذه السورة على اختلاف مواضيعها برباط داخلي، شكّل بنية مفهوميّة واحدة دون تفكيك أو تناقض.

المناسبة بين الآيات:

إذا كان البحث عن المناسبة بين السور قد حاول أن يقيم للنّص وحدة عامّة تعتمد على تأسيس علاقات متعدّدة ومختلفة ذات طابع تأويلي في أغلب الأحيان؛ فإنَّ البحث عن المناسبة بين الآيات يدخلنا مباشرة في صميم الدّرس اللّغوي لآليات النصّ وقد ذكر الزّركشي أثناء حديثه عن المناسبة بين الآياتِ نوعين من الارتباط الذي قد يكون بين الآيات:

1. الزَّركشي، المصدر السابق، ج1، ص46.
2. ينظر: نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، المرجع السابق،ص 163.

1-التّرابط بين الآيات المعطوفة:

قد تكون الآية معطوفة على ما قبلها، ويشكّل وجه الارتباط فتحتاج إلى شرح مثل قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ (سورة البقرة، الآية 189)، فالسؤال المطروح هنا عن تلاوة هذه الآية هو: ما وجه ترابط السؤال عن الأهلّة بإتيان البيوت من ظهورها ؟ وهنا يقول الزركشي الجواب عن هذا السؤال من وجوه مختلفة:

– **من باب المقام:** أي أنّ المقام هنا هو الذي يفسّر وجه التّماسك في الآية؛ وذلك عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلّة ونقصانها كأن يقول معلوم أنّ كلّ ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة ومصلحة لعباده، فادعوا السؤال عنه، وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم ممّا ليس من البرّ في شيء وأنتم تحسبونها برّا [1].

– **من باب الاستطراد:** لما ذكر الزركشي أنّه من مواقيت الحجّ، وكان هذا من أفعالهم في الحجّ، ففي الحديث أنّ أناسا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب، فإن كان من أهل المدر نقّب نقبا في ظهر بيته، منه يدخل ويخرج أو يتّخذ سلما يصعد به، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم: ليس البرّ بتحرجكم من دخول الباب، لكن البرّ من اتقى ما حرّم الله، وكان في حقّهم السؤال عن هذا وتركهم السؤال عن الأهلّة، ونظيره في الزيادة على الجواب قوله صلّى الله عليه وسلّم لما سؤل عن الوضوء بماء البحر فقال: "هو الطّهور ماؤه، الحلّ ميتته"[2]، فوجه الارتباط في الآية من جهة الاستطراد عندما ذكروا مواقيت الحجّ؛ وكانت تلك تصرّفاتهم في الحجّ، إذ استطرد سبحانه وتعالى إلى تلك التصرّفات وأنّها ليست من البرّ في شيء.

– **من قبيل التّمثيل:** لما هم عليه من تعكيسهم لسؤالهم وأنّ مثلهم كمثل من يترك بابا ويدخل من ظهر البيت، فقيل لهم: ليس البرّ ما أنتم عليه من تعكيس الأسئلة، ولكن البرّ من اتقى ذلك، ثمّ قال

1. الزركشي: البرهان، ج1، ص 39.
2 . البرهان:المصدر السابق، ص 39.

تعالى:﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ (سورة البقرة، الآية 189)؛ أي باشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا [1]؛ بمعنى أُدخلوا كعادة الناس من الأبواب والمراد النهائي أن يصمّم القلب أنّ جميع ما أمر الله تعالى به فيه حكمة وإن اختفت [2].

– **علاقة حسن التخلّص**: يرى الزركشي أنّ حسن التخلّص موجود في القرآن الكريم كما في الشعر الجيّد يقول: "وبهذا يظهر لك اشتمال القرآن العظيم على النّوع المسمّى بالتخلّص"[3]، كما أنّ علاقة حسن التخلّص صفة تماسكيّة موجودة في كلّ كلام رفيع، شعرا أو نثرا به يتفاوت الشّعراء والبلغاء؛ حيث يقول الجاحظ:" أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللّسان كما يجري على الدهان"[4]، ويدرج ابن الرشيق هذا القول في باب النظم، فصل " أجود الشعر" ممّا يدلّ على أنّ حسن التخلّص سمة أصيلة من سمات الكلام الجيّد.

ومن أمثلة حسن التخلّص قوله تعالى:﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ (سورة النور، الآية 35)، فإنّ فيها خمس تخلّصات: وذلك أنّه جاء بصفة النّور وتمثيله، ثمّ تخلّص منه إلى ذكر الزجاجة وصفاتها، ثمّ رجع إلى ذكر النّور والزيت يستمدّ منه، ثمّ تخلّص منه إلى ذكر الشّجرة، ثمّ تخلص من ذكرها إلى صفة الزيت، ثمّ تخلّص من صفة الزيت إلى صفة النّور وتضاعفه، ثمّ تخلّص منه إلى نعم الله بالهدى على من يشاء [5].

1 . الزركشي: المصدر نفسه، ص 39 و 40.

2 .السيوطي: معترك الأقران، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ج1، ص 56.

3 .الزركشي، المصدر نفسه، ص 41.

4 .الجاحظ: البيان و التبيين، المصدر السابق، ص 55.

5. الزركشي، المصدر السابق، ص 41.

2-التّرابط بين الآيات غير المعطوفة:

من الأمثلة التي تندرج ضمن النّوع الثّاني من الآيات ما تناوله الزركشي من آيات غير معطوفة فراح يبحث في أسرار التّماسك بين هذه الآيات التي يوحي ظاهرها بعدم وجود أيّ ارتباطٍ محاولا أن يُقدّم تفسيرًا يُعلّل تجاور تلك الآيات ويمكن استخلاص قراء الزّركشي لتلك الآيات في بعض العلاقات مثل: علاقة التّنظير، علاقة التّضاد، تقدير المحذوف وغيرها وهي كالآتي:

أ- علاقة التّنظير:

يرى الزّركشي أنَّ إلحاق النظير علاقة منطقيّة فمن دأب العقلاء إلحاق النّظير بالنظير ويدرجُ ضمن هذه العلاقة التّماسك الموجود في قوله تعالى:﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ (سورة الأنفال، الآية 5)، عَقبَ قوله تعالى:﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال، الآية 4)، إنّ الإشكال الذي تطرحه الآيتان هو ما وجه التّماسك بين"أولئك هم المؤمنون حقّا" وبين " كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ من بيتك بالحقّ "، يعلّل الزركشي التّماسك في الآيتين بعلاقة التّنظير حيث يقول: " فإنَّ الله سبحانهُ أمر رسولهُ أن يمضيَ لأمره في الغنائم على كُرْهٍ من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العِيرِ وهم كارهون، وذلك أنّهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأنفال، وحاجّوا النبي صلّى الله عليه وسلّم وجادلوه، فكره كثير منهم ما كان من فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم في النقل، فأنزل الله هذه الآية التي وصفت المؤمنين حقّا وأمرهم أن يتّقوا الله ويطيعوه ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء ما بعد أن كانوا مؤمنين..."[1]، فالتّنظير حسب الزركشي هو المناسبة التي جمعت بين هاتين الآيتين؛ وذلك تناظر الحدثين وتماثل ردّ فعل المسلمين، وهو كراهتهم لما فعله الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بشأن الغنائم، كما كرهوا الخروج معه من بيته لطلب العير.

1. الزَّركشي، المصدر نفسه، ج1،ص74.

ب- علاقة المضادّة:

يدرك وجه التّرابط بواسطة هذه العلاقة في أوائل سورة البقرة كقوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ (سورة البقرة، الآية 6)، ويعلّق الزركشي على ذلك: " فإنّ أوّل السورة كان الحديث عن القرآن الكريم، وأنّ من شأنه كيت وكيت، وأنّه لا يهدي القوم الذين من صفاتهم كيت وكيت فرجع إلى الحديث عن المؤمنين، فلمّا أكمله عقّب بما هو حديث عن الكفّار، فبينهما جامع وهمي بالتّضاد من هذا الوجه"[1]، وهكذا فإنّ وجه التّرابط واضح في الآية، فذكر الله سبحانه صفات المؤمنين في الآيات السابقة، أعقبها بذكر صفات الكافرين، ليظهر الفارق الواضح بين الصنفين على طريقة القرآن الكريم في المقارنة بين الأبرار والفجّار، والتّمييز بين أهل السّعادة وأهل الشّقاوة، كما قيل "وبضدّها تتغيّر الأشياء"[2]، ومنه فالرابط المعنوي بين الآية السّابقة والآيات قبلها هو مناسبة التّضاد، وتفهم من سياق الكلام.

وبناء على ما سبق، يمكن القول أنّ علم المناسبة يقوم على أساس البحث عن العلاقات الرابطة بين الآيات داخل السورة الواحدة وبين السور المتتاليّة، ليبيّن أنّ القرآن بناء محكم في مبانيه ومعانيه، وإذا أمعنّا النظر فيما عرضه الزركشي من أنواع المناسبات سواء بين السور أو بين الآيات، وتلك العلاقات الرابطة بينهما من باب الارتباط الظاهر، كعلاقة العطف وعلاقة المضادّة، أو من باب الارتباط غير الظاهر كالاستطراد والتّنظير والتخلّص، فإنّ كلّ هذه العلاقات تمثّل مظاهر الانسجام النصّي القرآني وفق نظرة الزركشي، ومجيء هذه الآيات والسور مرتّبة ومنظّمة على هذا المنوال الذي جاءت به يعتبر بابا ومظهرا من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وهذا ما جعله يتميّز بذلك التّماسك والانسجام الذي لا نجده في غيره من النّصوص البشريّة، وأعجز العرب في معارضته والإتيان بمثله. وسنجمل هذه المظاهر النصيّة التي احتوتها مدوّنة الزركشي في المخطط الآتي:

1 . الزركشي، المصدر السابق، ج1، 45.

2 . مُحَمَّد علي الصابوني : صفوة التفاسير، المصدر السابق، مج1 ، ص 27.

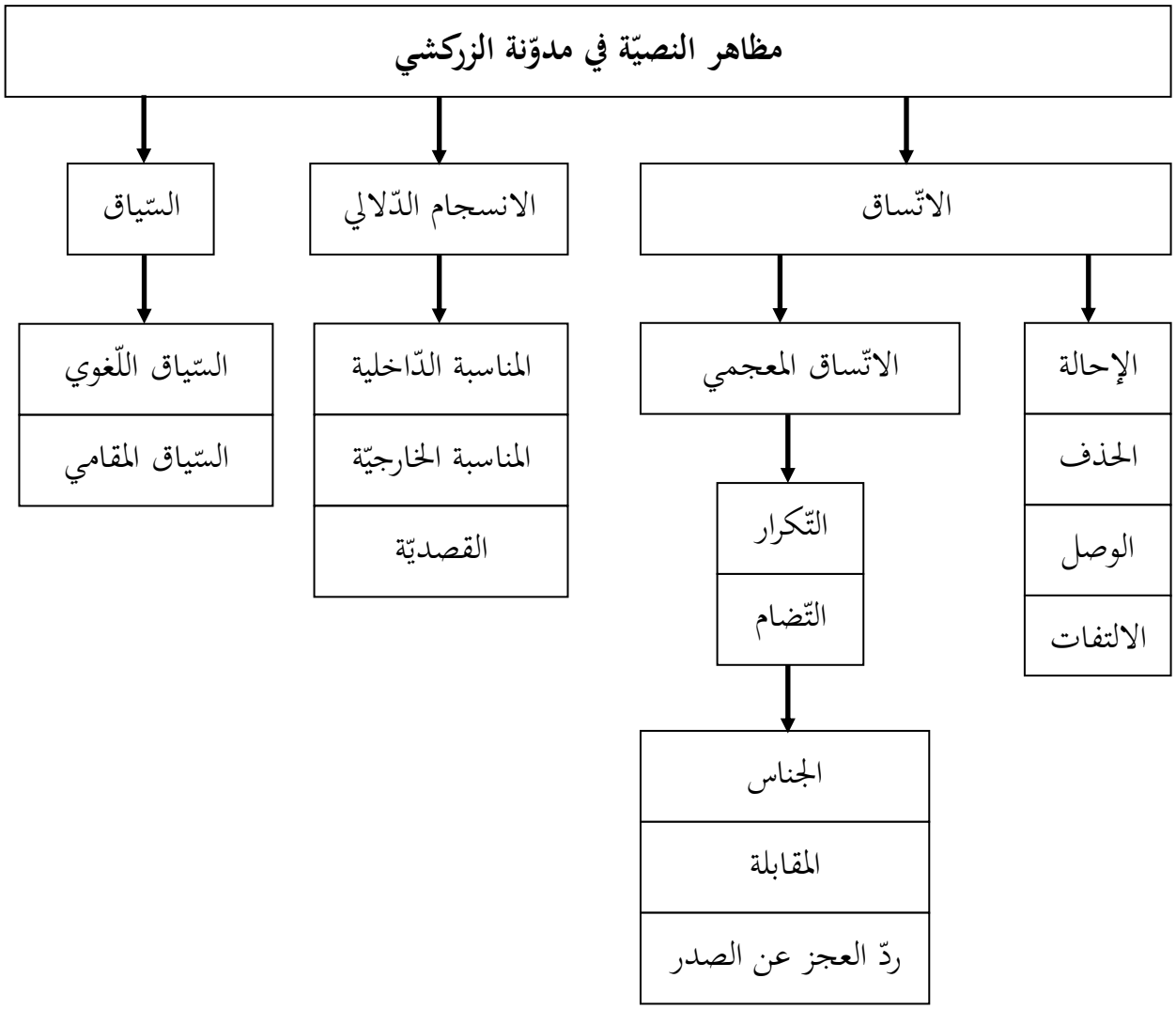

الشّكل رقم (18): مظاهر النصيّة عند الزركشي

خـــــاتمة

إذا كانت الدّراسات اللسانيّة قد انحصرت في تحليل الجملة قبل الستينات، فقد كان عليها الانفتاح بعد ذلك على النصّ، لذلك كانت لسانيات النصّ الفرع المعرفي الجديد، وقد تكفّل هذا البحث باستقصاء جوانب لسانيّة نصيّة بارزة، سعينا على لمّ شتاتها لتخرج في صورة متناغمة جمعنا فيها التّنظير بالتّطبيق مع رحلة ممتعة في كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام الزّركشي حتى تتّضح الصورة، ولعلّ قارئ هذه الرّسالة يستطيع أن يهتدي إلى جملة من النتائج نذكر منها:

– كان لعلماء التّراث اللّغوي العربي ممارسات نصيّة لم يسبقهم إليها أحد، في مجال البلاغة والنقد الأدبي والتّفسير وعلماء القرآن وأصول الفقه أمثال: الجاحظ والجرجاني والقرطاجني والسيوطي، فالجاحظ استطاع أن يقدّم نظرية نصيّة واضحة عرفت بنظرية النظم، والتي ركّزت على أهمية ربط الأجزاء بعضها ببعض، وأصبح الخطاب كلّه دفعة واحدة، وقدّم حازم القرطاجني تصوّرا حول مفهوم التّماسك النصّي من خلال قصيدة المتنبي، فتكلّم عن تماسك الفصل وعلاقة الجزء بالكلّ، واهتمّ السيوطي بالعلاقات النصيّة التي يبنى على أساسها القول بالتّرابط بين سورة وأخرى، كما وضّحنا ذلك في الفصل الأوّل.

– تسعى لسانيات النصّ إلى الوقوف على دلالات النصّ، باعتبارها أكبر وحدة لغويّة متجاوزة في ذلك دراسة الجملة، مع أخذها بعين الاعتبار لدى المتلقّي قصد إتمام العمليّة التواصليّة بين الباثّ والمستقبل شريطة أن تكون لديها علاقة بالسّياق بنوعيه اللّغوي والمقامي.

– إنّ الانتقال من الجملة إلى النصّ ليس انتقالا صوريا منطقيا، بقدر ما هو انتقال منهجيّ، اشتمل على المفاهيم والطرق والأدوات، وكلّ ما ارتبط بالنصّ؛ أي الانتقال من البنية الصغرى (الجملة) إلى البنية الكبرى (النصّ) شريطة أن تكون عملية انتقال المتلقّي أثناء التّعامل مع النصّ تعاملا نصيّا .

– إنّ أغلب الدّراسات التي تطرّقت إلى بناء النصّ انطلقت من مرجعيات علم النصّ محاولة رصد ظاهرتي الاتّساق والانسجام النصيّ في مكوّنات الأبنيّة النصيّة سواء على مستوى البنية الصغرى أو البنية الكبرى.

– بالرغم من تباين تعريفات النصّ لدى اللغويين والنقّاد، إلا أنّها تشترك في تأكيديها على خاصية ترابط النصّ وتماسكه وانسجامه مع سياق خاصّ أو مقام يتعلّق بالعلاقات القائمة بين القارئ والواقع من خلال اللّغة ليؤدّي النصّ وظيفة تواصليّة بين منتج النصّ و متلقّيه.

– إنّ مصطلح الخطاب من حيث الدّلالة والمفهوم يبدو في كثير من الدّراسات الغربيّة و حتى العربيّة نفسها نوعا من التّداخل و عدم التباين مع مصطلح النصّ، و قد وضّحنا تلك الفروق بينهما عند علماء النصّ و تحليل الخطاب في المبحث الأوّل من الفصل الثّالث من هذه الدراسة، لكن رغم ذلك فقد جمع الباحث محمّد خطابي بين المصطلحين بمعنى واحد؛ لأنّ النصّ يخضع في رحلة قراءته إلى ظروف إنتاجه التي تجعل منه خطابا، ويعبّر عن موضوعه ببناء متناسق منسجم .

– الخطاب القرآني كنصّ يخضع لنظام لساني وشكلي ولغوي تحدّده اللّغة العربيّة بغضّ النظر عن أهمّ ميزة فيه وهي أنّه وحي من السّماء، يتّسم بسيمة الإعجاز التي وقف عندها الكثير من الدّارسين العرب مثل: الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز وغيرهم .

– أفرزت جهود الباحثين لتعريف النصّ على أنّه وحدة لغويّة مهيكلة تجمع بين عناصره علاقات وروابط معيّنة على سبعة معايير ذكرها دي بوجراند في كتابه "النصّ والخطاب والإجراء؛ بحيث حقّقت اللسانيات النصيّة بها نظرية واسعة النطاق وهذا ما يجعل النصّ كلا مترابطا منسجما، وقد شرحنا ذلك في المبحث الثّاني من الفصل الثّالث من هذه الدّراسة.

– يمثّل التّماسك النصّي الحجر الأساس في التّحليل النصّي المعاصر؛ فهو يعني بمسألة تلاحم أجزاء النصّ الواحد كما أشار إليه محمّد مفتاح في كتابه: انفتاح النصّ الروائي، في حين يطلق عليه تمام حسّان بالسبك، كما وضّحنا ذلك ضمن الجدول الذي رسمناه في الفصل الأوّل .

– الإمام الزركشي رغم قصر عمره، إلا أنّه ترك تراثا ضخما في سائر الفنون نظرا لتأثّره بالحركة العلميّة والفكريّة التي كانت سائدة في مصر، وتتلمذ على يده عدد كبير من علماء عصره أمثال: شمس الدّين البرهاوي ومحمّد العسقلاني وغيرهم، وهذا ما يدلّ على كثرة اطلاعه لمختلف العلوم خدمة للدرس اللّغوي عامّة.

– كتاب البرهان من الكتب التي تحتلّ مكانة مرموقة في علوم القرآن، وقد استقى الزركشي مادّتها من العلماء السّابقين، يحتوي على مباحث تقترب كثيرا من حيث الإجراءات التطبيقيّة من منهج لسانيات النصّ الحديثة، وخاصة علم المناسبات الذي يبحث في العلاقات الرابطة بين آيات القرآن الكريم وسوره.

– إنّ مفهوم النصّ حاضر في ذهن الزركشي، يصدر عنه في تحليلاته، فالنصّ القرآني عنده نصّ لغويّ محكم متلاحم الأجزاء، له موضوع و غرض واحد يجمع ما تفرّق من موضوعاته الجزئيّة، وأنّ قصد الشّارع فيه واحد تدور حوله كلّ المواضيع و هو قضية التّوحيد ولذلك جاء عمله من خلال هذه العلوم بحثا عن آليات اتّساقه و انسجامه التي تصنع وحدته وكأنّه كالسورة الواحدة، رغم تعدّد آياته و سوره.

– أثبت البحث أنّ الاتّساق من أهمّ مفاهيم لسانيات النصّ، يؤدّي دورا مهمّا في تماسك النصّ وأنّ هذا المصطلح له حضوره عند الزركشي؛ ممّا جعله يحظى بعناية خاصّة برزت في علوم القرآن التي وضعها كجهاز تفسيري للمتصدّي لكتاب الله دراسة وفهما، إذ لم نعثر على تحديداته في كتاب البرهان مباشرة، لكنّنا وجدنا الكثير من آليات الاتّساق فيه،كالإحالة والحذف والوصل والتّكرار والتّضام...الخ، ما يؤكّد بوعيه العميق بهذا المصطلح وكأنّه حاضر في ممارسته التطبيقيّة.

– أكدّ البحث أنّ الإحالة من أكثر الظّواهر اللغويّة التي انتشرت في كتاب الزركشي، تمثّلت في الضمائر الإحاليّة التي استطاعت أن تحقّق التّماسك الدّاخلي والخارجي للنصّ؛ حيث ربطت بين أجزاء النصّ القرآني من خلال عودة اللفظ المحيل على مفسّره، وهذا ما يجعل جمل النصّ وآياته تشكّل لحمة واحدة.

– يتجلّى الوصل أيضا في تماسك النصّ القرآني؛ وذلك عن طريق العطف سواء كان عطف مفرد أو عطف جمل، حيث يسمح بتكوين آية أو الربط بين آيتين في سورة واحدة فيسهم في اتساق النصّ وجعله كلا موحّدا.

– أثبت البحث وجود ظاهرة الحذف كثيرا في مدوّنة الزركشي، فلا تكاد تخلو منها آية أو سورة من القرآن، فهو يسهم في تماسك النصّ وترابطه عند وجود الدّليل عليه؛ حيث نستطيع ربط البنية السطحيّة بالبنية العميقة، والمحذوف يكون إمّا اسما أو فعلا أو حرفا كما بيّنا طلك في هذه الدّراسة.

– أكدّ الزركشي أنّ التّكرار من أحد العناصر المهمّة في بناء النصّ القرآني، وتماسكه وانسجامه؛ إذ بواسطته يتجاوز النصّ حدود الجملة إلى بنيته الكليّة، وأنّ كلّ تكرار في القرآن يأتي ليؤكّد فكرة فلا يتكرّر اللفظ بالمعنى نفسه في السّياق نفسه.

– للتّكرار قيمة دلاليّة تجسّدت في تحديد المعاني الخفيّة في الآيات والسور، يتطلّبها السياق ويدعو إليها المقام كالتّأكيد والتّقرير والتّنبيه والتّعظيم والتّعجب...وما إلى ذلك، وقد يكون التّكرار لفظيا أو معنويا كما وضحنا في الجانب التطبيقي من هذه الدّراسة.

– برز التّضام في عملية تماسك النصّ القرآني في شكل علاقات متنوّعة، إمّا ترادف أو تضادّ أو ردّ العجز على الصدر وغير ذلك من العلاقات التي يحدّدها القارئ أو السياق لتحديد التّرابط النصّي داخل الآيات والسور.

– مصطلح الالتفات حاضر في كتاب الزركشي على أنّه نوع من أنواع الإحالة الضميريّة التي لها علاقة بسياق المقام والمقال بمختلف أبعاده شكلا ومضمونا، فقد اقتصر عند البلاغيين في بعده النفسي ضمن دراستهم للخطاب، بينما اللسانيون العرب وعلى رأسهم ابن جنّي فهو أشمل من ذلك، والزركشي الذي حدّد أساليبه و أغراضه كالالتفات من التكلّم إلى الخطاب أو من الغيبة إلى التكلّم...الخ ودعوة المتلقّي إلى التأمّل في آيات الخطاب القرآني تعرّفا على أسرار إعجاز فصاحته وبيانه.

– يتحقّق الانسجام النصّي في القرآن الكريم على المستوى الدّلالي في رأي الزركشي من خلال عدّة روابط قد تكون ظاهرة مثل (علاقة العطف وعلاقة المضادّة) وقد تكون غير ظاهرة مثل الاستطراد و التّمثيل و حسن التخلّص و الانتقال من موضوع إلى آخر في السورة الواحدة.

– إنّ المناسبة بين الآيات ونظمها وترتيبها على هذا المنوال الذي جاءت به يعتبر بابا و مظهرا من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، و هذا ما جعله يتميّز بذلك التّماسك و الانسجام الذي لا نجده في غيره من النصوص البشريّة، وهذا ما أعجز العرب في معارضته و الإتيان بمثله.

– يتجسّد الانسجام النصّي من خلال ما ورد من آليات إجرائيّة في كتاب البرهان، والمتمثّلة في معرفة أسباب النزول والمناسبات بين الآيات والسور، وكلّها آليات تبيّن مدى تماسك النصّ القرآني من وجهة نظر الزركشي، وتتضافر كلّها للوصول إلى تحقيق التّماسك الكلّي للقرآن الكريم مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ هذا لا يتحقّق إلا بعد بيان اتصال الآيات بعضها مع بعض، وارتباط السور مع بعضها البض في موضوع واحد من خلال وسيلتين هما:التّناسب الدّاخلي والتّناسب الخارجي.

– تطرّق الزركشي إلى فضاءات سياقيّة متنوّعة، ساهمت في بيان ترابط النصّ القرآني وانسجامه والمواقف التي سيقت له، وهذه السياقات لا تخرج عن دائرة السياق اللّغوي والسياق المقامي؛ أي جعل السّياق بنوعيه أساسا للتّحليل النصّي (ظروف تنزيل القرآن، وأسباب النزول، مكونات الخطاب وتنظيمه، والعلاقات بين أجزائه والتّناسب بين هذه الأجزاء)، وكلّها ظواهر سياقية تساعد على قراءة النصّ القرآني وفهمه فهما سليما، ممّا جعله يضمن كتابه أبعادا سياقيّة ذات أهمية في إزالة الالتباس وتعدّد التأويلات التي من شأنها الإخلال بمقصديّة الخالق.

– وعموما فإنّ كتاب البرهان في علوم القرآن بحاجة ماسّة إلى مزيد من الدّراسات الأكاديميّة المتخصّصة فيما تمّ الإشارة إليه أو دراسته من زاوية أخرى؛ وذلك حتى تضع الكتاب وصاحبه في المكان اللائق بهما ونوفّيها حقّهما.

– وأخيرا يبقى باب الاجتهاد في البحث في الكتب التراثيّة المتعلّقة ببيان إعجاز القرآن مفتوحا أمام الدّارسين و خاصّة ما يتعلّق بنظم هذا الكتاب العزيز و أسلوبه المتفرّد عن غيره، فهو بحر زاخر لا تنتهي مكنوناته و أسراره، و من بين التوصيات التي نوصي بها:

– إنشاء مخابر علميّة متخصّصة في هذا الحقل (تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النصّ) للاستفادة أكثر من القرآن الكريم وإثراء المكتبات العربيّة بها.

– إدخال اللسانيات النصيّة في منظومتنا التربويّة (البرمجة النصيّة)، خاصّة في الأنشطة اللّغوية كدراسة النصّ وفهم المنطوق وإنتاج المكتوب التي تساعد المتعلّم على فهم بنية النصّ.

– الانطلاق في عملية التّحليل اللّغوي من المقاربة النصيّة إدراكا للعلاقات بين الأنشطة اللّغوية سواء على المستوى التّعليمي ما قبل الجامعة، خاصّة في التّعليم الثانوي وما بعد الجامعة.

– الحثّ على جمع المصطلحات التراثيّة في معجم لساني نصّي تدعيما للمكتبة الجزائريّة والعربيّة.

– تشجيع البحث العلمي في مجال اللسانيات بصفة عامّة ولسانيات النصّ بصفة خاصّة لإدراك دلالة النصّ و معرفة خباياه و أسراره و سياقاته المختلفة.

– إنشاء تخصّصات بالجامعات في اللسانيات النصيّة وتحليل الخطاب ولاسيما فيما يتعلّق بالنحو الوظيفي وتداوليّة الخطاب التّعليمي والخطاب النبوي ...الخ، لتكوين الطلبة في هذا المجال.

– الاستفادة من علماء التّراث العرب من حيث المصطلح و التّعريف بهؤلاء الأمجاد المذكورين في بحثنا، الذين خدموا اللّغة العربيّة.

– لابدّ من الالتفات إلى المصطلح النصّي في الدّراسات التراثيّة (ما يتعلّق بالتّفسير وعلوم القرآن و النقد و البلاغة...).

وأخيرا نسأل الله أن يتقبّل منا هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينتفع به طلبة العلم وسائر المؤمنين وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الملاحـــق

- ملحق الآيات القرآنية
- ملحق الشواهد الشعرية
- ملحق الجدوال
- ملحق الأشكال
- ملحق المصطلحات اللسانيات ومايقابلها باللغة الأجنبية

1-ملحق الآيات القرآنية:

الشّاهد القرآني	اسم السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَ ءَاتَيْنَٰهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾	سورة ص، الآية 19	35
﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ﴾	سورة ص، الآية 22	35
﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابا﴾	سورة النبأ، الآية 37	35
﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾	سورة الإسراء، الآية 88	36
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾	سورة الأعراف، الآية 158	36
﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	سورة "هود"، الآية 01	39
﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾	سورة البقرة، الآية 34	39
﴿الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾	سورة البقرة، الآيتان 1 و 2	65
﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾	سورة البقرة، الآية02	76
﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	سورة آل عمران، الآية 03	76
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	سورة الحج، الآية 77	76
﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ(3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾	سورة المؤمنون، الآيتان 1و4	76
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾	سورة الشرح، الآية1	77
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾	سورة الضحى، الآية 6	77
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ	سورة التغابن، الآية 14	77

فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾		
﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	سورة الإنسان، الآية 31	77
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (5) ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾	سورة السجدة الآية 04و06	157
﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	سورة الأنعام، الآية 71	168
﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾	سورة يوسف الآية 84	169
﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾	سورة القيامة، الآية 17	187
﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾	سورة طه الآية 121	189
﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾	سورة طه، الآية 67	189
﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾	سورة المائدة، الآية 08	189
﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾	سورة ص، الآية 32	190
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾	سورة البقرة، الآية 228	190

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	سورة الإخلاص، الآية 01	191
﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾	سورة الأنعام، الآية 29	191
﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾	سورة المائدة، الآية 6	193
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾	سورة البقرة، الآية 43	194
﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾	سورة الحديد، الآية 4	194
﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	سورة البقرة، الآية 245	194
﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْهَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾	سورة يوسف الآية 31	195
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾	سورة البقرة، الآية 6	195
﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	سورة البقرة، الآية 5	196
﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	سورة البقرة الآية 5	196
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾	سورة النساء، الآية 1	197
﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	سورة القيامة، الآية 1	197
﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾	سورة الرعد، الآية 35	198
﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ10 فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾	سورة القمر، الآيتان 10 و 11	199
﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾	سورة يوسف، الآيات 45 و 46	199
﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	سورة التّكاثر، الآيتان 3 و4	201
﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾	سورة المؤمنون، الآية 36	202
﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾	سورة الأنبياء، الآية 31	202

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (15) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾	سورة الإنسان، الآيتان 15 و 16	202
﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾	سورة الشرح، الآيتان 15 و 16	202
﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾	سورة الحجر، الآية 30	203
﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	سورة آل عمران، الآية 188	203
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾	سورة الروم، الآية 55	205
﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾	سورة الشعراء، الآيتان 79 و 80	205
﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	سورة الرحمن، الآية 13	205
﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾	سورة القمر، الآية 16	206
﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾	سورة المدثر، الآيتان 19 و 20	206
﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾	سورة المدثر، الآية 17	206
﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾	سورة المدثّر، الآية 24	206
﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾	سورة الكهف، الآية 18	207
﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾	سورة الكهف، الآية 17	207
﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾	سورة الرحمن، الآية 17	207
﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾	سورة التوبة، الآية 82	208
﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾	سورة الممتحنة، الآية 10	209
﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾	سورة الأنبياء، الآية 37	209

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	سورة يس، الآية 22	210
﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾	سورة فاطر، الآية 9	211
﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (88) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾	سورة مريم، الآيتان 88 و 89	211
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾	سورة الكوثر، الآيتان 1 و 2	211
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىَ الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ البَصِيرُ﴾	سورة الإسراء، الآية 1	211
﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾	سورة الدّخان، الآية 49	214
﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾	سورة البقرة، الآية 233	215
﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾	سورة الكهف، الآية 24	215
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾	سورة النساء، الآية 82	219
﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾	سورة الفاتحة، الآية 4	222
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	سورة الفاتحة، الآية 5	222
﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	سورة الفاتحة، الآية 6	222
﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	سورة البقرة، الآية 2	222
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	سورة الفاتحة، الآية6	222
﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾	سورة القصص، الآية 17	222
﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾	سورة القصص، الآية 85	223
﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾	سورة الفيل، الآية 05	223

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾	سورة قريش، الآيتان 1 و 2	223
﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾	سورة القصص، الآية 08	223
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾	سورة الكوثر، الآية 01	224
﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾	سورة ق، الآية 1	225
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾	سورة البقرة، الآية 189	226
﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾	سورة البقرة، الآية 189	227
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾	سورة النور، الآية 5	227
﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾	سورة الأنفال، الآية5	228
﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾	سورة الأنفال، الآية 4	228
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾	سورة البقرة، الآية 6	229

2–ملحق الشّواهد الشعريّة:

الشّاهد الشعري		الشّاعر	الصفحة
إِذَا اِحْتَدَمَ الجِدالُ فَكُنْ رَزِيناً	وَ أَجْمَلُ في المَنَاقَشَةِ الخِطابَا	الشافعي	28
أُغالِبُ فيكَ الشَوقَ وَالشَوقُ أَغلَبُ	وَأَعجَبُ مِن ذا الهَجرِ وَالوَصلُ أَعجَبُ	المتنبي	72
وَيَومٍ كَلَيلِ العاشِقينَ كَمَنتُهُ	أُراقِبُ فيهِ الشَمسَ أَيّانَ تَغرُبُ		
وَعَيني إِلى أُذنَي أَغَرَّ كَأَنَّهُ	مِنَ اللَيلِ باقٍ بَينَ عَينَيهِ كَوكَبُ		
وَما الخَيلُ إِلّا كَالصَّديقِ قَليلَة	وَإِن كَثُرَت في عَينِ مَن لا يُجَرِّبُ		

3–ملحق الأشكال:

الشّكل	الصفحة
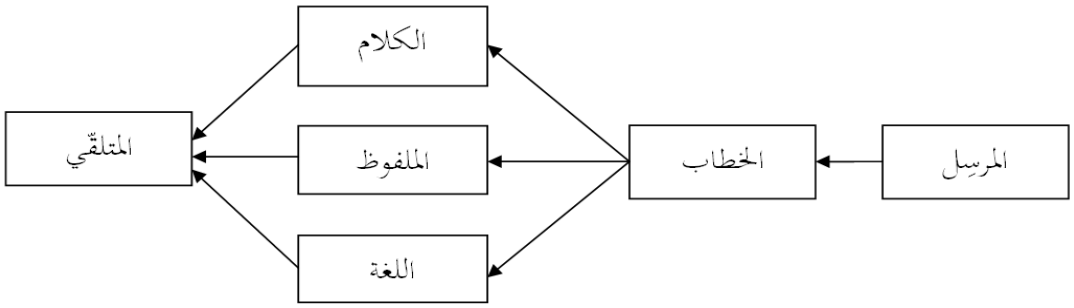 الشّكل رقم (01) : الخطاب عند جون ديبوا	31
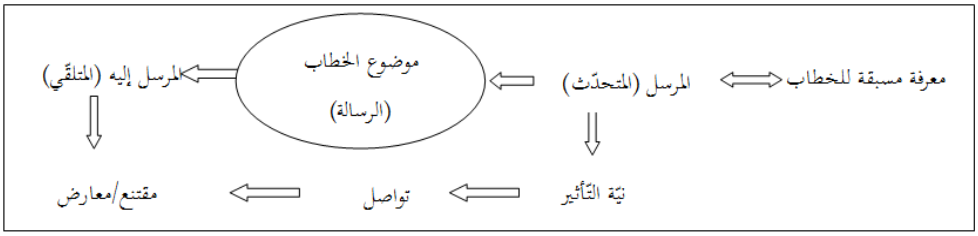 الشكل رقم (02) عناصر الخطاب	32

40

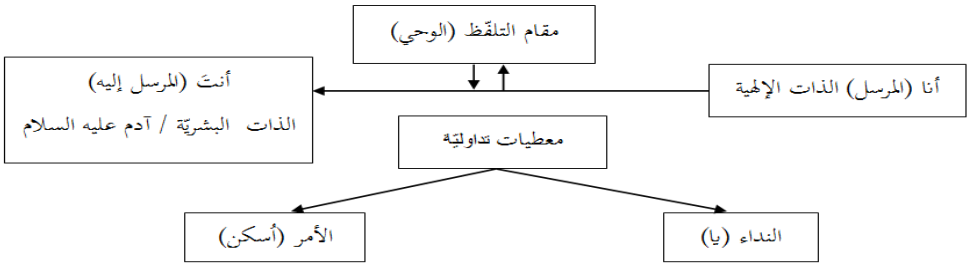

الشكل رقم (03) عناصر التّواصل في الخطاب القرآني

46

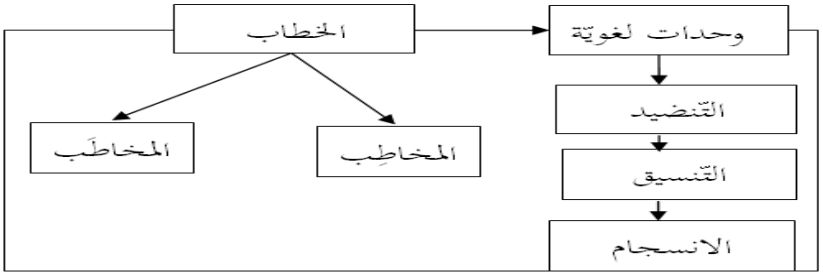

الشكل رقم (04) عناصر الخطاب و وحداته اللّغويّة

47

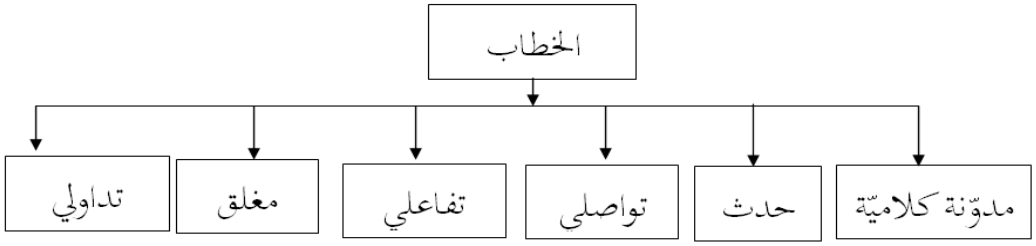

الشّكل رقم (05) مفهوم الخطاب عند محمّد مفتاح

60

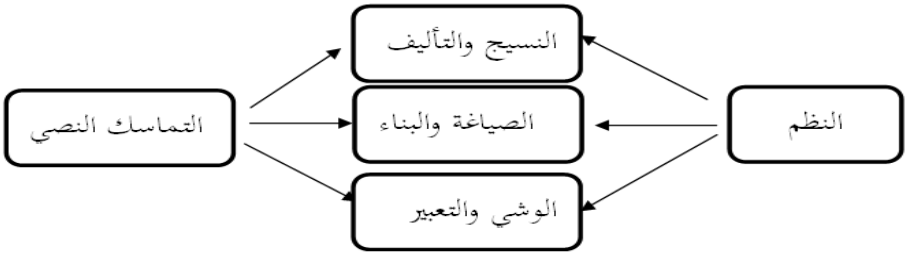

الشكل رقم (06) عناصر التماسك النصي عند الجرجاني

61

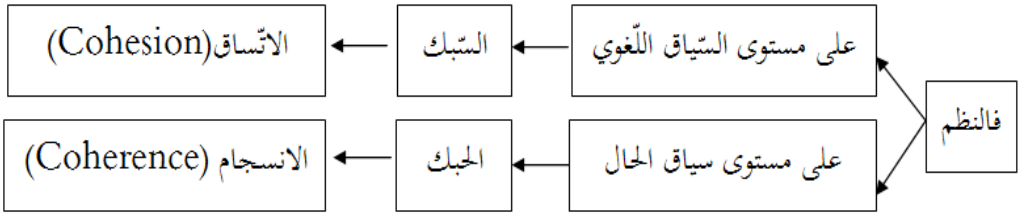

الشّكل رقم (07): النّظم عند الجرجاني

135

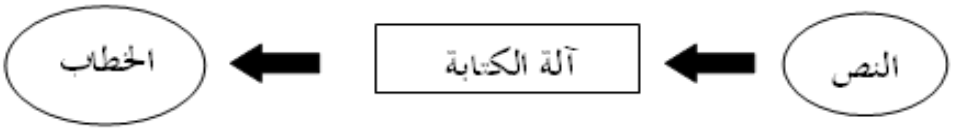

الشكل رقم (08) علاقة النص بالكتابة

148

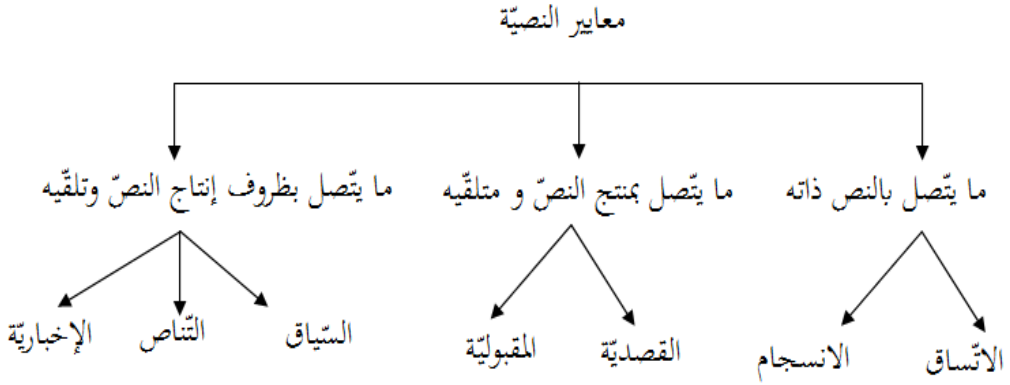

الشّكل رقم (09): أقسام النصّية عند سعد مصلوح

153

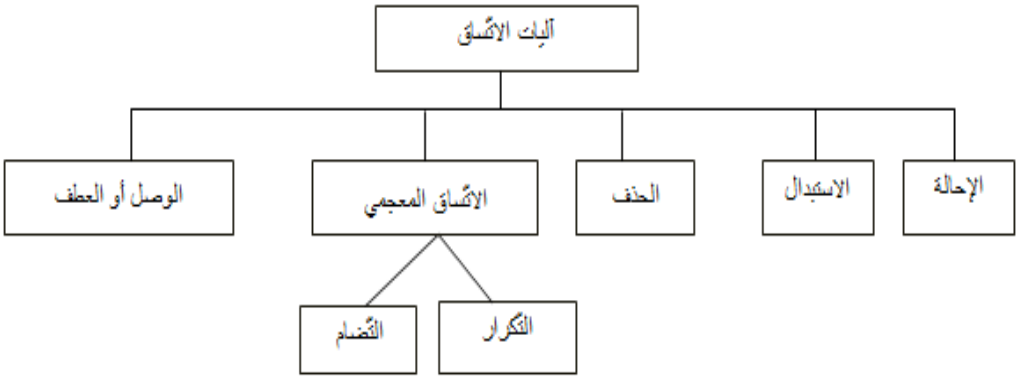

الشكل رقم (10) آليات الاتّساق

158

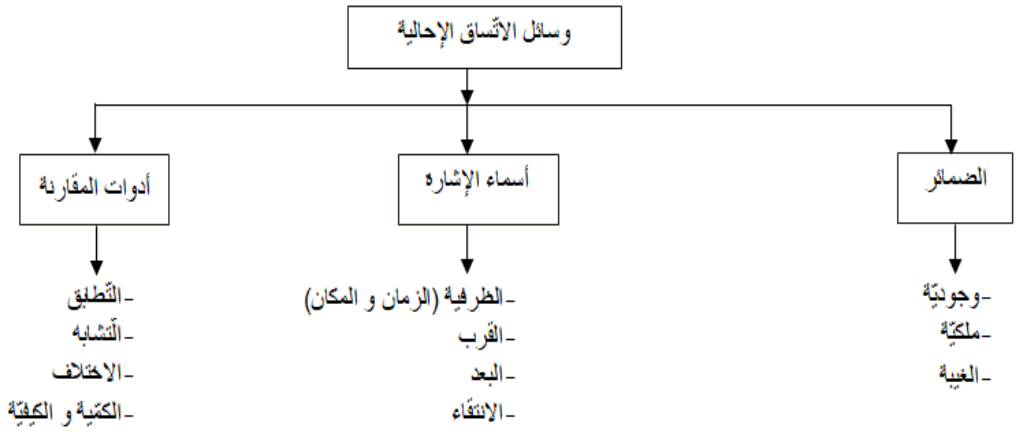

الشّكل رقم (11): وسائل الاتّساق الإحاليّة

159

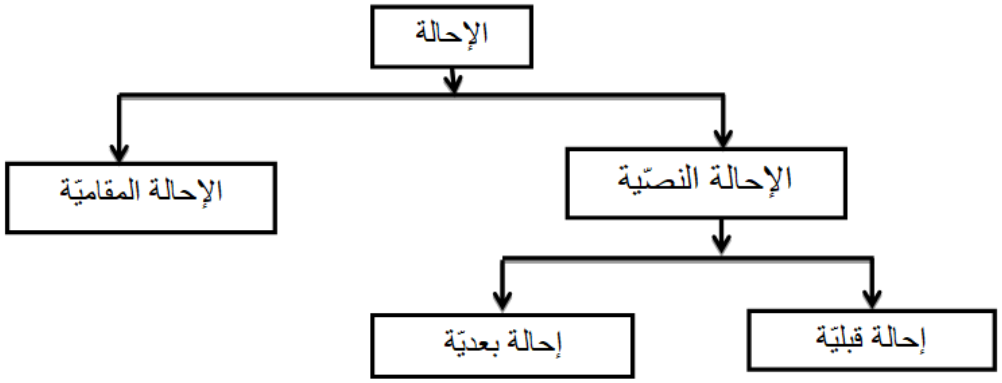

الشكل رقم (12):أنواع الإحالة

160

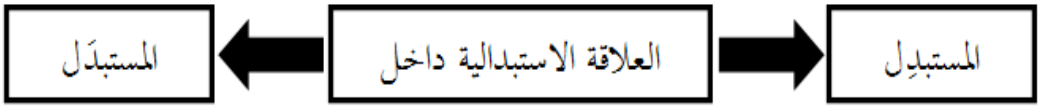

الشّكل رقم (13): عناصر الاستبدال

161

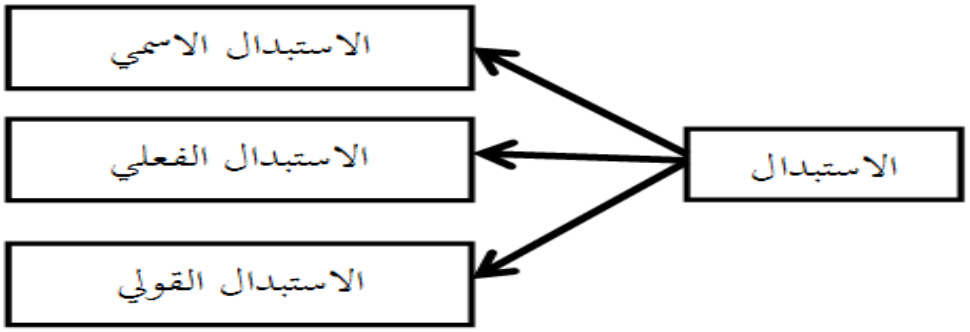

الشّكل رقم (14):أنواع الاستبدال

163

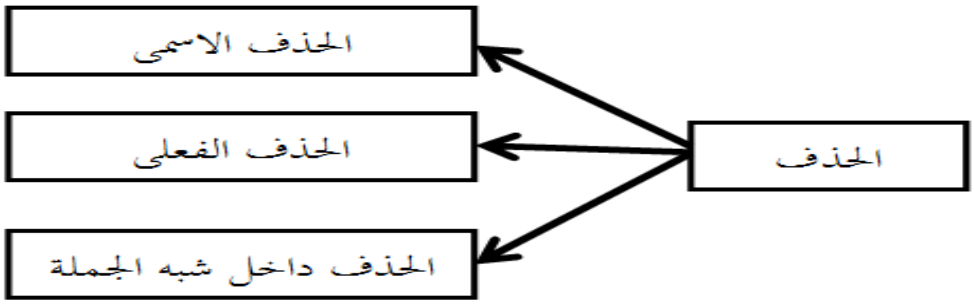

الشّكل رقم (15): أقسام الحذف

174

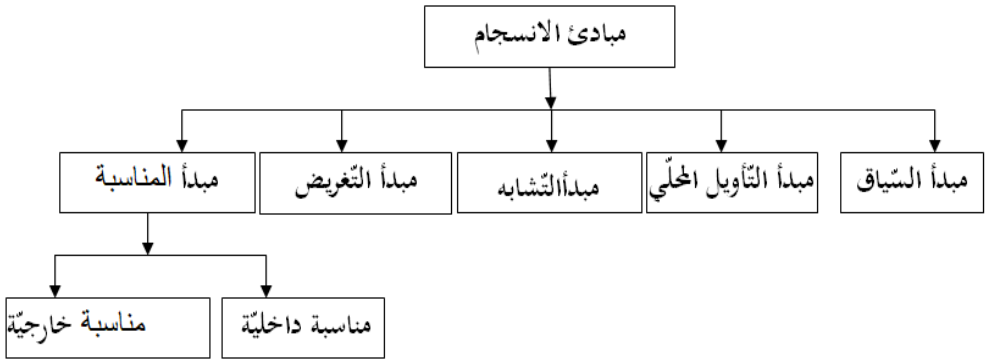

الشّكل رقم (16): مبادئ الانسجام

193

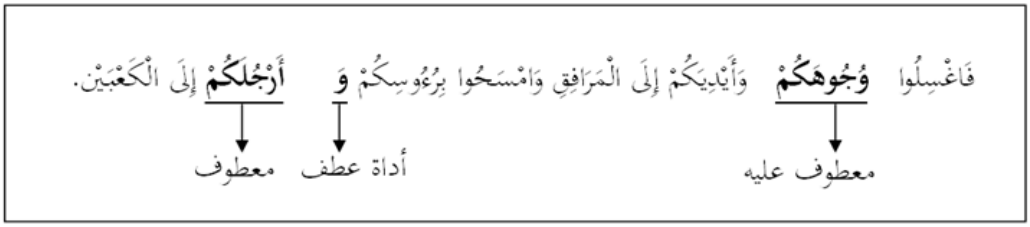

الشّكل رقم (17) : وظيفة الرّبط بأداة العطف.

230

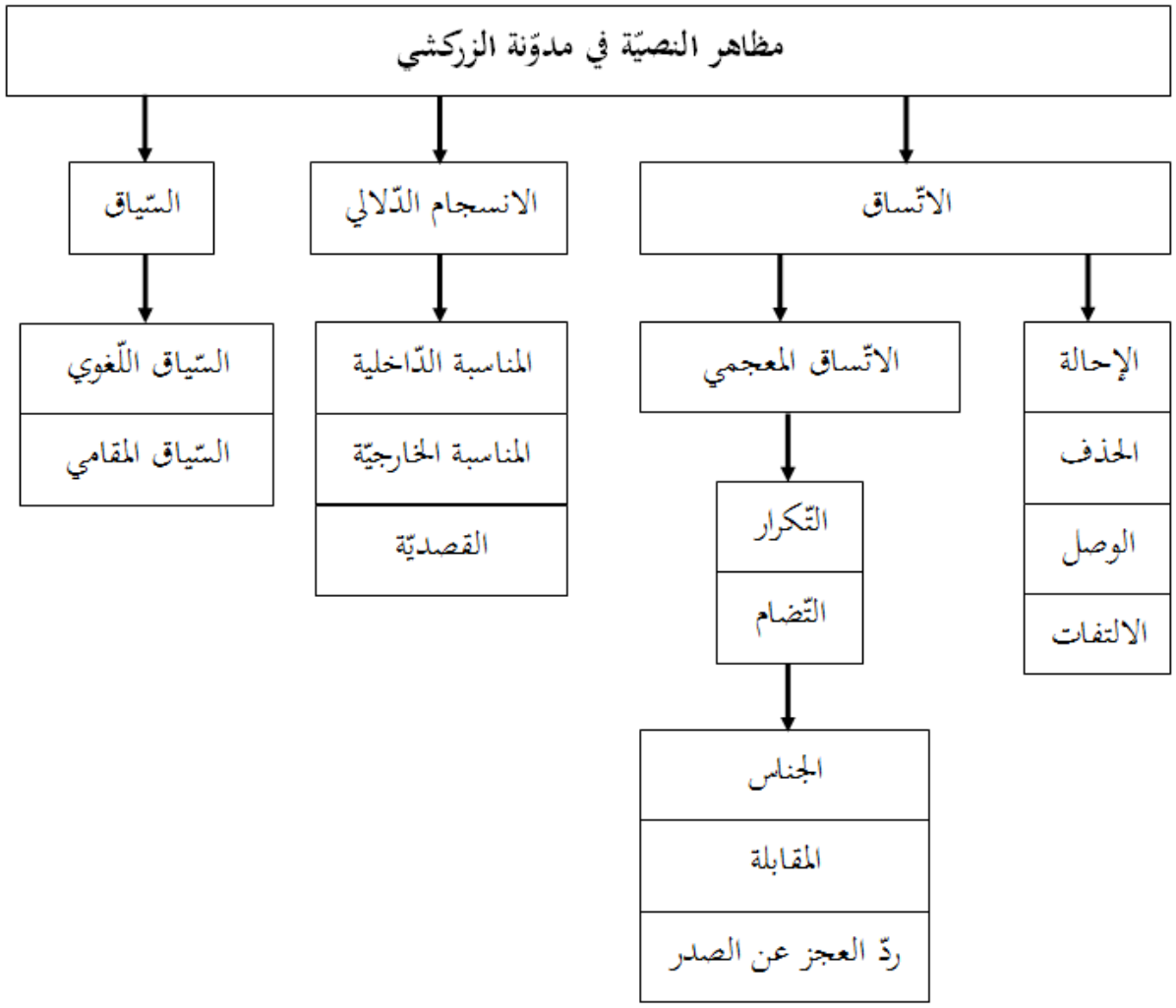

الشّكل رقم (**18**): مظاهر النصيّة عند الزركشي

4-ملحق الجداول:

الجدول	الصفحة
الجدول رقم (01): مصطلح " التّماسك" و ما يقابله في مصطلحات اللسانيات النصيّة :	**70**
المصطلح / **ما يقابله في اللسانيات النصيّة**	
التّماسك عند محمّد خطابي / يترجمه إلى الاتّساق و الانسجام	
التّماسك عند سعد مصلوح / يترجمه إلى الحبك	
التّماسك عند تمّام حسّان / يترجمه إلى السّبك و الالتحام	
التّماسك عند عمر عطاري / يترجمه إلى التّضام	
التّماسك عند عبد القادر قنيني / يترجمه إلى الالتئام	
التّماسك عند أحمد عفيفي / يترجمه إلى ثلاث مصطلحات: السّبك والربط و التّضام.	
التّماسك عند إلهام أبو غزالة / يترجمه إلى التّقارن	
التّماسك عند مُحَمَّد مفتاح / يترجمه إلى الالتحام	

الجدول رقم (02) : الفرق بين الجملة و النصّ.		**116**
الجملة	**النصّ**	
تركيب لغوي يمكن في إطاره إحداث تخطيط (إجباري، اختياري) للوحدات الدّلالية و التّداولية و يتحدّد على	كيان لغوي متعدّد المستويات ذو معايير سبعة (الاتّساق، الانسجام،	
الجملة تخضع إلى التّقابل الثنائي من أجل التّمييز بين ما يطابقها (مقاربة آلية).	النصّ يخضع إلى عملية معقّدة تشارك فيها كلّ القواعد من أجل التّمييز بين	
الجملة ليست عملا؛ إذ تستعمل لتعريف الناس كيفية العلاقات النحويّة فحسب.	النصّ تجلٍّ لعمل إنساني ينوي الشخص به إنتاج موجّه إلى السّامع،	
ينظر إلى الجملة بوصفها عناصر من نظام ثابث ومتزامن.	النصّ توال من الحالات (الاجتماعية النفسيّة ....) و الوقائع المختلفة في	
العامل النفسي يقلّ في الجملة.	العامل النفسي يرتبط بالنّصوص .	

الجملة ذات أثر محدود في المواقف الإنسانيّة.	النّصوص تراقب المواقف و توجّهها وتغيّرها (أثر غير محدود).	

148

الجدول رقم (03) : معايير النصيّة

المعيار	ترجمته باللغة الأجنبيّة
الاتّساق أو السّبك أو التّناسق	cohesion
الانسجام أو الحبك أو التّرابط الدّلالي	coherence
القصد أو المقصديّة	intentionnality
المقبوليّة	acceptability
السّياق (المقاميّة)	situationality
التّناص	intertextuality
الإخباريّة أو الإعلاميّة	informativity

192

الجدول رقم (04): الضمائر الإحاليّة في النصّ القرآني.

الشّاهد	الضّمير	نوع الضّمير	المحال عليه
الآية 121 من سورة طه	هو	ضمير الغيبة (الغائب)	آدم عليه السلام
الآية 67 من سورة طه	هو	ضمير الغيبة	موسى عليه
الآية 8 من سورة المائدة	هو	ضمير الغيبة	العدل
	أنتم	ضمير المخاطب	المؤمنون (اعدلوا)
الآية 32 من سورة ص	هو	ضمير الغيبة	النّبي سليمان
	أنا	ضمير الملكيّة (المتكلّم)	النّبي سليمان
	هي	ضمير الغيبة	الشّمس
الآية 228 من سورة البقرة	هنّ	ضمير الغيبة	المطلّقات
الآية 1من سورة الإخلاص	هو	ضمير الغيبة	الله تعالى
	أنت	ضمير المخاطب	محمّد صلّى الله عليه وسلّم
الآية 29 من سورة الأنعام	هم	ضمير الغيبة	الكفّار،الفجّار

		نحن	ضمير المتكلّم	الكفّار،الفجّار	

الجدول رقم (05): أنماط الحذف في النّص القرآني.

الشّاهد	المحذوف	نمط الحذف	نوع التّماسك	
الآية 1 من سورة النساء	احفظوا	حذف فعلي	بين عناصر آية واحدة	**200**
الآية 1 من سورة القيامة	أنا	حذف اسمي	بين عناصر آية واحدة	
الآية 35 من سورة الرعد	دائم	حذف اسمي	بين عناصر آية واحدة	
الآية 24 من سورة غافر	هذا (موسى)	حذف اسمي	بين عناصر آية واحدة	
الآيتان 10 و 11 من سورة القمر	فنصرناه	حذف فعلي	تمّ التّماسك بين آيتين	
الآيتان 45 و 46 من سورة يوسف	إلى يوسف	حذف شبه	بين آيتين	

5-ملحق المصطلحات الأجنبيّة:

المصطلح	ترجمة المصطلح	الصفحة
لسانيات النصّ	Text linguistics	18
تحليل الخطاب	Discours analysis	20
النصّ والسّياق	Text and context	21
النص والخطاب والإجراء	Text, Discourse and process	22
الكلام	parole	30
مرادف للملفوظ	enonce	31
اللّغة	language	31
البنية العميقة	profound structure	60
البنية السطحيّة	Surface structure	60
الانسجام	coherence	61
الانسجام النصّي	Textual coherence	62

112	system sentence	جمله نظام
112	texte sentence	جمله نصيّة
123	situation of occurrence	يتّصل بموقف يكون فيه
123	strategies	المرتكزات
123	expectations	التوقعات
123	knowledges	المعارف
123	context	سياق الموقف
140	structured	مهيكلة
144	textuality	النصّية
150	cohesion	الاتّساق
154	Reference	الإحالة
156	Escophorie Reference	الإحالة المقاميّة
156	Endophoric Reference	الإحالة النصّية
157	Anaphoric reference	الإحالة القبليّة
157	Cataphoric Reference	الإحالة البعديّة
159	Substitution	الاستبدال
161	nominale substitution	استبدال اسمي
161	substitution verbale	استبدال فعلي
161	substitution clausule	استبدال قولي
162	Ellipsis	الحذف
163	Ellipsis nominal	الحذف الاسمي
163	Ellipsis verbale	الحذف الفعلي

163	Ellipsisclausal	الحذف داخل شبه الجملة
165	Lexical cohesion	الاتّساق المعجمي
167	Reiteration	التّكرار
168	Directe repletion	تكرار العنصر المعجمي
169	synonyme or near-synonyme	التّرادف أو شبه الترادف
169	Repetition by the super-ordinate word	التّكرار بالكلمة الشّاملة
170	repetition by the general word	التكرار بالكلمة العامّة
170	collocation	التّضام
176	intentionality	المقصديّة
177	acceptability	المقبولية
178	semantics	الدّلالة
180	informativity	الإعلاميّة
181	intertextuality	التّناص

قائمة المصادر والمراجع

* **القــرآن الكريــم.**

أ- المصادر:

01. الآمدي سيف الدين: الإحكام في أصول الأحكام، تح: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2، ط2، 1406هـ، 1986م.

02. الآمدي سيف الدّين: المبين ي شرح ألفاظ الحكماء والمتكلّمين، تح: عبد الأمير الأعسم، بغداد، 1985م.

03. ابن الأثير: المثل السّائر، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج2، 1999م.

04. ابن القاضي شهبة: طبقات الفقهاء الشّافعية، تح: د علي محمّد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج2، دس.

05. ابن جني: الخصائص، تح: مُحَمَّد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2، ط1957م.

06. ابن جنّي: المحتسب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، تح: علي النجدي ناصف و عبد الفتّاح اسماعيل شلبي، دار سيزكين للطباعة و النشر، القاهرة،ج1، 1431هـ، 2010م .

07. ابن حجر العسقلاني، الدار الكامنة في أعباء المائة الثامنة، تح: مُحَمَّد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، دار الكتب الحديثة، ج4، دس.

08. ابن فارس بن أحمد: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1392هـ، 1972م.

09. ابن قيّم الجوزيّة، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، دار الكتب العلميّة، لبنان، دت.

10. ابن منظور: لسان العرب، تح: أمين محمّد عبد الوهاب ومُحَمَّد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، مجلّد 03، ط2، 1997م.

11. ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، شركة أبناء شريف الأنصاري،ط1، 1999م.

12. الأدنه وي أحمد بن محمّد: طبقات المفسّرين، تح: سليمان بن صالح الخزي، ط1، مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة 1417هـ.

13. البغدادي محمّد بن حيدر: قانون البلاغة في نقد النثر و الشعر، مؤسّسة الرسالة، ، ط1بيروت،1401 هـ، 1981م.

14. البقاعي إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تعليق عبد الرزاق المهدي،دار الكتاب الإسلامي، بيروت،

لبنان، ج1، 2006م.

15. الجاحظ عمرو بن بحر: البيان والتبين، تح: عبد السلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت، ج1، 1983م.

16. الجاحظ عمرو بن بحر: الحيوان، تح: عبد السلام محمّد هارون، ج2، ط3، 1969م.

17. الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م، ص56.

18. الجوهري: الصّحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار القلم للملايين، بيروت، ط3، 1984 م.

19. الرّازي فخر الدّين: التفسير الكبير مفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، 1401هـ، 1981م.

20. الرّازي فخر الدين: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ج26، ط1،1421 هـ، 2000م.

21. الزركشي بدر الدّين ، البرهان في علوم القرآن، تر: أحمد بن علي، دار الغد الجديد، القاهرة، ج1 و 2 و3 و4، ط1، 1436 هـ، 2015م.

22. الزركشي بدر الدّين: المنثور في القواعد، تح: تيسير فائق أحمد محمود، ج1، ط1، 1986م.

23. الزركشي بدر الدّين: تصحيح العمدة، تح: د.مرزوق بن عباس آل مرزوق الزهراوي، ج1، ط1، دس.

24. الزركلي خير الدّين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ج6 ، ط5، 1980م.

25. الزمخشري جار الله محمود بن عمر: الكشّاف، دار الفكر، بيروت، لبنان، مج 4،دط،1986م.

26. الزمخشري: المفصّل في العربية، دار الجبل،بيروت،ط1، 1993م.

27. سيبويه أبو بشر بن عثمان: الكتاب، تحقيق و شرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج1، ط1، 1983م.

28. السيّد آدي شير: معجم الألفاظ الفارسيّة المعربة مكتبة لبنان، بيروت، 1970م.

29. السّيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتقان في علوم القرآن، خرج أحاديثه، أحمد بن أحمد، مكتبة الصفاء، ط1، 2006م.

30. السّيوطي: المزهر في علوم اللّغة العربيّة و أنواعها، تح: مُحَمَّد أحمد جاد المولى و مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم و علي مُحَمَّد البجاوي، منشورات الكلية الأصليّة، بيروت، ط1، 1986م.

31. السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، دط،ج1، دس.

32. السيوطي، تناسق الدّرر في تناسب السور، دراسة وتح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية،ط1،

1406هـ، 1986م.

33. الشافعي مُحَمَّد ابن إدريس: الرسالة، تح: مُحَمَّد شاكر، المكتبة العلمية، القاهرة، ط1، 1358هـ، 1940م.

34. الصابوني محمّد علي: صفوة التفاسير، تفسير القرآن الكريم جامع بين المأثور و المعقول مستمد من أوثق كتب التفسير، المكتبة التوفيقية، دار الصابوني، مكّة المكرّمة، المجلد الثاني، ط12، 2015م.

35. الغرناطي أحمد بن إبراهيم: ملاك التأويل، تح: سعيد الفلاح، دار المغرب الإسلامي، ج2، ط1، 1983م.

36. الغزالي أبو حامد: المستصفى في علم الأصول، تح: مُحَمَّد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، ج1، ط1، 1413هـ، 1993م.

37. الفيروز آبادي محمّد الدين مُحَمَّد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

38. القرطاجني حازم: منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م.

39. الكفوي أبو البقاء: الكلّيات، تح: عدنان درويش، و مُحَمَّد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1982م.

40. المتنبي: ديوان المتنبي، بشرح عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ج1، 1980م.

41. المناوي مُحَمَّد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمّات التعريف، تح: مُحَمَّد رضوان الداية، دار الفكر دمشق، ط1، 1410هـ.

42. النيسابوري أبو الفضل: مجمع الحكم و الأمثال، تح: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، دط، دس.

ب- المراجع:

43. إبراهيم رزان محمود : خطاب النهضة والتقدّم في الرواية العربيّة المعاصرة، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمّان، الأردن، ط1،دس.

44. إبراهيم خليل: اللسانيات ونحو النصّ، عمّان، دار المسيرة، ط1، 2007م.

45. إبرير بشير: من لسانيات الجملة إلى علم النصّ،قسم اللّغة العربيّة وآدابها،جامعة عنابة، الجزائر، 2005م.

46. أبو الفرج محمّد أحمد، المعاجم اللّغوية في ضوء دراسات علم اللّغة الحديث، دار النهضة العربية، ط1، دس.

47. أبو زيد أحمد، التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي و الصوتي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، د ط، د ت.

48. أبو زيد نواري سعودي ، الخطاب الأدبي من النشأة إلى التلقّي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2005م.

49. أبو زيد نصر حامد ، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2005م.

50. إلياس أنطون إلياس: قاموس إلياس العصري، دار الجيل، بيروت،دط، 1972م.

51. بحيري سعيد حسن: علم لغة النصّ (المفاهيم والاتجاهات)، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجان، مكتبة لبنان، ط1، 1997م.

52. بركات محمّد حمدي أبو علي، فصول في البلاغة، دار الفكر للنشر و التوزيع، عمّان، ط1، 1983م.

53. بن حمودة رفيق: الوصفيّة مفهومها و نظامها في النظريات اللسانيّة، دار مُحَمَّد علي للنشر، صفاقس وكلية الآداب سوسة، ط1، 2004م.

54. بن زروق نصر الدين: الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م

55. بن عائشة حسين:محاضرات في النّحو الوظيفي بين التعدّدية الوظيفيّة والوحدة الإسناديّة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر الجزائر،ط1، 1442هـ، 2020م.

56. بن عروس مفتاح ، الاتّساق و الانسجام في القرآن، مكتبة كلية الآداب و اللّغات، جامعة الجزائر، دط، دس.

57. بن علي عبد الحميد أحمد ، مباحث التشبيه عند الزركشي، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، 1984م.

58. بن عمار أحمد مداس ، تحليل الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النصّية، تحولات الخطاب النقدي المعاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، د ط، 2006م.

59. بن يحيى طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، دار القدس العربي، وهران، 2014م.

60. بوحوس رابح: اللسانيات و تحليل الخطاب، عالم الكتب الحديثة أريد، الأردن، ط1،2009م.

61. بودرع عبد الرحمن: نحو قراءة نصيّة في بلاغة القرآن والحديث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، قطر، ط1، 2013م.

62. تمّام حسّان : البيان في روائع القرآن، دراسة لغويّة و أسلوبيّة للنصّ القرآني، عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 1413

هـ، 1993م.

63. الجابري مُحَمَّد عابد : الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت،دط، 1985 م.

64. جمعان عبد الكريم: إشكالات النصّ، دراسة لسانية نصيّة، النادي الأدبي بالرياض، الدار البيضاء، ط1، 2009م.

65. جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة و اللسانيات النصيّة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ، 1998م.

66. الجودي لطفي فكري محمّد: جماليّة الخطاب في النصّ القرآني، قراءة تحليليّة في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1435هـ، 2014م.

67. حبلص محمّد يوسف ، البحث الدّلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، ط1، 1411هـ، 1991م.

68. حسين عبد القادر: فنّ البلاغة، عالم الكتب، 1405هـ، ط2، 1984م.

69. حماسة عبد اللطيف مُحَمَّد: بناء الجملة العربية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1996م.

70. حمد عبد الله خضر: لسانيات النصّ القرآني دراسة تطبيقيّة في التّرابط النصّي، دار القلم للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، دط،دس.

71. حمداوي جميل: محاضرات في لسانيات النصّ، منشورات شبكة الألوكة، ط1، 2015م.

72. حميدة مصطفى: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة، الشركة المصريّة العالميّة للنشر، لونجمان، مصر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997 م.

73. حيدر حازم سعيد: بين البرهان و الاتقان "دراسة مقارنة"، دار الزمان للنشر و التوزيع، المدينة المنورة، 1420هـ.

74. خطابي محمّد: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط2، 2006م.

75. خليل إبراهيم: الأسلوبية و نظرية النصّ، المؤسسة العربيّة للدراسات و النشر، بيروت، دط، 1997م

76. خليل إبراهيم: في نظريّة الأدب وعلم النصّ، بحوث وقراءات، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت،ط 1، 2010م.

77. الداودي زاهر بن مرهون بن خصيف ، التّرابط النصّي بين الشعر والنثر، دار جرير للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 1431هـ، 2010م.

78. دفة بلقاسم: في النحو العربي، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة، الجزائر، 2003م.

79. الرافعي مصطفي صادق ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، ضبطه مُحَمَّد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة،

ط5، 1952.

80. الربداوي محمود ، دراسات في النقد العربي القديم، دار العربيّة للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2008م.

81. ريمون طحّان: الألسنيّة العربيّة، دار بيروت، الكتاب اللبناني، ط2، 1981م.

82. الزنّاد الأزهر: نسيج النصّ بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا، المركز الثقافي العربي بيروت، ط1، 1993م.

83. السامر حامد مردان ، تلقّي النصّ في الخطاب النقدي العربي المعاصر، ينظر: دار الفكر للنشر والتوزيع القاهرة، ط 1، 1436 هـ، 2015 م.

84. السدّ نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث تحليل الخطاب الشعري والسردي، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر ، ج 2، 2010م.

85. السعران محمود: علم اللّغة (مقدّمة للقارئ العربي)، دار الفكر،دط، 1992م.

86. سعيد محمّد ، حسن بحيري: دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، دس.

87. السقاف علوي بن أحمد: الفوائد المكيّة فيما يحتاجه طلبة الشّافعية من المسائل و الضوابط و القواعد الكليّة، مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، دس.

88. الشاوش مُحَمَّد: أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ج1، 1424هـ، 2001م.

89. شرشال عبد القادر: تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النصّ، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2006م.

90. الصبيحي مُحَمَّد الأخضر ، مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ، 2008م.

91. طلحة محمود ، تداوليّة الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، عمّان، الأردن، ط1، 2011م.

92. عبّاس فضل ، البلاغة فنونها و أفنانها، علم البيان، دار الفرقان، عمّان، ط2، 1996م.

93. العبد محمّد: النصّ و الخطاب و الاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2014م.

94. عصفور جابر: آفاق العصر، دار الهدى للثقافة و النشر، سورية، دمشق، ط1، 1997م.

95. عفيفي أحمد، نحو النصّ: اتجاه جديد في الدرس النحوي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق،دط، 2001م.

96. عمر أبو خرمة: نحو النصّ، نقد نظرية و بناء أخرى، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، ط1، 1425هـ، 2004م.

97. العمري محمّد: البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 1999م.

98. العموش خلود ، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النّص و السيّاق، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 1429هـ، 2008م.

99. عياشي منذر : اللّسانيات و الدّلالة الكلمة، مركز النماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، 1996 م.

100. عياشي منذر: مقالات في الأسلوبيّة، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ط1، 1990م.

101. عيد مُحَمَّد عبد الباسط: النصّ والخطاب قراءة في علوم القرآن، تقديم صلاح رزق، الناشر مكتبة الآداب علي حسن، القاهرة، ط1، 2009م.

102. غانم بن عبدالله الغانم بن سليمان: ترجيحات الزركشي في علوم القرآن عرضا و دراسة، تقديم بدر الدّين ناصر البدر، دار كنوز إشبيليا للنشر و التوزيع، الرياض، ط1، 1430 هـ، 2009م.

103. الغذامي عبد الله: الخطيئة و التفكير، من البنيويّة إلى التشريحيّة نظريّة و تطبيق، المركز الثقافي العربي، المغرب/لبنان، ط 6 ، 2006م.

104. غريب علام عبد العاطي ، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجميل بيروت، ط1، 1993م.

105. الغزالي مُحَمَّد: كيف نتعامل مع القرآن، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط7، يوليو 2005م.

106. فرحان جمال مسعد أحمد، الإمام الزركشي مفسّرا من كتابه "البرهان في علوم القرآن"، إهداء من شبكة الألوكة، سنة 1436هـ،2014م.

107. فضل صلاح ، بلاغة الخطاب و علم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1425هـ، 2004م.

108. الفقّي صبحي إبراهيم: علم اللّغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دار قباء القاهرة، ط1، 2000م.

109 القطان مناع بن خليل: مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، ط22، د ت.

110. قطب مصطفى صلاح: علم اللّغة النصّي النظرية و التّطبيق، عالم الكتب القاهرة، ط1، 2014م.

111. الكوار مُحَمَّد كريم: كلام الله، الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنيّة، دار الساقي، بيروت، ط1، 2002م.

112. لطفي فكري مُحَمَّد الجودي، جمالية الخطاب في النصّ القرآني "قراءة تحليليّة في مظاهر الرؤية و آلية التكوين"، مؤسّسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 1435هـ، 2014م.

113. الماكري مُحَمَّد: الشكل و الخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي ، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1991م.

114. المتوكّل أحمد: الوظيفة بين النمطيّة و الكليّة، دار الأمان، الرباط،دط، 2003م.

115. المتوكّل أحمد: قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب-من الجملة إلى النصّ)، دار الأمان للنشر و التوزيع ، الرباط، ط1، 2001م.

116. مجدي وهبة و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربيّة و الأدب، مكتبة لبنان،دط، 1984.

117. محمّد عبادة إبراهيم: الجملة العربيّة دراسة لغويّة نحويّة، الإسكندرية، منشأة المعارف،دط، 1984م.

118. محمّد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، ط1، 1995م.

119. مختار أحمد عمر: علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر و التوزيع، د ط، 1982 م.

120. مراد وليد، النص القرآني من الجملة إلى العالم، أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2003م.

121. المسدي عبد السلام: الأسلوبيّة و الأسلوب، الدار العربيّة للكتاب، ليبيا،ط1، 1997 م.

122. مسعود ليلى محمّد عبد المنعم:ثقافة المفسّر عند الزركشي من خلال كتابه (البرهان في علوم القرآن- جامعة الإسكندرية- كلية الآداب، قسم اللّغة و آدابها، دط، دس.

123. مصلوح سعد : في البلاغة العربيّة و الأسلوبيات اللّسانية، آفاق جديدة، عالم الكتب، القاهرة، دط، 2006م.

124. مصلوح سعد ، من نحو الجملة إلى نحو النصّ، تحرير وديعة طه، النجم وعبده بدوي، جامعة الكويت، كلية الأدب، دط، 1990م.

125. مصلوح سعد: الأسلوب دراسة لغويّة إحصائيّة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1985م.

126. مفتاح مُحَمَّد: تحليل الخطاب الشعري استراتيجيّة التّناص، دار التنوير، بيروت،لبنان، ط1، 1985م.

127. النجار سلوى ، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار، نحو رؤية جديدة في قضايا اللغة لدى الجرجاني، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2010م.

128. النجّار نادية رمضان: علم لغة النصّ و الأسلوب، مؤسّسة حورس الدوليّة، الإسكندرية، ط 2013م.

129. النحاس مصطفى: نحو النصّ في ضوء التّحليل اللساني للخطاب، ذات السلاسل، الكويت، ط1، 1422هـ، 2001م.

130. نعيمة سعدية: لسانيات النصّ والخطاب الشعري، دراسة في شعر محمّد الماغوط، الوسام العربي للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2015م.

131. يقطين سعيد ، انفتاح النصّ الروائي، النصّ و السّياق، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2001م.

132. يقطين سعيد ، من النصّ إلى النصّ المترابط، مدخل إلى جماليّة الإبداع التّفاعلي،المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، بيروت،ط1، 2005م.

133. يقطين سعيد: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1997م.

134. يوسف محمّد عثمان ، النصّ القرآني عند الزركشي بين الفهم و التذوّق، دار العلم و أفيمان للنشر والتوزيع،القاهرة، دط، 2009م.

135. يونس أحمد عزّت ، العلاقات النصيّة في لغة القرآن الكريم، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، ط1، 2014م.

ج- المراجع المترجمة:

136. براون ، (ج.ب) وبول .ج : تحلبل الخطاب،تروتع: مُحَمَّد لطفي الزليطي ومنير التريكي ، منشورات جامعة الملك سعود ، الرياض، د ط، 1997م.

137. بنفنيست إميل: سسيولوجية اللّغة، تر: القاسم سيزا ضمن كتاب مدخل إلى السيميوطيقا، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، 1999.

138. تون.أ.فاندايك: علم النصّ، مدخل متداخل الاختصاصات، تر وتع: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001م.

139. جوليا كريستيفا : علم النص، تر: فريد الزّاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م.

140. روبرت دي بوجراند: النصّ والخطاب والإجراء: تر: حسّان تمّام، عالم الكتب،القاهرة،دط ،سنة 1988م.

141. رولان بارت : لذّة النصّ، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، بيروت، ط2، 2002م.

142. رومان ياكبسون، قضايا الشعرية، تر: مُحَمَّد الولي و مبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988م.

143. زتسيسلاف وأورزنياك:مدخل إلى علم النصّ، مشكلات بناء النصّ، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2003م.

144. سارة ميلز : الخطاب، تر : يوسف بغول، مخبر الترجمة في الأدب و اللسانيات، جامعة منثوري، قسنطينة، الجزائر، 2004م.

145. فان دايك: النصّ بنى ووظائف، مدخل أوّلي إلى علم النصّ، تر: منذر عياشي ضمن كتاب (العلاماتية وعلم النصّ)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2004م.

146. فان دايك: النصّ والسياق، تر: عبد القادر قنيفي، المغرب، دط، 2000م.

147. فولفجانج هانيه من، ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللّغة النصّي، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، ط 1، 1999م.

148. هانز فير: معجم اللغة العربية المعاصرة، وضع ج. ملتون كوان، مكتبة لبنان، بيروت، ط3، 1980م.

د– المراجع الأجنبية:

149. A.J. Grimas : j. courtes, sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du longage, paris : hachette, 1993.
150. Adam jeon michal: linguistique textuelle des genres de discours aux texte , nathan université,1999.
151. David Crystal: the Cambridge Encyclopedia of language, Cambridge University (Press, New –York, (1977).
152. E. Benvenist: problèmes de linguistique générale, paris : Gallimard, 1966.
153. Garlson: dialogue games, deride publishing company, London 1982.
154. Halliday (M.A.K), Ruqaiya Hasan: cohesion in English ,Longman, London,1976.
155. Halliday (M.A.K), Ruqaiya Hasan, language context and text, aspects of language in social semiotic prespective, 1989.
156. Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistiques, librairie larousse, imprimerie Berger-levrault, nancy, France, edition 1982.
157. katie wales: dictionary of stylistcspearson education, edinburghate,Harlan ,England, 2001.
158. Malcolm couthard : An introduction to discourse analysis, longman, London New York, 1985.
159. Michael MC Carthy : Discourse Analysis for language Teachers, Cambridge Univercity press, Great Britain, 1993.
160. Oxford, (Advanced learner's encyclopedia), Oxford university press, 198
161. Ricœur Paul : du texte à l'action (Essais d'erméneutiquell) édition du seuil, paris , 1986.

و– الرسائل الجامعية:

162. بخولة بن الدين: الإسهامات النصيّة في التّراث العربي، رسالة دكتوراه من جامعة وهران، إشراف الدكتور مُحَمَّد ملياني، السنة: 2015م، 2016 م.

163. بن طرية عمر ، التّفكير البلاغي عند الزّركشي من خلال كتابه البرهان في علوم القرآن، رسالة دكتوراه في علوم اللّغة و الأدب، جامعة الحاج لخضر بالجمهوريّة الجزائريّة، 2009م، 2010م.

164. خليل عبد النعيم عبد السلام ، نظرية السّياق بين القدماء و المحدثين، رسالة دكتوراه مقدّمة لكلية الآداب،

قسم اللّغة العربيّة و اللغات الشرقية، جامعة الإسكندرية، إشراف د.حلمي خليل، 1991م.

165. معراجي عمر: التّشاكل النصّي بين الإتباع والابتداع، دراسة في ألسنية النصّ، أطروحة دكتوراه في اللسانيات، إشراف الدكتور العربي قلايلية، جامعة مستغانم،2009 م/2010 م.

هـ –الدوريـــات و المجلات:

166. ابن اسماعين إسماعيل، الخطاب القرآني و تجلياته، منشورات مخبر اللسانيات و اللّغة العربيّة، جامعة باجي مختار عنابة، مجلّة سنوية محكّمة، العدد 18، جانفي 2020م.

167. بشرى حمدي البستاني ووسن عبد الغني المختار: في مفهوم النصّ و معايير نصيّة القرآن الكريم دراسة نظرية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، قسم اللغة العربية، جامعة الموصل، المجلد 11، العدد 01، ت ن: 2011/07/03.

168. بن عائشة حسين: المقاربة النصيّة بين التّداخل اللّساني الوظيفي و البلاغي، مجلّة الموروث، جامعة مستغانم، مج 8، العدد 2، 2020م.

169. إبراهيم عبد العزيز ، مدارات النصّ المغلق من غرابة المفردة إلى تغريب النص، الموقف الثقافي، العدد 29، لسنة 2005م.

170. عمران رشيد: آليات التماسك النصي: الزركشي والسيوطي أنموذجان، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول– السنة الثانية يونيو 2011م.

171. سرايعية ياسين: مقاربة نحو النصّ في تحليل النصوص، قراءة في وسائل السبك النصّي (مجلة علوم إنسانية، العدد 2007،35م ،السنة الخامسة).

172. مصطفى عبد كاظم الحسناوي، رؤى المحدثين في مفهوم (الخطاب)، مجلّة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانيّة، جامعة بابل، العدد 38، نيسان، 2018م.

ز –المواقع الإلكترونية:

173. عبد الرحيم الخلادّي: في الخطاب وتحليل الخطاب (مجلّة العرب، السنة الرابعة، العدد 171، 2008/01/24م. www.arabmay.blogsport.com

174. عبد العزيز فتح الله عبد الباري: التّماسك النصّي في الحديث الشريف.www.alukah.net/sharia/1002/8019

175. علي القرني:الخطاب الإعلامي السعودي " تحليل أربعة خطابات كبرى في مائة عام".(www.darah.org.sa)

176. مُحَمَّد عبد المطلب، النصّ المفتوح و النصّ المغلق، بحث منشور على شبكة الأنترنت، الموقف الأدبي، العدد

398، لسنة 2004م، www.awu-dam.org.

177. https://ar.wekipedia.org

178. https://ezarabi.com

179. https://takhatub.ahlomontada.com

180. https://www.researchgate.net

181. https://www.sotor.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

آية قرآنية

شكر و تقدير

إهداء

مقدمة.....أ

مدخـــــــــــــــل: لسانيات النص بين النشأة و تعددية المصطلح

تمهيد: **18**

1.النشأة والتّطور: **20**

2.تعدّدية المصطلح اللّساني النصّي: **24**

3.دلالة مصطلح الخطاب: **27**

أ – لغة:..... 27

ب – اصطلاحا: 29

4.الخطاب القرآني: **35**

5.الخطاب عند العرب القدامى والمحدثين:..... **41**

الفصل الأوّل: لسانيات النصّ في التّراث اللّغوي العربي

المبحث الأوّل: الالتحام و التّماسك و ترادفهما في التّراث العربي

تمهيد: **52**

1.البيان والتحام الأجزاء عند الجاحظ: **54**

أ – البيان:..... 54

ب – التحام الأجزاء: 56

2.التّماسك النصّي من منظور عبد القاهر الجرجاني: 58

أ – النّظم عند عبد القاهر الجرجاني: 58

ب – مصطلح النصّ لدى عبد القاهر الجرجاني: 61

ج – الفصل و الوصل من منظور عبد القاهر الجرجاني: 64

المبحث الثاني: التماسك النصي عند كل من القرطاجني و السيوطي

1.التّماسك النصّي من منظور حازم القرطاجنّي: 71

تماسك الفصل عند حازم القرطاجنّي: 72

2.التّماسك النصّي عند السّيوطي: 74

التّماسك بين السور: 75

الفصل الثاني: إسهامات الزركشي في كتاب البرهان في علوم القرآن

المبحث الأول: التعريف بالإمام الزركشي

تمهيد: 82

1.اسمه و نسبه: 82

2.مولده و نشأته: 83

3.رحلاته في طلب العلم: 84

4.أشهر شيوخ الزركشي: 85

5.تلاميذه: 86

6.مكانته العلميّة و آراء العلماء فيه: 86

7.صفات و أخلاق الزّركشي: 88

8.تصانيفه ومؤلفاته: 89

9.وفاة الإمام الزركشي: 92

المبحث الثاني: منهج الزركشي و جهوده اللغوية في كتاب البرهان

تمهيد: 95

1.التّعريف بجهود الزركشي وسبب اختياره للعنونة: 95

2.موضوع الكتاب: 97

3.منهج الزركشي و أسلوبه في تحليل الخطاب القرآني: 98

4.البحوث و الرّسائل العلميّة التي اعتنت بكتاب البرهان: 101

5.مرجعيّة الزّركشي في تأليف كتابه: 103

6.آراء حول الكتاب: 105

الفصل الثالث: تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص

المبحث الأول: اللسانيات النصية من الجملة إلى النص

تمهيد: 110

1.ضرورة التوفيق بين الجملة والنصّ وإشكالية التّصنيف: 110

2.ثنائيّة النصّ و الخطاب: 120

3.علاقة لسانيات النصّ بتحليل الخطاب: 131

المبحث الثاني: آليات بناء لسانيات النص

تمهيد: 140

1.مفهوم النصيّة: 140

2.معايير النصّية: 146

1.2.الاتّساق: 149
أدوات الاتّساق: 154
أ-الإحالة 154
ب-الاستبدال: 159
ج-الحذف: 162
د-الوصل: 164
هـ-الاتّساق المعجمي 165
1-التّكرار.... 166
2-التّضام: 170
2.2.الانسجام: 171
3.2.المقصديّة: 176
4.2.المقبولية: 176
5.2.السّياق: 177
6.2.الإعلاميّة (الإخباريّة): 180
7.2.التّناص: 180
الفصل الرابع: مظاهر النصية عند الزركشي (الجانب الإجرائي)
تمهيد: 185
1.مفهوم النصّ عند الزركشي 186
2.أدوات الاتّساق في كتاب البرهان في علوم القرآن: 187

1.2.الإحالة:..... 187
2.2.الوصل (العطف):..... 191
3.2.الحذف:..... 195
4.2.الاتّساق المعجمي: 199
أ-التّكرار: 199
ب-التّضام:..... 203
-لجناس: 203
-التّضاد: 205
-ردّ العجز على الصّدر: 207
5.2.مصطلح الالتفات: 208
3.الانسجام النّصي في كتاب البرهان: 211
1.3.السّياق القرآني: 211
أ-السياق اللّغوي (السياق الدّاخلي): 212
ب-السياق المقامي (السياق الخارجي): 214
2.3.المناسبة بين اللّغة والاصطلاح: 215
أ -المناسبة لغة:..... 215
ب -المناسبة اصطلاحا:..... 215
ج-أهميّة المناسبة في القرآن الكريم: 217
د-أنواع المناسبة:..... 218
-المناسبة بين السور: 219

1-بيان وجه المناسبة بين فواتح السور و خواتمها: 220
2-مناسبة السورة للحرف الذي بنيت عليه: 222
المناسبة بين الآيات: 223
1-التّرابط بين الآيات المعطوفة: 224
2-التّرابط بين الآيات غير المعطوفة: 226
أ-علاقة التّنظير: 226
ب-علاقة المضادّة: 227
خاتمة: **231**
الملاحق: **238**
1-ملحق الآيات القرآنية: **238**
2-ملحق الشّواهد الشعريّة: **244**
3-ملحق الأشكال: **244**
4-ملحق الجداول: **250**
5-ملحق المصطلحات الأجنبيّة: **252**
قائمة المصادر و المراجع: **257**
فهرس الموضوعات **269**
ملخص: **277**

الملخّـص

الملخّـــــــص:

حاولنا في هذه الدّراسة إثارة بعض القضايا التي ولدتها اللّسانيات الحديثة في مجال دراسة النصّ بأبعاده اللّغوية، من خلال قضايا نظريّة وممارسات إجرائية تجلّت في تجاوز القراءة التقليديّة التي كانت ترتكز على الجملة إلى مستوى النصّ بأبعاده المختلفة وعناصره المتفاعلة في علاقته بالمنتج والقارئ. والحقيقة القارّة هي أن التّراث العربي قد جسّد بطريقة أو بأخرى الممارسات النصيّة من خلال اهتمامهم بطرق إنتاج الخطاب مع مراعاة خاصية التلقّي لدى القارئ، وعليه تصبو دراستنا، من خلال عنوان الرسالة: " نصيّة النصّ ومظاهرها في التّراث اللّغوي العربي البرهان في علوم القرآن للزركشي –أنموذجا–"، إلى الوصول لتحديد الرّوابط الشكليّة والدّلالية للنصّ في التّراث العربي من خلال مدوّنة الزركشي، محاولين الربط بين ما جاءت به الدراسات العربيّة وما أتت به لسانيات النصّ كمنهج غربي شامل والكشف عن درجات التّرابط النصّي الشّكلي والدّلالي (الاتّساق والانسجام والتّناسب ...) في القرآن الكريم وتبيان دورها في تحقيق الغاية النصيّة (ترابط النصّ)، وتتجلّى في النصّ القرآني مظاهر التّماسك النصّي باعتباره يمثّل حقلا معرفيّا خصبا في لفظه ونظمه ومعناه والمعجز في تماسكه وانسجامه ولاشكّ أنّ الباحث في النصّ القرآني يتعامل معه على أنّه وحدة كليّة واحدة مترابطة.

Summary :

In this study we tried to raise some of the questions generated by modern linguistics in the field of the study of the text with its linguistic dimensions, through theoretical questions and procedural practices that transcended traditional reading, which was based on the sentence, at the level of the text with its various dimensions and interactive elements and in its relationship with the producer and the reader. The enduring truth is that the Arab heritage somehow embodied textual practices through its concern with methods of discourse production, taking into account the receptive characteristic of the reader, and accordingly our study aims, through the title of the thesis: "The textuality of the text and its manifestations in the Arabic linguistic heritage, the proof in the sciences of the Qur'an of Al-

Zarkashi - as a model-", to arrive at identifying the formal links and semantics of the text in the Arabic heritage through the book of Al-Zarkashi, trying to make the link between what was brought by Arabic literature and what was brought by the linguistics of the text as a Western approach comprehensive and to reveal the degrees of formal and semantic textual interconnection (coherence, harmony and proportion...) in the Holy Quran and its role in achieving the textual purpose (coherence of the text), and the manifestat Elements of textual coherence are evident in the Quranic text because it represents a fertile field of knowledge in its pronunciation, organization and meaning, and the miracle in its coherence and constancy.

Résumé :

Dans cette étude, nous avons essayé de soulever certaines des questions générées par la linguistique moderne dans le domaine de l'étude du texte avec ses dimensions linguistiques, à travers des questions théoriques et des pratiques procédurales qui transcendaient la lecture traditionnelle, qui était basée sur la phrase, au niveau du texte avec ses différentes dimensions et éléments interactifs et dans sa relation avec le producteur et le lecteur. La vérité persistante est que l'héritage arabe a incarné d'une manière ou d'une autre les pratiques textuelles à travers son péoccupation par les méthodes de production du discours, en tenant compte de la caractéristique réceptive du lecteur, et en conséquence notre étude vise, à travers le titre de la thèse : "La textualité du texte et ses manifestations dans l'héritage linguistique arabe, la preuve dans les sciences du Coran d'Al-Zarkashi - comme modèle-", pour arriver à identifier les liens formels et sémantiques du texte dans le patrimoine arabe à travers le livre d'Al-Zarkashi, essayant de faire le lien entre ce qui a été apporté par la littérature arabe et ce qui a été apporté par la linguistique du texte en tant qu'approche occidentale compréhensive et de révéler les degrés d'interconnexion textuelle formelle et sémantique (cohérence , harmonie et proportion ...) dans le Saint Coran et son rôle dans la réalisation de l'objectif textuel (la cohérence du texte), et les

manifestations de la cohérence textuelle sont évidentes dans le texte coranique car il représente un champ fertile du savoir dans sa prononciation, son organisation et son sens, et le miracle dans sa cohérence et sa constance.